دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة

— ٢١ —

ابو فراس

فارس بني حمدان وشاعرهم

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الاولى

بيروت

١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤



مكتبة منيمنة
للطباعة والنشر
شارع المعرض - بيروت (لبنان)

دراسات قصيرة في الادب والتاريخ والفلسفة

— ٢١ —

ابو فراس

فارس بني حمدان وشاعرهم

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الاولى

بيروت

١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤



مكتبة منيمنة
للطباعة والنشر
شارع المعرض - بيروت لبنان

١/٢٠٠٠/٤/٥٤

الطبعة الاولى — بيروت
شعبان ١٣٧٣ — نيسان ١٩٥٤

الكلمة الاولى

عفة ابي فراس

المشهور عن ابي فراس انه لم يمدح ولم يهجُ ولم يمجن لأنه أمير. ولقد كان النقاد والدارسون قد أجمعوا على ذلك. على أن انصرافنا عن أقوال النقاد – من خصوم وأنصار – الى ديوان الشاعر ينقض هـــذه الاحكام كلها، فأبو فراس مدح وهجا كسائر شعراء عصره، ولكنه لم يتكسب بمديحه ولا بهجائه. فاذا كان النقاد قد عنوا انه لم يتكسب بمدحه ولا بهجائه فلا ضير في ان نقول معهم انه لم يمدح ولم يهج.

أما أنه لم يمجن فلا تأويل لها فيما أرى. إن ابا فراس قد قال غزلا مؤنثاً ومذكراً عفيفاً وصريحاً، ثم له في الخمر والمجون ابيات كثيرة مبثوثة في ديوانه. ولا ريب ابداً في ان ابا فراس قد شرب الخمر، وغامر في سبيل اللهو، الى حد ما على كل حال. والدفاع الوحيد الممكن عن ابي فراس في هـــذا الباب ان كثيراً من مجونه لم يك صادقاً، بل كان مجاراة لمذهب الشعراء في عصره: لقد قال شعراء عصره غزلا مؤنثاً ومذكراً، عفيفاً وصريحاً، ومجنوا في حياتهم ثم سجلوا ذلك في اشعارهم. فاذا كان ابو فراس لم يفعل فعلهم فلماذا لا يقول مثل قولهم؟

هذا التأول اليسير يمكن ان يوفق بين الآراء المتناقضة في شعر ابي فراس فيما يتعلق بعفته ومجونه، وفيما يتصل بالمدح والهجاء في ديوانه.

ع. ف

مصادر هذه الدراسة ومراجعها

*

ان المصادر والمراجع المتعلقة بابي فراس كانت وما تزال قليلة . فما كان يسمى ديوان ابي فراس لم يكن سوى مختارات ، على الرغم من ان ابا فراس شاعر مقل . واما الذين كتبوا عن خصائص شعره وعن مقامه هو في عالم الشعر فلم يتبسطوا في القول ، كما تبسطوا فيه حينما عرضوا لأبي تمام والبحتري والمتنبي ولشعرهم .

على ان ديوان ابي فراس قد لقي انصافاً صحيحاً على يد الدكتور سامي الدهان ، إذ استخرجه من جميع المخطوطات المعروفة ، وعارضه بجميع الطبعات الموجودة ، وجمع كل ما يحتاج اليه الدارس من جهة استنفاد المصادر وتحقيق النص في كتاب واحد(١) مؤلف من ثلاثة اجزاء :

١ ـــ الجزء الاول بالفرنسية ، وفيه كلام على مخطوطات الديوان مع وصف لها ومقابلة بعضها ببعض مضافاً الى ذلك احصاء لما في امهات المخطوطات وبناتها من القصائد والأبيات والفنون . وفي هذا الجزء كلام مفصل على النقاد الذين شغلوا انفسهم بديوان ابي فراس او بشعره واخباره من قدماء ومتأخرين .

٢ ـــ ويملأ شعر ابي فراس الجزء الثاني وبعض الجزء الثالث . ولقد اختار الناشر رواية ابن خالويه استاذ ابي فراس واحد المعجبين بشعره فاثبتها في المتن ، ثم علق في الحواشي جميع الروايات المختلفة استجماعاً للنصوص .

وربما استطرد الى امور تاريخية ـــ وخصوصاً في الكلام على اسر ابي فراس ـــ ولكنه لم يتعرض لشرح الكلمات ولا لتفسير الشعر ، اذ لم يكن ذلك من همه .

---

١) ديوان ابي فراس الحمداني ، عني بجمعه ونشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه سامي الدهان (دكتور دولة في الادب من باريس) . الناشر : المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ، ثلاثة اجزاء ، بيروت ١٣٦٣ هـ ـــ ١٩٤٤ م .

اما القصائد المفردة فلها عادة مقدمات تاريخية في اسباب نظمها ، مقدمات تطول او تقصر، ولكنها على كل حال مأخوذة من المخطوطات المختلفة . على ان الناشر اثبت شروحاً مطولة لبضع قصائد كان ابن خالويه نفسه قد عني بها .

ومما يؤسف له ان في تحقيق النص وضبط الالفاظ هنات قد لا تخفى احياناً على الدارس المتدبر ، وان كانت تشوه وجه هذا الجهد البارع الذي بذله الدكتور سامي الدهان .

فلعل الطبعة الثانية تعرى من هذه الهنات .

اما الجزء الثالث ففيه، بالاضافة الى بقية اشعار ابي فراس، اخباره مجموعة من الكتب المخطوطة والمطبوعة . ثم يلي ذلك كله الفهارس المفصلة للاعلام ، والقوافي والبحور والفنون (بالاضافة الى ما اثبته الناشر في الجزء الاول) . ثم يلي ذلك تصويب الاخطاء المطبعية وهي كثيرة جداً . وهذه التصويبات لا تشمل الهنات التي أشرت اليها قبل بضعة اسطر .

ومع ان هذا الديوان ، وما فيه من الاخبار ، يكفي القارىء والمطالع مؤونة الاستعانة بمراجع جديدة ، فان من المستحسن ان نعرف ان حياة ابي فراس وخصائص شعره ، وطرفاً صالحاً من اشعاره ، تلفى في المصادر والمراجع التالية :

ــ ابو فراس الحمداني ، تأليف محسن عبد الكريم الامين ، الطبعة الثانيه ، دمشق ١٩٤٥ .

ــ ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

ــ سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، تأليف سامي الكيالي ، حلب ١٩٣٩ م .

ــ العمدة لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ، جزءان ، مصر ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م .

ــ فخر ابي الطيب وابي فراس ، تأليف عبد الغني الباجقني ، دمشق ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

ــ مختارات البارودي ، تأليف محمود باشا سامي البارودي (مختارات لأبي فراس موزعة حسب فنونها) ، اربعة اجزاء
القاهره ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٧ م

ـ الموازنة بين الشعراء ، تأليف زكي مبـــارك ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م .
ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين احمد بن خلكان ، جزءان ، دار الطباعة المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ هـ .
ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر لأبي منصور عبد الملك الثعالبي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٩ م .

- Geschichte der arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann, Band I, Leiden 1943 .

- Dasselbe, Erster Supplementband, Leiden 1937 .

- A Literary history of the Arabs, by Reynold A. Nicholson, London 1930.

- Abu Firâs , ein arabischer Dichter und Held von R. Dvorak, Leiden 1895 .

صورة العصر

لما بدأ القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد) كان الخليفةَ في بغداد ابو الفضل جعفر بن المعتضد المعروف بلقب المقتدر بالله . وكان الخليفةُ المقتدر هـــذا قد بويع بالخلافة سنة ٢٩٥ ﻫ (٩٠٧ م) ، والدولة العباسية في اضطراب شديد من اثر تدخل الجنود الاتراك في الدولة وسياستها ومرافقها العامة . كان هؤلاء الاتراك قد دخلوا في الجيش الاسلامي منذ ايام الخليفة المعتصم المتوفى سنة ٢٢٧ للهجرة ثم كثروا وقووا حتى استبدوا بالامور في بغداد فجعلوا يخلعون الخلفاء او يقتلونهم كلما بدا لهم ذلك : قتلوا الخليفة المتوكل (٢٤٧ ﻫ) ، ثم مات ابنه المنتصر في العام التالي (٢٤٨ﻫ) غماً ، لانه كان قد شايع الاتراك على الايقاع بابيه . وجاء بعد المنتصر المستعينُ ، وكان مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره ، فكانت ايامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب . ولم يكن فيه من الخصال المحمودة ، الا انه كان كريماً وهوباً . وخلع المستعين سنة ٢٥٢ ﻫ (٨٦٦ م) ثم قتل بعد ذلك (١) .

ثم ان الجنود الاتراك ولوا المعتز بالله ، ولكن ما لبثوا ان جعلوا يطلبون منه امو الاً كان عاجزاً عن أدائها اليهم فأهانوه وخلعوه ، ثم قتلوه سنة ٢٥٥ ﻫ وولوا مكانه المهتدي . الا انهم عادوا في العام التـــالي فخلعوا المهتدي من الخلافه بعد أن حبسوه وعذبوه .

وجاء الخليفة المعتمد فمكث في الخلافة ثلاثاً وعشرين سنة (٢٥٦ — ٢٧٩ ﻫ) . ولم ينج المعتمد من نقمة الاتراك إلا لأنه استغنى عن النظر في شؤون الدولة وانصرف الى لذاته ، فكان اخوه طلحة الموفق والجنود الاتراك يصرّفون امور الدولة كما يشاءون . وكذلك مكث المعتضد (وهو ابن طلحة اخي المعتمد) في الخلافة عشر

١) الفخري ١٧٩

سنوات (٢٧٩—٢٨٩ هـ) . ومع ان المعتضد كان حسن السيـــاسة حريصاً على الاصلاح قادراً عليه ، لغنى الدول في ايامه ، فان الدول العباسية كانت قد اصبحت من الفساد بحيث لم تكن تنفع فيها يد مصلحة ولا يجدي في أصلاحها عقل مدبّر . وبعد المعتضد جاء ابنه المكتفي (٢٨٩ — ٢٩٥ هـ) فزاد الخرق اتساعاً بظهور القرامطة الذين قويت حركتهم في الثلث الاول من القرن التالي . على ان الحركة التي اقلقت الخلافة في اعقاب هذا الدور فكانت حركة الزّنج :

كان في البصرة عدد كبير من الزنج جاءوا من شرقي افريقية ، او جيء بهم من هنـــالك للعمل في البصرة . وكانت الكثرة من هؤلاء يعملون كسّاحين : يكسحون السباخ (التراب الملح) ويجففون الاهوار (المستنقعات) في جنوبي العراق ليجعلوا منها حقولا صالحة للزراعة . وكان هؤلاء الزنج يرسفون في تأخر اجتماعي عظيم وفي ظلم بالغ محرومين من مقومات الحياة الضرورية .

ولقد استغل هذا الظلم رجل ادعى نسباً الى آل البيت وسمى نفسه علي بن محمد ، وتلقب بالبرقعي واستعان على ما هو بسبيله برجل يدعى رشيد القرمطي . ولجأ الأبّاق (الهاربون) من الزنج اليه وحلفوا له بالطلاق على الولاء والطاعة . ولما قوي امره ثار بهم في رمضان سنة ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م) فهاجموا البصرة وأباحوها ثم احرقوها وقتلوا اهلها كما عاثوا فساداً فيما حولها . ثم اتسع سلطانهم . ولكن طلحة الموفق ، اخا الخليفة المعتمد ، حاربهم بضع سنين حتى تغلب عليهم وهدم مدينتهم المختارة سنة ٢٦٩ هـ (٨٨٢ م) . وفي ٢٧٠ هـ قتل البرقعي وعاد الزنج الى حالتهم الاولى من الاستعباد والبؤس .

ومع ان القتلى في اثناء حركة الزنج يجب ان يكونوا كثيرين ، فلا ريب في ان ابن الطقطقى قد بالغ حينما جعلهم مليونين ونصف مليون من البشر (الفخري ١٧٤) . وكذلك لا نستطيع ان نرد هذه الحركة الى مبادىء اقتصادية واجتماعية مدروسة منظمة ، ولكن كانت هي نتيجة نقمة خلقها ظلم أسياد العبيد واستغلال الزعماء العلويين الذين كانوا يستخدمون كل وسيلة لمقاومة السلطان العباسي .

*

ولما جاء المقتدر الى الخلافة (سنة ٢٩٥ هـ) ، بعد اخيه المكتفي ، كان عمره ثلاث عشرة سنة . في ذلك الحين كان امر الدعوه الفاطمية قد قوي جـداً . ثم ان الفاطميين اعلنوا دولتهم في العام التالي (سنة ٢٩٦ هـ) في القيروان في شمالي افريقية، فنبع بذلك للعباسيين خصم جديد عنيد .

وكان ابو العباس الحسن بن ايوب الجرجرائي وزيراً للمكتفي ثم للمقتدر . وكان له خصوم ، فاتفق ابو علي الحسين بن حمدان (عم سيف الدولةوابي فراس) ، مـع الجنود الاتراك على الايقاع به فقتلوه ثم خلعوا المقتدر وولوا مكانه عبدالله بن المعتز . ولكن انصار المقتدر استطاعوا ان يخلعوا عبدالله بن المعتز في اليوم الذي ولي فيه ، في ٢٠ ربيع الاول ٢٩٦ (١) وان يعيدوا المقتدر الى الخلافة . ومـع ان خلافة المقتدر دامت خمساً وعشرين سنة فانهـا كانت مملوءة بالفتن والاضطراب .واخيراً حدثت بين المقتدر وبين حاجبه مؤنس المظفر وحشة ادت الى حرب بينهما قتل فيها المقتدر ، وذلك كله سنة ٣٢٠ للهجرة (٩٣٢ م) ، اي في العام الذي ولد فيـه ابو فراس الحمداني

*

وعاصر ابو فراس خمسة خلفاء ، اولهم القاهر الذي بويع بالخلافة سنة ٣٢٠ هـ ثم خلعه جنده الاتراك بعد سنتين وسملوا عينيه وحبسوه مرة بعد مرة حتى آل امره الى ان وقف يوماً بجانب جامع المنصور يطلب الصدقة من الناس . وجاء بعد القاهر ابن اخيه الراضي (٣٢٢ — ٣٢٩ هـ) فزاد ضعف الخلافة العباسية في ايامه وتقلصت سلطتها عن المشرق والمغرب مرة واحدة ، ووصلت الاخبار بان مرداويج الاصفهاني الخارج على الخلافة يعد العدة ليستولي على بغداد وينقل الدولة الى الفرس ويبطل دولة العرب . ولكن اتفق ان غلمانه قتلوه قبل ان ينفذ خطته . ثم جاء المتقي (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ) ، أخو الراضي ، فاستولى على الامور في ايامه توزون ، احد امراء الديلم ، فهرب المتقي الى الموصل واقام عند بني حمدان .غير ان توزون راسله وتودد اليه حتى أقنعه بالرجوع الى بغداد . فلما اقترب المتقي من بغداد اوقع توزون به فسمل عينيه

١) ١٧ كانون الاول ٩٠٨

وخلعه (١) وبايع المستكفي (٣٣٣ — ٣٣٨هـ) . ولكن حظ المستكفي من الديلم لم يكن احسن من حظ سلفه المتقى ، فانمعز الدولة بن بويه ، امير الامراء ، خلعه من الخلافة وسمل عينيه واستبد بالامر دونه . ولم يزل المستكفي معتقلا فيدار السلطنة حتى توفي ٣٣٨ هـ . وفي ايام المطيع (٣٣٨—٣٦٣هـ) كان الديلم قد استبدوا بالخلافة واصبح بنو بويه اصحاب السلطان الحقيقي حتى في بغداد نفسها .

تلك كانت الاحوال التي اعتورت في ذلك الحين منصب الخلافة والحكومة العباسية في بغداد نفسها. ولقد ساءت احوال بغداد سوءاً شديداً باشتداد حركة القرامطة وبنشوء منصب امير الامراء الذي قضى على هيبة الخلافة، بعد ان كانت الاحداث السابقة قد ذهبت بقوتها :

الحركة القرمطية :

بدأ هذه الحركة سنة ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) داعية اسماعيلي من فلاحي السواد في الكوفة ، اسمه حمدان قرمط . وكان مركز هذه الدعوة الجديدة جنوبي العراق ، حيث كانت حركة الزنج قد ثارت من قبل . وبعد حمدان جاء صهره عبدان الذي توفي سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٩م) .

وبعد عبدان جاء داعية آخر مشهور اسمه زكرويه ، جاء الى الشام في ايام المكتفي وقام فيها بثورة انتهت باسره وصلبه في بغداد سنة ٢٩٤ هـ (٩٠٦م) . على ان الدعوة القرمطية انتشرت بين القبائل الضاربة في بادية الشام وفي شرقي شبه جزيرة العرب : في البحرين وهجر والاحساء . ثم كثر عيث القرامطة لما ظهر على مسرح الدعوة ابو طاهر سليمان (٣٠١ — ٣٣٢ هـ) فقطع طريق الحاج وانتزع الحجر الاسود من الكعبة وحمله الى الاحساء . ولكن ابنه سابور رد الحجر الاسود الى مكانه سنة ٣٣٩ هـ (٥٩١م) في ايام الخليفة المطيع .

منصب امير الامراء

استحدث هذا المنصب في الدولة العباسية لما ضعفت واصبح الخلفاء العباسيون لا يستطيعون الدفاع عما تحت ايديهم من البلاد ولا عن انفسهم . وهذا المنصب يقابل في حياتنا السياسية الحاضرة ما نسميه بالحكم العسكري ، فلقد كان امير الامراء عادة قائد الجيش العباسي او قائد جنود كثيري العدد من الترك او الديلم .

---

١) مات المتقي سنة ٣٥٠ هـ « ٩٦١ م »

واول من تولى هذا المنصب ابو الحسن مؤنس ، الخادم الخصي . كان مؤنس قد أبلى في حملة الزنج سنة ٢٦٧ . ثم جعله الخليفة المعتضد صاحب الشرطة في معسكره سنة ٢٨٧ هـ (٩٠٠ م) . ولما اراد انصار ابن المعتز ان يخلعوا الخليفة المقتدر سنة ٢٩٦ هـ ردهم مؤنس خائبين فحفظ المقتدر له هذا الجميل وجعله امير الامراء. ولكن المقتدر عاد فانقلب على مؤنس سنة ٣١٩ هـ (٩٣١م) ، فغادر مؤنس بغداد ليعود بعد عام فيستولي عليها ويخلع المقتدر ويقتله وينصب مكانه أخاه القاهر سنة ٣٢٠ هـ .

واستبد مؤنس بأمر القاهر ثم حجر عليه وأراد ان يخلعه . ولكن القاهر استطاع ان يدبر مقتل مؤنس في شعبان سنة ٣٢١ (آب ٩٣٣) .

اما الرجل الثاني الذي تولى منصب امير الامراء فهو ابن رائق .

كان ابو بكر محمد بن رائق منذ سنة ٣١٧ ، صاحب الشرطة في بغداد ، فهرب بعد مقتل المقتدر الى واسط . فلما تولى الراضي الخلافة بعد القاهر (٣٢٢هـ) ولاه واسط والبصرة ، ثم جعله في آخر سنه ٣٢٤ (تشرين الثاني ٩٣٦) اميراً للامراء . وبتولي ابن رائق هذا المنصب اصبحت جميع السلطات الفعلية في يد امير الامراء ، واصبح يُخطب له على المنابر (يذكر اسمه مع اسم الخليفة في خطبة الجمعة) .

في تلك الاثناء كانت سلطة الخليفة العباسي قد تلاشت واصبحت في كل مكان ، حتى في بغداد نفسها ، اسمية فقط . وما كاد ابن رائق يتولى امارة الامراء حتى برز له منافسان عنيدان : بجكم التركي وابو عبد الله احمد البريدي .

اشتهر من آل البريدي في ذلك الحين اخوة ثلاثة هم ابو عبد الله احمد ، كبيرهم ورب اسرتهم ، ثم ابو يوسف يعقوب وابو الحسين . ولقد كان الاخوة الثلاثة انتهازيين لا يبالون الا بمصالحهم الخاصة ولا يتحوّبون عن ظلم او فتك في سبيل بلوغ مقاصدهم. ففي سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨م) توصل ابو عبد الله البريدي الى حكم مدينة واسط . وبعد مقتل المقتدر عظم سلطان بني البريدي جداً وأمعنوا في عسفهم وفي مصادرة الاموال ، ذلك لأن صديقهم ابن مقلة تولى الوزارة للخليفة الراضي بعد ان بذل فيها خمسمائة الف دينار . لقد كان من المنتظر ان يغضي ابن مقلة عن اصدقائه بني البريدي يفعلون ما يشاءون ما داموا على مثل نهجه من الاحتراف السياسي ومن احتجان

بالاموال .

ولكن لما تولى ابن رائق امارة الامراء سنه ٣٢٤ ﻫ جهز الخليفة الراضي حملة على ابي عبدالله البريدي في واسط وهزمه . عندئذ التجأ البريدي الى عماد الدولة بن بويه بفارس وأغراه بالاستيلاء على الاهواز والعراق .

وكذلك نبت في هذا النزاع بجكم التركي الذي كان قد دبر مقتل مرداويج سنه ٣٢٣ ﻫ (٩٣٥ م) ثم التجأ الى الخليفة الراضي ، فولاه الراضي على الجند الذين كانوا معه وألحقه بابن رائق . وأخيراً اشتد النزاع بين ابن رائق وبجكم ، فكان البريدي يقف مرة في صفوف بجكم ومرة في صفوف ابن رائق . ولم يجد ابن رائق بداً من ان يتألف البريدي لانه اسلم العدوين فوعده بأن يوليه مدينة واسط اذا ساعده في التغلب على بجكم . ولكن بجكم استطاع أن يهزم البريدي . حينئذ ادرك الوزير ابن مقلة بأن كفة بجكم قد رجحت وان الخطر قد زاد عليه من هزيمة حليفه البريدي ونجاح بجكم المتزايد الى جانب أمير الامراء الذي كان خصما طبيعياً له في بغداد. وروّى ابن مقلة في أمره فرأى أن يكاتب بجكم يمنيه بأمرة الامراء فلعل بجكم يحفظ له هذه اليد ويتخلص هو حينئذ من ابن رائق . ولكن بجكم رفض طلب ابن مقلة . وعرف ابن رائق بالمؤامرة فألقى ابن مقلة في السجن . وفي ذي العقدة من سنة ٣٢٦ (ايلول ٩٣٨) دخل بجكم بغداد واستبد بأمرة الامراء مكان ابن رائق ، ثم استدعى البريدي وعينه وزيراً للخليفة الراضي. وهرب ابن رائق من بغداد ناجياً بنفسه.

في هذه الاثناء كان الحمدانيون اصحاب الموصل قد استطالوا في البلاد وأخذوا يناوئون العباسيين ، فسار بجكم والخليفة الراضي الى حربهم. فاهتبل ابن رائق الفرصة وخالفهم الى بغداد واستولى عليها ، ولكنه وعد بمغادرتها اذا ولاه الراضي حران والرها وقنسرين والفرات الاعلى . فقبل الخليفة بذلك . ولما غزا ابن رائق الشام سنة ٣٢٨ ﻫ (٩٣٩ م) ارسل عليه محمد بن طغج الاخشيد صاحب مصر جيشاً لقتاله. ولكن جيش الاخشيد اضطر الى الانسحاب وثبت ابن رائق في الشام حتى مدينة الرملة .

وجاء المتقي الى الخلافة بعد اخيه الراضي سنة ٣٢٩ﻫ فأقر بجكم في امارة الامراء.

ولكن بجكم لم يُعمّر بعد ذلك كثيراً فان الاكراد من جنده انقلبوا عليه واغتالوه في رجب ٣٢٩ (نيسان ٩٤١) . ولما قتل بجكم اختلف الديلم والاتراك من جنده على من يتولى امارة الامراء . فاستبد بها رجل من اتباع بجكم اسمه كورتكين (١) . ولكن الخليفة المتقي لم يقبل بكورتكين ، فاستنجد بابن رائق ، فتقدم ابن رائق من بغداد وهزم كورتكين قرب عكبرة في رمضان سنة ٣٢٩ (حزيران ٩٤١). فرد المتقي عندئذ ابن رائق الى امرة الامراء .

وفي غمرة هذا الاضطراب استطاع البريدي ان يستولي على مدينة واسط في المحرم من سنة ٣٣٠ (تشرين الاول ٩٤١) ، ولكن ابن رائق سار لمقـــاتلته . غير ان البريدي اقنع ابن رائق بالوصول الى اتفاق يبقى بموجبه هو في واسط ويدفع لابن رائق خراجاً معيناً .

ومال نجم ابن رائق الى الغروب فتفرق عنه جنده الاتراك ليلتفوا حول رجل من الديلم يقال له توزون . فهرب المتقي ، ومعه ابنه واهله الى بلاط الحمدانيين في في الموصل ، خوفاً على نفسه من حرب في بغداد ، وهرب معه ابن رائق . ثم ان توزون كتب الى المتقي يستميله وحلف له أن لا يناله بمكروه . فاغتر المتقي بذلك وانحدر من الموصل الى بغداد . ولكن ما كاد المتقي يصل الى بغداد حتى قبض عليه توزون وخلعه وسمل عينيه سنة ٣٣٣ هـ ، ثم بايع المستكفي مكانه .

وفي ايام المستكفي ورد معز الدولة بن بويه الى بغداد فولاه المستكفي امارة الامراء . ولكن معز الدولة ما لبث ان خلع المستكفي سنه ٣٣٤ هـ وسمل عينيه واعتقله . وظل المستكفي في معتقله الى ان توفي سنة ٣٣٨ هـ . وجاء المطيع لله بعد المكتفي ، وكان امرأ ضعيفاً ، فخلعه معز الدولة وولى مكانه ابنه الطائع سنه ٣٣٤هـ. وفي ايام الطائع استفحل امر بني بويه وانتشر حكمهم ، وخلعوا الطائع سنة ٣٨١هـ (٩٩١ م) .

تلك كانت حال العاصمة العباسية . اما الامبراطورية العباسية فقد كانت عُراها قد تقطعت واستبد بمقاطعاتها المختلفة ، في الشرق والغرب معاً ، اشخاص ظل نفر قليل

(١) الكاف الثانية فارسية قاسية

منعهم على ولاء ظاهر او حقيقي للعباسيين . اما سائرهم فكان يحمل العداء للعباسيين ظاهراً وباطناً .

هذا التقطع في اوصال الامبراطورية العباسية كان قد نشأ في زمن متقدم جداً، منذ ايام المنصور الخليفة العباسي الثاني . اما في العصر الذي ندرسه فكان هذا التقاطع قد اصبح تاماً واخذت الدويلات الاسلامية في المشرق والمغرب تسلك سلوكاً مستقلاً ويناجز بعضها بعضاً كأن لم يكن ثمت عاصمة يجب ان تجمع امرها اسمها بغداد ، واذا الامبراطورية العباسية العربية لم تبق عربية ولا عباسية ولا امبراطورية .

وفي ما يلي موجز لنشأة الدويلات المختلفة في الشرق والغرب وحالها في ايام ابي فراس الذي نخصه بهذه الدراسة :

١ ــ الدولة المروانية في الاندلس :

ما كاد العباسيون يظفرون في معركة الزاب ، احد روافد دجلة ، ويستولون على العراق سنة ١٣٢ ﻫ (٧٥٠ م) حتى جعلوا يتتبعون الامويين بالتقتيل . ولقد نجا من سيوف العباسيين وسيوف اشياعهم الفرس فتى حدث هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . واستطاع عبد الرحمن ان يدخل الى الاندلس في حديث طويل فيجد اهلها في شقاقٍ والنزاعُ ثائر بين القيسية واليمانية ، فينتهز هو الفرصة ويستولي على البلاد كلها ويحسم خلافاتها ثم يمهد فيها طريق الملك لبنيه من بعده ، كما فعل معاوية بن ابي سفيان من قبل في الشام . وبما ان عبد الرحمن قد دخل الى الاندلس في احوال قاسية جداً فقد سمّوه عبد الرحمن الداخل .

وظل ابناء عبد الرحمن الداخل يتوارثون الحكم على الاندلس مستقلين عن بغداد في كل شيء الا في الولاء الظاهر ، فان عبد الرحمن الداخل واولاده اطلقوا على انفسهم لقب امير ولم يتسموا بالخلافة الى زمن المقتدر بالله العباسي . فلما جاء عبد الرحمن الناصر (الثالث) ورأى ضعف الدولة العباسية تسمى بالخلافة سنة ٣١٦ ﻫ (٩٢٩ م) ، وبذلك انقطعت كل صلة للاندلس بالعباسيين . وتولى عبد الرحمن الناصر الاندلس خمسين سنة (٣٠٠ ــ ٣٥٠ﻫ) . ويقع معظم حياة ابي فراس في خلافة عبد الرحمن الناصر .

٢ ـ الدولة الادريسية .

اسس هذه الدويلة في المغرب ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن (مرتين) ابن علي ابي طالب . كان لعبد الله بن الحسن اولاد منهم محمد المعروف بالنفس الزكية ، ومنهم ابراهيم ويحيى وسليمان وادريس . وفي آخر ايام مروان الثاني الاموي رأى هؤلاء ان الدولة الاموية قد ضعفت واضطرب امرها فبايعوا احدهم محمداً بالخلافة وبايعه معهم جماعة من بني هاشم فيهم ابو جعفر عبد الله بن محمد بن ... العباس الذي اصبح فيما بعد الخليفة العباسي ابا جعفر المنصور(١) . ولكن لما آلت الخلافة الى العباسيين واصبح ابو جعفر خليفة ارسل جيشاً الى المدينة لقتال النفس الزكية . فقتل النفس الزكية في منتصف رمضان سنة ١٤٥ هـ (اواخر ٨٦٢ م) . وفي آخر سنة ١٦٩ (حزيران ٨٨٦) خرج الحسين بن الحسن في جماعة من اهل بيته فيهم ادريس ويحيى وسليمان اخوة النفس الزكية . فارسل المهدي العباسي عليهم جيشاً قاتلهم في مكان اسمه فخ على ثلاثة اميال من مكة ، فقتل اكثرهم وفر ادريس الى مصر ومنها الى المغرب حيث نزل في قبائل البربر سنة ١٧٢ هـ ثم اقام دويلة له واسس مدينة فاس . وقد دامت دولة الادارسة نحو قرنين (١٦٩ ـ ٣٦٥ هـ) ، الى ما بعد مقتل ابي فراس ببضع سنوات .

٣ ـ دويلة الاغالبة :

كانت إفريقية(٢) دائماً مختلفة الهوى مضطربة الامور قلما رضيت والياً وقلما اجمع اهلها على حال، لكثرة العصبيات البربرية ، ولأنها كانت مسرحاً لنشاط الخوارج والشيعة . واتفق ان أرسل هرون الرشيد والياً على افريقية هو محمد بن مقاتل الكعبي فوصل اليها في رمضان سنة ١٨١ (تشرين الثاني ٧٩٧) . ثم اتفق ان جرت فتن دامت سنتين فطمع ابراهيم بن الاغلب آنذاك في ان يستبد بالبلاد فكاتب هرون الرشيد على ان يوليه افريقيه فيتنازل عن مائة الف دينار(٣) كانت بغداد ترسلها

١) كان اسم السفاح ، الخليفة الاول العباسي ، ابا العباس عبد الله بن محمد ...

٢) اطلق العرب افريقية على ما يسمى اليوم « تونس » ولكن هذا الاسم يضم اليوم شمالي افريقية من طرابلس الغرب الى مراكش.

٣) ابن خلدون ٤ : ١٩٦ .

لادارة ذلك الصقع النائي، ثم يسوق هو الى بغداد اربعين الف دينار . ورأى هرون الرشيد ان في ذلك وفراً على بيت المال وتهدئة لذلك القطر الثائر فكتب الى ابراهيم ابن الاغلب بالعهد على افريقية في منتصف سنة ١٨٤ هـ (منتصف ٨٠٠ م).

ثم ان بن ابراهيم الاغلب مد سلطانه في افريقية فاستولى على طرابلس الغرب كما استولى على جزيرة صقلية . ومنذ نشأة الدويلة الاغلبية تقلصت سلطة العباسيين عن افريقية فلم يكن لهم بعد ذلك سلطان وراء حدود مصر غرباً . على ان الاغالبة ظلوا موالين للعباسيين معادين لكل دويلة تناهض العباسيين كالادارسة والفاطميين ، ولكل من كان ينتقض على العباسيين من الخوارج والثوار في صقعهم .

وعاشت دويلة الاغالبة نحو مائة وخمس عشرة سنة حتى زالت على يد الفاطميين لما اتسعت دعوتهم في افريقيه وبايع اهل القيروان لعبيد الله المهدي الفاطمي في رجب سنة ٢٩٦ (آذار ــ نيسان ٩٠٩) .

٤ ــ الدويلة الطولونية

يرجع مؤسس هذه الدولة ، احمد بن طولون ، الى اصل تركي ، فان والده طولون كان قد جاء الى بغداد من بخارى في ايام المأمون . وولد احمد بن طولون سنة ٢٢٠ هـ (٨٣٥م) ، وكان مشهوراً بالتقوى والحزم وحب الجهاد .

وتولى احمد بن طولون مصر في ايام الخليفة العباسي المعتز فوصل اليها في رمضان سنة ٢٥٤ هـ (٨٦٨م) . واتسع ملك احمد بن طولون حتى عم الشام كلها والجزيرة . اما صلات الطولونيين بالعباسيين فقد تقلبت بين الصفاء والجفاء . ولم يأت بعد احمد بن طولون (ت ٢٧١ هـ ــ ٨٨٤ م) من يحفظ هذه الدويلة فانقرضت بعده بأمد يسير سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) في ايام الخليفة المكتفي .

٥ ــ الدويلة الاخشيدية

بعد انقراض الدويلة الطولونية عادت مصر الى حكم العباسيين . ولكن الامر فيها ظل مضطرباً جداً ، فتغلب عليها ولاة كثار ، تولاها بعضهم مرتين او ثلاثاً في فترات مختلفة حتى استقر فيها ، على ما يبدو ، ابو بكر محمد بن طغج في رمضان من سنة ٣٢٣ (آب ٩٣٥) ، وقد خلع عليه الخليفة الراضي لقب « أخشيذ » .

وطمع الاخشيد محمد بن طغج بمصر وجرت بينه وبين العباسين حروب . ثم اتسع سلطانه في الشام خاصة وعم الحجاز وفلسطين وبلغ دمشق .

ولما توفي ابن طغج في دمشق في سنة ٣٣٤ او ٣٣٥ هـ (٩٤٦ م) كان له ولدان صغيران فاستبد بامرهما عبد خصي اسود كان لابيهما اسمه ابو المسك كافور . وكان كافور هذا قديراً ظل يدير مصر الى وفاته في منتصف سنة ٣٥٧هـ(منتصف ٩٦٨م).

ولم يحكم مصر بعد كافور من الاخشيديين سوى احمد بن علي بن طغج . ولكن الفاطميين في المغرب كانوا قد قووا ففتح قائدهم جوهر الصقلي مصر سنة ٣٥٨ هـ، فانقرضت بذلك دولة بني طغج ، ودخلت مصر في حكم الفاطميين .

٦ ــ الدولة الفاطمية

لم تثبت للعلويين دولة كما ثبتت الدولة الفاطمية . فانها عاشت نحو مائتين وسبعين سنة على الرغم من انها كانت تقاوم العباسيين في بغداد والامويين في قرطبة ، والقرامطة والحمدانيين في الشام ، ثم حاربت الصليبيين والايوبين حتى زالت على يد صلاح الدين (٥٦٧ هـ) .

اسس هذه الدولة عبيد الله المهدي في المغرب سنة ٢٩٧ هـ (٩٠٩ م) . ثم انتقل الفاطميون فجأة الى مصر سنة ٣٥٩هـ (٩٦٩ م) بعد ان فتحها قائدهم جوهر الصقلي بعام واحد ، وبعد مقتل ابي فراس بثلاثة اعوام .

وعم سلطان الفاطميين الحجاز واليمن واكثر الشام . وكانت الدولة الفاطمية في ايام امامها الخامس ابي منصور نزار العزيز (٣٦٥ ــ ٣٨٦ م) اعظم سلطاناً من خلافة بغداد .

٧ ــ الدولة الحمدانية

تنتسب هذه الدولة الى حمدان بن حمدون التغلبي . والحمدانيون من وائل من بني ربيعة ، اي من عرب الشمال . وكان الحمدانيون كثيري العدد وذوي شجاعة يرهب جانبهم ويخطب ودهم . ولكن لم يكن للحمدانيين سياسة موحدة ، بل كانت

الخلافات فاشية بينهم، حتى فيما يتعلق بموقفهم تجاه الاحداث الكثيرة في عصرهم . والظاهر البين ان كل فرع منهم كان يحاول ان يصل الى السلطان والحكم بكل طريق ممكنة. من اجل ذلك رأيناهم مرة في صفوف العباسيين ومرة في صفوف اعدائهم ، كما رأيناهم ايضاً مرة مع الخوارج ومرة على الخوارج . والحقيقة انهم كانوا يتظاهرون بالولاء للعباسيين ، اذا كان هذا الولاء يصل بهم الى اهدافهم .

بدأ نشاط الحمدانيين السياسي باستيلائهم على ماردين . ولكن الخليفة المعتضد سار نحو ماردين لقتالهم ٢٨١ ﻫ (٨٩٤ م) فهرب عنها حمدان بعد ان خلف مكانه ابنه ابا علي الحسين . فاستسلم الحسين للمعتضد . وبعد مدة وقع حمدان نفسه في الاسر وحمل الى بغداد وسجن فيها لانه كان علي صلة بهرون الشاري الخارجي . ولما تغلب المعتضد ، بعد سنتين، على هرون الشاري أراد ان يتألف بني حمدان لقوتهم وعصبيتهم فأطلق سراح حمدان وغمره بالعطايا .

ولما ولي المكتفي سنة ٢٨٩ ﻫ (٩٠٢ م) عقد لابي الهيجاء عبد الله حمدان (والد سيف الدولة) على الموصل واعمالها . وقاتل ابو الهيجاء الاكراد في اذربيجان سنة ٢٩٤ ورد خطرهم عن الخلافة . ولكنه عاد فأظهر الخلاف في الموصل سنة ٢٩٩ ﻫ. وكذلك كان ابو علي الحسين بن حمدان قد اشترك في المؤامرة التي أدت الى خلع المقتدر ومبايعة عبدالله بن المعتز (٢٩٦ ﻫ) فاختفى عندئذ من خوف المقتدر . ولكن المقتدر عاد فعفا عنه وولاه قم وقاشان (في فارس). الا ان الحسين لم يذهب الى ولايته الجديدة بل أرسل اليها والياً من قبله . وعلى الرغم من ذلك كله فان الحسين لم يخلص للمقتدر فجرت بينهما وحشة سنة ٣٠٣ (٩١٥ م) ألقي الحسين على أثرها في السجن ومات فيه سنة ٣٠٦ ﻫ (٩١٨—٩١٩ م)

وهكذا نرى ان النفرة بين بني حمدان وبين المقتدر كانت عامة . ولكن في سنة ٣١٤ ﻫ (٩٢٦ م) رضي المقتدر عن ابي الهيجاء وولاه الموصل مرة ثانية . فلم يذهب ابو الهيجاء اليها بل بعث عليها مكانه ابنه ابا محمد الحسن ، وبقي هو في بغداد . فلما حدثت فتنة القاهر التي اريد بها خلع المقتدر كان ابو الهيجاء في القصر مع القاهر فقتل في منتصف المحرم سنة ٣١٧ (آخر شباط ٩٢٩) .

وفي سنة ٣٢٣ ﻫ (٩٣٥ م) ضمن ابو العلاء سعيد بن حمدان (والد ابي فراس) الموصل وديار ربيعة فولاه الخليفة الراضي عليهما . فعز على ابي محمد الحسن (اخي سيف الدولة) ان تنتقل مغانم الموصل الى ابن عمه فقتله . وغضب الخليفة الراضي، ولكن ابا محمد الحسن عرف كيف يحتال لنيل رضى الخليفة فرجع الى الموصل في منتصف شوال سنة ٣٢٣ (اواسط آب ٩٣٥) .غير انه كسر الضمان (لم يدفعه) في سنة ٣٢٧ ﻫ فغضب الراضي وجرد عليه حملة ، فاستطاع ابو محمد الحسن ان يحتال لكسب رضى الخليفة مرة ثانية .

وتوفي الخليفة الراضي سنة ٣٢٩ ﻫ وخلفه المتقي . وحدثت وحشة بين المتقي وبين ابن رائق امير الامراء فاشترك الحسن وعلي في اغتيال ابن رائق في ٢١ رجب ٣٣٠ (٩٤٢ م) فدفع الخليفة المتقي امارة الامراء الى ابي محمد الحسن وسماه ناصر الدولة كما خلع علي اخيه لقب سيف الدولة . ولقد احتفظ ناصر الدولة بالموصل حتى موته سنة ٣٥٨ ﻫ (٩٦٨ م) ، بعد ان كان قد مد نفوذه الى ديار ربيعة وديار مضر . وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب فضل الله الملقب بالغضنفر ، ولكنه دخل في نزاع مع البويهيين. ثم انه توفي بعد ذلك بقليل، سنة ٣٦٩ ﻫ (٩٧٩ م) .ويبدو ان حكم الحمدانيين على الموصل انتهى حينذاك لأن اخوي الغضنفر ،ابا طاهر ابراهيم وابا عبدالله الحسين ، دخلا في خدمة البويهيين .

هذه المفاخر السياسية التي نالها ناصر الدولة بدهائه دفعت اخاه سيف الدولة الى تطلب مثلها، فسار سنة ٣٣٣ ﻫ (٩٤٤م) على حلب وحمص وانتزعهما من يد الاخشيديين. فأرسل الاخشيديون على سيف الدوله جيشاً بقيادة ابي المسك كافور ، فهزم سيف الدولة كافوراً عند حمص ثم تقدم الى دمشق وحاصرها ، ولكنه لم يستطع اخذها . وفي سنه ٣٣٤ توفي محمد بن طغج الاخشيد في دمشق فاسرع كافور الى مصر ليرتب امورها، وانتهز سيف الدوله هذه الفرصة ففتح دمشق . بعدئذ تقدم نحو مصر وفتح الرملة ولكنه هزم عند الاردن . واخيراً عقد صلح بين كافور وسيف الدولة جعلت فيه حلب لسيف الدولة وتركت دمشق للدولة الاخشيدية .

ولما توفي سيف الدولة سنة ٣٥٦ ﻫ (٩٦٧ م) خلفه ابنه ابو المعالي شريف الملقب

بسعد الدولة .وفي النزاع المشهور بين ابي فراس وابي المعالي سقط ابو فراس قتيلا .

* * *

هذا كان يجري في المغرب ، الى الغرب من بغداد . اما في المشرق فكانت الامور اشد سوءاً . ان دويلات المغرب كانت احسن ولاء لبغداد من دويلات المشرق :

٨ ــ الدويلة الطاهرية

هذه اول دويلة قامت في المشرق ، اقامها قائد المأمون طاهر بن الحسين في خراسان . بعد رجوع المأمون من مرو ودخوله بغداد في سنة ٢٠٤هـ تحرك الخوارج في خراسان فأرسل عليهم المأمون جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين فتغلب عليهم .حينئذ ولاه المأمون على خراسان وسائر المقاطعات الشرقية سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠م). وتوفي طاهر بن الحسين سنة ٢٠٧ هـ (٨٢٢م).

ونحن نسمي الدويلة الطاهرية بهذا الاسم من باب التجوز ، فان طاهر بن الحسين اقام أبهة لولايته على خراسان وظلت الولاية في عقبه بالتوارث ، والطاهريون لم يعادوا العباسيين بل ظلوا على ولاء لهم .

وعاشت الدويلة الطاهرية حتى سنة ٢٥٩ هـ (٨٧٣ م) ، حينما قضت عليها الدويلة الصفارية .

٩ ــ الدويلة الصفارية

كان بدء الدويلة الصفارية كبدء الدويلة الطاهرية .

لما تحرك الخوارج في سجستان ، بعد مقتل المتوكل ، تنادى جماعة لقتالهم وسموا أنفسهم المتطوعة . وكان رئيس هذه الجماعة صالح بن نصر الكناني وله قواد منهم درهم بن الحسن ، ويعقوب بن الليث الصفّار . ولما هلك صالح بن نصر خلفه درهم بن الحسن ، ولكن يعقوب الصفار استبد بامر سجستان سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) وجعل يفتح البلاد المجاورة . ثم انه تغلب على بلاد الدويلة الطاهرية سنة ٢٦٠ هـ(٨٧٣م) .

ونشبت بين الصفاريين كلهم وبين خصومهم من الخلفاء ومن المستبدين بالمقاطعات

المختلفة حروب حتى انقرضت دولتهم سنة ٢٩٨هـ (٩١٢ م) على يد السامانيين .

١٠ ـــ الدويلة العلوية بطبرستان :

اختلف اهل الري (خراسان) مع واليهم من قبل الدويلة الطاهرية فاستدعوا الحسن بن زيد ـــ وكان مقيما عندهم ـــ وبايعوه . ثم انضم الى الحسن بن زيد الديلم (١) واهل طبرستان ، فاستطاع ان يستولي على طبرستان وما حولها ، ثم استولى على الري نفسها سنة ٢٥٠هـ (٨٦٤م). وتنازع يعقوب الصفّار والحسن بن زيد مقاطعة طبرستان ، ولكنها استقرت اخيراً في يد الحسن (٢٦١ هـ ـــ ٨٧٤ م)

ومات الحسن بن زيد في رجب سنة ٢٧٠هـ (مطلع ٨٨٤م) فخلفه اخوه محمدٌ بن زيد ، كما كان قد مات يعقوب الصفار سنة ٢٦٥ هـ وخلفه اخوه عمرو . ولكن العداوة بين الصّفاريين والزيديين لم تمت .

ولما عقد الخليفة المعتضد لعمرو بن الليث الصفار على خراسان نازعه عليها اسماعيل ابن احمد الساماني ثم تغلب عليه سنة ٢٨٨ هـ (٩٠١ م) وأرسله الى المعتضد تقرباً وتهدداً . وشكر المعتضد لاسماعيل الساماني هذا التقرب وفهم التهديد فأقره على ما تحت يده من البلاد . وفي ٢٨٨ هـ نفسها التفت اسماعيل الى محمد بن زيد وقاتله فقتله . وهكذا اصبحت طبرستان وجرجان وخراسان كلها للدويلة السامانية الناشئة .

وبعد مقتل محمد بن زيد دخل الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر بن زين العابدين ـــ وهو يعرف باسم الاطروش ، اي الاصم ، الاطروش ـــ الى الديلم ومكث فيها ثلاث عشرة سنة يدعو اهلها الى الاسلام والى المذهب الزيدي. ثم ان الاطروش انتزع طبرستان من السامانيين وتسمى بالناصر سنة ٣٠٢ هـ . ولما قتل الاطروش سنة ٣٠٤ للهجرة وخلفه صهره الحسن بن القاسم ـــ وهو ايضاً من آل علي ـــ كانت الحروب بين الزيديين والسامانيين لا تزال على شدتها الاولى .

ثم انشق الزيديون على انفسهم فوقع نزاع بين ابي الحسن (ابن الاطروش)

---

[١] الديلم منطقة جبلية من مقاطعة جيلان عند الطرف الجنوبي الغربي من بحر الخزر . وقد ظل الديلم على الوثنية الى آخر القرن الهجري الثالث .

وبين الحسن بن القاسم فضعف امر العلويين في طبرستان بالفتن . وكذلك اصطدم العلويون ببني بويه الناشئين في تلك الاصقاع ، فقد هاجم ابو جعفر محمد بن احمد بن الاطروش جرجان — وبها ركن الدولة الحسن بن بويه سنة ٣٣٦هـ (٩٤٧ م) ولكنه انهزم فلجأ الى الديلم واقام عندهم الى ان هلك سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) فانقرض ملك الفاطميين في تلك الاصقاع .

١١ — الدولة الزيارية

اسس هذه الدولة ابو الحجاج مرداويج بن زيار الديلمي . كان مرداويج هذا في خدمة الدولة العلوية بطبرستان ، في جيش أسفار بن شيرويه . وفي ٣١٦ هـ(٩٢٨م) ذبح مرداويج السيد ابا محمد الحسن الداعي العلوي ثم ثار على أسفار واستبد دونه بزنجان . واخيراً تصدى لحربه واستطاع ان يهزمه ثم يقتله سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) .

وفي هذا الحين (٣١٩هـ) كان علي والحسن واحمد ابناء بويه في خدمة ابي منصور ماكان بن كاكي ، احد انصار الدولة العلوية بطبرستان فانحازوا الى مرداويج فولى مرداويج علي بن بويه مقاطعة الكرج (١) ، فكان ذلك اول ارتفاع لامر بن بويه. وفي سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) عظم امر مرداويج واستولى على اصفهان ، فلم يجد الخليفة القاهر بداً من ان يقر مرداويج على ما تحت يده ، على شرط ان يتخلى عن اصفهان ويردها الى حكم الخلافة ، ففعل مرداويج ذلك. ولكن لما قتل القاهر في جمادى الاولى سنة ٣٢٢ (٩٣٤ م) عاد مرداويج الى اصفهان واستبد بها . ثم ان مرداويج طمح الى توسيع سلطانه والاستيلاء على بغداد . وقد قيل ايضاً انه كان يريد ان ينقل الدولة الى الفرس ويبطل دولة العرب (الفخري ٢٠٦) . ولكنه لم يستطع تنفيذ خطته ، فان غلمانه الاتراك انقلبوا عليه ، وزعماؤهم يومذاك توزون وبجكم وغيرهما ، واغتالوه في اصفهان في صفر سنة ٣٢٣ هـ (كانون الثاني ٩٣٥) . ولما قتل الاتراك مرداويج تركوا المشرق واتجهوا غربا بعد ان انقسموا قسمين : قسما يسيراً منهم التحق بعماد الدولة علي بن بويه في شيراز ، وقسما يمثل الكثرة من الديلم سار مع بجكم حتى

---

١) في الديتور بفارس .

وصلوا الى النهروان (العراق) . وكاتب بجكم من هنالك الخليفة الراضي . ولكن امير الامراء ابن رائق رابه امر الاتراك وخاف بجكم على نفسه فاستدعاه الى واسط ـ وابن رائق يومذاك صاحب واسط والبصرة ـ فقدم عليه بجكم فولاه ابن رائق كثيراً من اموره واختصه بمودته ونعته بالرائقي ، نسبة اليه. وهكذا امن ابن رائق خطر بجكم الى حين .

اما في اصفهان فقد خلف مرداويج اخوه وشكمير ، ولكنه اصطدم بالسامانيين وبالبويهيين وجرت بينه وبينهم جميعاً حروب كثار. ثم ان وشكمير هلك في اثناء الصيد سنة ٣٥٦ ه (٩٦٧ م) .

١٢ – الدولة البويهية

كان بنو بويه من الديلم ، وكان أحدهم علي يتولى بلاد الكرج ، من قبل مرداويج المستبد بحكم طبرستان بعد الدولة العلوية. وطمح علي هذا الى الاستبداد فاستولى سنة ٣٢٠ (٩٣٢م) ، اي في العام الذي ولد فيه ابوفراس ، على اصفهان . وبعد ذلك بعامين استولى على شيراز. فلما اغتال مرداويج جنوده الاتراك سنة ٣٢٣ه (٩٣٥م) اهتبل بنو بويه الفرصة فثبت علي حكمه حيث كان ، واستولى اخوه الحسن على بلاد الجبال (غربي بلاد فارس) ، واستولى اخوه الثاني احمد على كرمان .

ولم يمض على تأسيس ملك بني بويه ، شرق العراق ، عشر سنوات حتى طمعوا بالاستيلاء على دار الخلافة ، فاستولى الحسن بن بويه على الاهواز .

وأخيراً زاد الاضطراب في العراق وبغداد خاصة ، في ايام الخليفة المستكفي ، فانحدر الحسن بن بويه من الاهواز نحو بغداد في عدد كبير من جنوده الديلم وقدم بين يديه كاتبه الحسن بن محمد المهلبي . ودخل المهلبي بغداد وبايع المستكفي باسم بني بويه كلهم : علي والحسن واحمد . فلم يجد المستكفي بداً من قبول هذا الولاء المبطن بالتهديد ، فأقر بني بويه على مقاطعاتهم وخلع على علي لقب عماد الدولة ، وعلى الحسن لقب معز الدولة ، وعلى احمد لقب ركن الدولة . وبعد قليل دخل معز الدولة بغداد فملكها سنة ٣٣٤ه (٩٤٥ م) . وفي منتصف سنة ٣٣٤ ه (اوائل ٩٤٦ م) خلع

معز الدولة المستكفي وولى مكانه ابا القاسم الفضل بن الخليفة المقتدر وسماه المطيع ، ولكن «سلبه من معاني الامر والنهي وصيرت الوزارة الى معز الدولة ، يولي فيها من يرى . وصار وزير الخليفة مقصور النظر على أقطاعه (أراضيه) ومقتات داره (نفقات بيت الخليفة) . وتسلم عمال معز الدولة وجنده من الديلم وغيرهم اعمال العراق واراضيه ولاية واقطاعاً . حتى كان الخليفة يتناول الاقطاع برسم معز الدولة ، وانما يتفرد (اي الخليفة) بالسرير والمنبر والسكة[1] والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد وإجلال التحية والخطاب . ومع ذلك [فان هذا كله كان يجري] باوضاع القائم على الدولة (اي معز الدولة) وترتيبه ... وكان القائم منهم (من بني بويه) على الدولة يتفرد ... بلقب السلطان ولا يشاركه فيه غيره . ومعاني الملك من القدرة والابهة والعز وتصريف الامر والنهي حاصل للسلطان دون الخليفة . وكانت الخلافة حاصلة للعباسي المنصوب لفظاً ، مسلوبة عنه معنى» (تاريخ ابن خلدون ٤: ٤٣٥).

١٣ — الدويلة السامانية

نشأت هذه الدويلة من التنازع بين بني بويه وبني الصفار على الاستبداد بحكم بلاد ما وراء نهر جيحون .

ترجع ولاية السامانيين على ما وراء النهر الى ايام المأمون ، فان بني اسد بن سامان كانوا قد أدّوا للمأمون ، وهو بعد في مرو قبل ان ينتقل الى بغداد سنه ٢٠٤ هـ ، خدمات جليلة . فلما توفي احمد بن أسد بن سامان سنة ٢٦١ هـ (٨٧٤ — ٨٧٥ م) كانت سمرقند من اعماله فاستخلف عليها ابنه نصراً . غير ان نصر بن احمد بن سامان هذا كان يتولى اعماله من قبل بني طاهر ولاة خراسان الى ان انقرضت دويلة بني طاهر واستولى بنو الصفار على خراسان .

في ذلك الحين عقد الخليفة المعتمد لنصر بن احمد بن اسد بن سامان على بلاد ما وراء النهر استقلالا . واستولى نصر على بخارى ، ولكن حدث بينه وبين اخيه اسماعيل وحشة فتحاربا سنة ٢٧٥ هـ (٨٨٨ م) . ولما ظفر اسماعيل باخيه نصر عفا

---

[1] السرير : الجلوس على العرش ، المنبر : الخطبة يوم الجمعة ، السكة : ضرب اسمه على العملة .

عنه ورده مكرماً الى كرسي امارته بسمرقند واقام هو نائباً عنه في بخارى .

ثم توفي نصر سنه ٢٧٩ ﻫ (٨٩٢ م) فخلفه اخوه اسماعيل . ولما ضم الخليفة المعتضد خراسان الى اسماعيل سنة ٢٨٧ ﻫ . (٩٠٠ م) كان ملك السامانيين قد اتسع كثيراً وضم — فيما ضمه — خراسان وسجستان وجرجان وسواها .

وكان للسامانيين فضل كبير على السياسة والعلم ، فقد رسخ حكم الاسلام في ما وراء النهر في ايامهم ، ثم اصبح بلاطهم في سمرقند وبخارى مركزاً للادب والعلم والفلسفة . ولكن اتى عليهم — فيما بعد — ما أتى على جميع الدول ، فقد استولى الغزنويون على عاصمتهم بخارى سنة ٣٨٢ ﻫ (٩٩٢ م) ، وزالت الدولة السامانية بعد ذلك ببضع سنوات .

١٤ – الدولة الغزنوية

في العام الذي أسر فيه ابو فراس (٣٥١ ﻫ — ٩٦٢ م) نبعت في مدينة غزنة في بلاد الافغان دويلة على يد رجل اسمه ألب تكين كان من قبل في خدمة السامانيين. كان ألب تكين اولاً في الجيش ثم تولى خراسان سنه ٣٥٠ للهجرة .

ومع ان هذه الدولة كانت أعظم ما نشأ في المشرق من الدول ، فانها متأخرة في الزمن عن العصر الذي ندرسه وان كانت قد نبعت قبل وفاة ابي فراس بست سنوات.

*

كانت هذه حال البلاد الاسلامية في آسية وافريقية وفي الاندلس من اوروبة، فما كانت حال البلاد غير الاسلامية في اوروبه ؟

أ – الامبراطورية البيزنطية

يقع العصر الذي ندرسه في ايام الاسرة المقدونية التي حكمت بيزنطية من عام ٨٦٧ الى ١٠٥٧ م (٢٥٣ — ٤١٦ م) . وقد عاصر ابو فراس من ملوك هذه الاسرة ستة ، هم .

(١) — قسطنطين السابع (رقي العرش عام ٩١٢ بحق الوراثة) .

(٢) رومانوس الاول (رقي العرش اغتصابا عام ٩٢٠ م) .
* قسطنطين السابع (عاد الى العرش عام ٩٤٤ م) .
(٣) رومانوس الثاني (رقي العرش ٩٥٩ م)
(٤و٥) ــ باسيل الثاني وقسطنطين الثامن (رقيا العرش سنة ٩٥٩ م مــع رومانوس الثاني)

(٦) ــ نقفور الثاني الـفقّاس (فوقاس ، رقي العرش اغتصابا من سنة ٩٦٣ الى ٩٦٩م، اي ٣٥٩ هـ).

وضعت هذه الاسرة خططاً للتوسع في ما حولها . وقد بلغت نجاحــاً كبيراً في الحوض الشرقي من البحر المتوسط اذ استولت على قبرس واقريطش ومدت حدودها في آسية الصغرى وشمالي الشام الى الفرات . وكذلك حلمت بان تستولي على فلسطين . اما في الغرب فقد خابت بيزنطية في الاستيلاء على صقلية من ايدي العرب ، ولكنها اعادت شمالي ايطالية الى سلطانها . واما الموقف في الشمال فكان لا يزال حرجاً ،فان البلغار والمجر لم يفتروا عن مهاجمة الامبراطورية البيزنطية.

ولا ريب في ان بيزنطية تمتعت في ذلك العهد برخاء ورفاهية لاتساع تجارتها في العالم يومذاك ولترامي حدودها . ولكنها كانت مملوءة بالمشاكل الداخلية وبالفسق والفجور . اما المشاكل السياسية فتتبدى في تعاقب الاباطرة على العرش اغتصاباً والتماساً ثم نزولهم عنه خلعاً او اغتيالا . اضف الى ذلك ان الاحزاب السياسية كانت تتنازع الاباطرة لتنفيذ مآربها . وكانت النساء مدار المكائد والمؤامرات كلها . واما في الناحية الاخلاقية فحسبك ان تعلم ان البطريرك ثيوفيلاقتوس استغل منصبه في سبيل ملذاته استغلالا مشيناً ، وانغمس في الملذات والفجور . وكان مغرماً بالخيل فجمع في اسطبلاته ألفين منها تغذى وتنظف وتعطر بعناية وترف لم يعرفها كثيرون من المتنعمين من البشر . وفي يوم من الايام كان على المذبح يقدس ،فانسل اليه احد خدمه وأسر في اذنه ان احدى أفراسه تضع . فقطع ثيوفيلاقتوس القداس فجأة وألقى عن عاتقيــه الثياب الدينية ثم اسرع الى الاسطبل ليشرف على العناية بالفرس المحبوبة . ولما اطمأن

على الفرس الوالدة وعلى المهر المولود عاد الى المذبح ليتم القداس(١) .ومن الطبيعي ان يكون عامة البيزنطيين اكثر انغماساً في اللهو والملذات من ثيوفيلاقتوس .

اما ايطالية فكانت منذ مطلع القرن التاسع للميلاد في الدرك الاسفل من الضعف، مقسمة امارات وممالك وجمهوريات لا قوة حقيقية لها . وكانت المؤسسة الوحيدة التي يبدو عليها شيء من القوة هي ايطالية البابوية ، وخصوصاً في ايام البابا نقولا الاول (٨٥٨—٨٦٧م) . على ان الاساقفة كانوا يحاولون في كل مكان ان يستبدوا بما تحت ايديهم من المدن ، بينما كان البابوات يحاولون جهدهم ان يصمدوا في وجه هذا العصيان الذي بدأ يفكك البابوية ويجرىء عليها الملوك والنبلاء. ولكن البابوية ضعفت بعد نقولا الاول ضعفاً جديداً وانحدر المركز البابوي الى درك مريع ، حتى ان الحقبة التي امتدت من اواخر القرن التاسع الى اوائل القرن العاشر للميلاد كانت تعرف باسم « عهد المومسات » . تلك كانت احلك العصور جميعها في تاريخ البابوية كله بين عام ٨٩٦ وعام ٩٦٣ للميلاد — وهو العام الذي أسر فيه ابو فراس — سبعة وستون عاماً تقلب فيها على رومية عشرون بابا أُنزلوا عن سدة البابوية بالخلع وبالاغتيال . وكانت الاحزاب السياسية تتناحر في سبيل السيطرة على البلاط البابوي حتى اضطر البابوات — في سبيل الاحتفاظ بمراكزهم وبرؤوسهم —الى ان يعتمدوا على الاسر النبيلة في رومية . ولقد انقضت مدة كانت البابوية فيها لعبة في يد نبيل توسكاني يسكن رومية اسمه تيوفيلاكتوس وفي يد زوجته تيودورا . وكذلك اصبحت ابنتهما ماروزيا فيما بعد مسيطرة ، كأمها من قبل ، على البلاط البابوي ،حتى ان البابوات الثلاثة : سرجيوس الثالث (٩٠٤ — ٩١١م) واناستاسيوس الثالث (٩١١ — ٩١٣م) ولاندونيوس (٩١٣ — ٩١٤م) ارتقوا عرش البابوية برغبتها وبنفوذها . وهي التي خلعت البابا يوحنا العاشر وقتلته عام ٩٢٨م .

(1) History of the Byzantine Empire, by George Finlay (Every man's Library p. 280 - 281 .

وكان ماروزيا ايضاً عشيقة للبابا سرجيوس الثالث فولدت منه غلاماً [١] جعلته لما بلغ واحداً وعشرين عاماً فقط، بابا باسم يوحنا الحادي عشر (٩٣١–٩٣٥م). ولم يكن يوحنا الحادي عشر في هذا المنصب الا لينفذ رغبات امه التي جعلته سجيناً في قصر لاتران.

وكان لهذه المرأة غلام آخر اسمه ألبريك جعلته اميراً على رومية. ولما مات ألبريك خلفه ابنه اوكتافيان الذي رقي فيما بعد سدة البابوية باسم يوحنا الثاني عشر. وكان يوحنا الثاني عشر عرياً عن الحزم والقوة والاخلاق فتم في ايامه الانحطاط السياسي والاخلاقي في البلاط البابوي. اما في باب الاخلاق فقد جعل يوحنا الثاني عشر من قصر لاتران مباءة لحفلات الفسق وعاش عيشة كلها فضائح، وكان أكبر مجرم تربع على عرش البابوية. واما في السياسة، فانه لما خشي على منصبه استعان بملك ألمانية أوتو الاول على برانجة الثاني ملك ايطالية (٢). فلما جاء أوتو الى رومية توّجه يوحنا الثاني عشر بالتاج الامبراطوري (٩٦٢م). ولكن لما انصرف أوتو الى محاربة برانجة انقلب يوحنا الثاني عشر عليه وخان عهده له. غير ان أوتو تغلب بسرعة على برانجة ثم عاد الى رومية فخلع البابا يوحنا الثاني عشر ونصب مكانه ليو الثامن (٩٣٦ – ٩٦٤م).

ومنذ ذلك الحين بدأ النزاع السياسي والديني بين الباباوات وبين اباطرة الجرمان. ولكن قصة هذا النزاع لا تهمنا في هذا الاطار التاريخي الذي نخطه، الا انه يهمنا ان نعلم ان أوروبة كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية وان العداء بين البيزنطيين في الشرق وبين اللاتين في الغرب والجرمان في الشمال كان عظيما جداً.

واذا نحن اتجهنا غربا وراء ايطالية لم نجد فرنسة احسن حظاً.

في هذا العصر الذي نصفه كانت الاسرة القارلية المنسوبة الى قارله او شارلمان (ت ٨١٤ م – ١٩٩ هـ) تحكم فرنسة، ولكن الخلافات كانت تتنازعها وتتقسمها. كان أودو، وهو ابن روبير القوي دوق فرنسة وقومس باريس، قد اعلن عام

(1) Enciclopedia Italiana XVII 253, XXXI 433.

(2) A history of medieval civilization, by Ross William Collins, p. 262; Enc. Britannica, II th. ed. XV 435; Larousse du XXème Siècle, 705; The Byzantine Empire, by George Finlay, (Every man's Library), p. 280.

٧٨٨ م (٢٧٥ هـ) ملكا على فرنسة بعدشارل الثالث السمين المخلوع عام ٨٨٧ لما ابداه من الضعف امام الغزاة النورمانديين . ولكن بعد بضع سنوات وقع نزاع بين أودو هذا وبين شارل بن لويس الثاني انتهى عام ٨٩٣ م (٢٨٠ هـ) بان حكم فرنسة ملكان اودو وشارل الثالث [١] المعروف بالساذج أو البسيط . ولما توفي اودو عام ٨٩٨ م (٢٨٥ هـ) استبد شارل الثالث بعرش فرنسة .

ولكن مجيء شارل الساذج لم يبعد خطر النورمانديين المتزايد . وهكذا اضطر شارل هذا الى ان يزوج رولون (رولف) زعيم النورمانديين بابنته عام ٩١١ (نحو ٣٠٠هـ) وأن يعطيه الطرف الشمالي الغربي من فرنسه ، ذلك الجزء الذي عُرف من ذلك الحين باسم نورماندية . على ان هذه الخطة الذليلة ايضاً لم تنفع فقد عاد النزاع الداخلي في فرنسة الى مثل ما كان . ثم ان رودولف الثاني ملك بورغاندية (في جنوب فرنسة) تغلب على شارل الساذج عام ٩٢٣ م (٣١١ هـ) وخلعه وسجنه ثم استبد بالحكم مكانه ومات شارل في السجن عام ٩٢٩ م . ولما توفي رودولف عام ٩٣٦ م اراد النبلاء ان ينقلوا التاج الى هوغ الكبير قومس باريس ودوق فرنسة ، ولكن هوغ اصر على رد الاسرة القارلية الى عرش فرنسة فتوج النبلاء لويس الرابع بن شارل الثالث الساذج ملكا على البلاد (٩٣٦ ـــ ٩٥٤ م) ، الا ان الاضطراب ظل سائداً فيها . ثم ما لبثت الوحشة ان وقعت بين شارل وبين هوغ . وتوفى هوغ بعد عامين والاسرة القارلية الضعيفة تحكم فرنسة حتى نهض هوغ كابت (ابن هوغ الكبير) واعلن نفسه ملكا في فرنسة عام ٩٨٧ (٣٧٧ هـ) بعد موت ابي فراس بعشرين سنة .

---

[١] كان شارل السمين وشارل الساذج يعرفان بشارل الثالث

موجز ترجمته

ابو فراس مُولّد : عربي من جهة ابيه ورومي من جهة امه .

اما ابوه فهو ابو العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون بن الحارث بن لقمان. ويتصل نسبه بتغلب ثم بوائل ثم بربيعة ثم بمضر . واما امه فهي جارية رومية في الاغلب . وهو يفتخر بأنه يجمع في نسبه العمومة الاسماعيلية (السامية العربية) والخؤولة الاسحاقية (من اسحق بن ابراهيم). وهو يفسر ذلك تفسيراً شبه خرافي حينما يظن ان بني اسحق هم بلصفر اي بنو الاصفر او الروم(١٩ : ١١ —١٢) :

لِاسمَاعِيلَ بي وَبَنِيه فَخْرٌ ، وفي اسحَاق بِي وَبَنِيه عُجْبُ.
وَأَعمَامي رَبيعَةُ وَهيَ صِيدٌ وَأَخوَالي بَلصْفَرُ وهي غُلْبُ.

ثم انه صرح بخؤولته الرومية في احدى اخوانياته الى سيف الدولة حينما قال معرضاً بتقاعس بني عمه ، وسيف الدولة فيهم، عن افتدائه من الاسر (١٩٧:٢٠):

إذا خفتُ من أخواليَ الرومِ مرّةً تخوّفتُ من أعماميَ العُرْبِ أربعا.

اما قوله (٢٨١ : ١٨ — ١٩) :

لم تَتفرّقْ بنا خؤول في جِذْم عز ولا عُموم:
سمَتْ بنا وائلٌ وفازت بالعز أخوالُنا تميم .

قالاغلب انه يشير فيه الى خؤولة اسرته في بني تميم لا الى خؤولته هو .

مولده

ولد الحارث (ابو فراس) بن سعيد بن حمدان سنة ٣٢٠ للهجرة (عام ٩٣٢م) في الموصل ، ولكنه لم يتمع برعاية والده طويلا، فقد اغتيل والده في رجب سنة ٣٢٣

(حزيران ٩٣٥) ، قتله ناصر الدولة ابو محمد الحسن بن عبدالله . وكان ناصر الدولة ابن اخي سعيد المقتول وأخا سيف الدولة . وأراد سيف الدولة ان يخفف عن الطفل اليتيم وطأة اليتم وأن ينسيه قبح الجريمة فرعاه بعطفه ونشّأهُ في اكناف نعمته. ويبدو ان أبا فراس نسي فعلاً جريمة ابن عمه ناصر الدولة وصفح عن المجرم بعد ان قام سيف الدولة ، اخو القاتل ، مقام الوالد البار الرؤوف . يشهد على ذلك قول ابي فراس يخاطب سيف الدولة (٢:٨٢ ، ٣٦ : ٥) :

إذ أنتَ سيّديَ ٱلّذي ربّيتني ، وأبي سَعيد.
هيهاتِ ، لا أجحَدُ ٱلنّعماءَ مُنعِمَها: خلَفتَ ، يا ٱبنَ ابي ٱلهيجاء ، في أبي .

او يتكلم عنه فيقول (١٥:٢٨٨—١٦):

أراني كيفَ أكتَسِبُ ٱلمَعالي ، وأعطاني على الدهر ٱلذماما ،
وربّاني فَفُقتُ به ٱلبَرايا ، وأنشأني فَسُدتُ به ٱلأناما .

ولكن يبدو ان عداء بني حمدان لفرع ابي فراس لم يخف بقتل سعيد ، اذ استمر واشتد مع الايام . وما كان عطف سيف الدوله على ابي فراس الا من باب التألف فقط . ان ناصر الدولة ، أخا سيف الدولة ، قد قتل سعيداً والد ابي فراس لأن الخليفة الراضي كان قد منح سعيداً ضمان الموصل وديار ربيعة. وأراد ناصر الدولة ان يستبد فرعه هو بالمقاطعة الجديدة دون فرع ابي فراس فقتل سعيداً . على ان سيف الدولة (ت ٣٥٦ هـ) وناصر الدولة (ت ٣٥٨ هـ) ظلا يخشيان من ابي فراس تطلعه الى الحكم ويحولان دونه ودون ان يبرز بروزاً ظاهراً في الحياة السياسية والادبية.

وليس بمستغرب قط ان تكون تهمة ابي فراس لابناء عمه (سيف الدولة واخوته) بأن يظل هو في الاسر وبأن يهلك فيه صحيحة (١:٨٩)

تمنّيتمُ أنْ تَفقدوني ، وإنّما تمنّيتُمُ أنْ تَفقدوا ٱلعِزَّ أصيَدا.

وحضنت أبا فراس أمه ، ونقلته في مواطن الحمدانيين :آمد وميافارقين وماردين والرقة . ولعلها اقامت به بين الموصل والرقة حقبة [١] . واخيراً استقر ابو فراس في منبـــج قرب حلب حيث كانت ولايته واقطاعه وداره منذ ايام صباه.[٢]

وتعلم ابو فراس فنون زمانـــه فتولاه الفرسان يدربونه على اساليب الفروسية واخذه المعلمون بأسباب الثقافة الراهنة كالشعر واللغة والنحو والفقه والتاريخ .وكان من اساتذته ابو ذر الشاعر وابن خالويه اللغوي [٣] . ولا ريب في ان أبا فراس افاد كثيراً من وجوده في بلاط سيف الدولة ، فقد كان هذا البـــلاط معموراً بالادباء والشعراء والعلماء والفلاسفة بما لم يجتمع مثله الا في بلاط هرون الرشيد .

ولما بلغ ابو فراس السادسة عشرة من عمره (٣٣٦ هـ) قلده سيف الدولة ولاية منبج وحران واعمالها جميعاً . وكان ولاية منبج ثقيلة الوطأة عـــلى الشاعر الشاب .

كانت منبج ثغر حلب ، فكان على ابي فراس ان يفتح احدى عينيه على حركات الجيوش الرومية التي لم تكن تترك فرصة لغزو الشام (سورية) الا انتهزتها ، وان يفتح العين الاخرى على قبائل البدو الضاربة في بادية الشام والمتنقلة بعصبياتها من مكان الى آخر ، وخصوصا بني كلاب وكعب ونُمير .

ولقد كانت الدعوة القرمطية قد تسربت الى هذه القبائل التي اخذت تهاجـــم الحمدانيين كلما سنحت لها فرصة .

ومع ميل سيف الدولة عن ابي فراس ــ تخوفاً من طموحه الى الاستبداد بالامارة ــ فأنه كان يبعثه بالغزوات المختلفة او يصطحبه معه في غزواته او يستخلفه مكانه اذا اراد ان يغزو وحده . ويبدو لنا ان سيف الدولة كان يختار في مثل هذه الاحوال لأبي فراس ما يأمن معه انتقاضه عليه. لقد كان سيف الدولة يظهر العطف والحب لأبي فراس ، وكان ابو فراس يبدي لسيف الدولة احتراماً وحباً وعرفاناً للجميل لا مطمع وراءها ، ولكن كل واحد منهما كان غير واثـــق من صاحبه او

---

١) راجع ديوان ـ ت ٦٠ ، ورقم ٢٦٤

٢) ديوان ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ، رقم ٢٦٤ : ٤

٣) راجع ديوان ـ ت ١١ ، ت ١٨ ـ ١٩

مطمئن الى وفاته .

وفي العام التالي (سنة ٣٣٧هـ)التقى المتنبي بسيف الدولةفخلق هذا الاتصال لأبي فراس مشاكل جديدة من المنافسة الادبية والسياسية : لقد اتى سيف الدولة بمنافس هو شاعر وفارس وعالم ثم اقامه في وجه ابي فراس . وصحت سياسة سيف الدولة فانقسم البلاط ادبياًقسمين :قسماًيناصر ابا فراس ويناهض المتنبي وقسمايناصر المتنبي ويعرض بابي فراس .ولا ريب في ان هذا اضعف مركز ابي فراس السياسي في بلاط سيف الدولة.

والظاهر من الديوان ان ابا فراس قد تعرض لأساءات كثار من بني حمدان بعد اتصال المتنبي ببلاط سيف الدولة، وهذه زفرة واحدة تدل على ما كان يستشعره ابو فراس من جانب سيف الدولة و تجمل نقمته منه اجمالا بيّناً (٢٦٩: ٣—٦)

وكَمْ لكَ عِنْدِيَ مِن غَدْرَةٍ ، وقَوْلٍ تُكَذِّبُهُ بالفِعالْ ،
وَوعْدٍ يُعَذَّبُ فيهِ الكَريمُ إمّا بِخُلْفٍ وإمّـا مِطَال !
صَبرنا لسُخْطِكَ صبرَ الكِرَامِ ، فهذا رِضاكَ ، فهَلْ من نوال ؟
وذقْنا مَرَارةَ كَأْسِ الصُدود ، فأينَ حَلاوةُ كَأْس الوِصال ؟

ولكن لماذا كان ابو فراس،مع نقمته الشديدة ، يحافظ على الولاء لسيف الدولة ويتواضع بين يديه ويذل له في كل امر ؟ لقد كان ابو فراس ضعيفا بجانب سيف الدولة فلم يستطع الانتقاض عليه . ولقد جرب الانتقاض بعد وفاة سيف الدولة ، ولكنه لم ينجح أيضاً.

واخيراً ضاق صدر ابي فراس من سوء معاملة الحمدانيين له فخطر بباله ان يذهب الى اعدائهم المستبدين بمصر، بني طُغج . ولا يمكن ان يكون ابو فراس قد فكر في هذه الخيانة العظمى الا اذا كانت أساءة اهله له قد بلغت الذروة . ويبدو ان ابا فراس قد اسر ذلك الى غلامه منصور ، او أنه فرّج كربه باعلان ذلك في شعره على الاقل (٦٠: ١—٢):

أيا منصورُ ، خانَتْني ثِقَـاتي فَمَهِّدْ لي عـلَى العَدوي سَرْجي.

فما لي لا أزورُ بني طُغجٍ • بنو حَمْدان حُسّادى جميعاً (١)؟
بعقوة عُمرهم فيبرّ حجّي • أحجُّ إليهمُ حجَّ أعتضادٍ!

ولكنه لم يذهب اليهم .

في هذه الحقبة كان الخلاف بين افراد الاسرة الحمدانية قد استفحل ، ولكن ذلك لم ينسهم ان يكونوا كلهم اعداء لابي فراس ، وخصوصاً سيف الدولة . في مثل ذلك يقول ابو فراس (٣:٨٣ــ٦٤) مخاطباً سيف الدولة :

قد كنتَ عُدّتيَ التي أسطو بها • ويدي إذا اشتدّ الزمانُ وساعدي .
فرُميتُ منك بغير ما أمّلتُهُ ، • والمرءُ يَشرَقُ بالزلالِ الباردِ .
فصبرتُ كالولدِ التقيِ لبرِّهِ (كذا) • أغضي على ألمٍ لضربِ الوالدِ .

وفي هذه الحقبة ايضاً اصيب ابو فراس ــ في احدى معاركه ــ بطعنة في خده بقي لها اثر دائم ذكره الشاعر في ديوانه (٢:١٨١ ، ٣:١٨٢) .

اختلف رواة الادب في اسر ابي فراس ، فقال بعضهم اسر مرة واحدة سنة ٣٥١هـ وبقي في الاسر اربع سنوات حتى ٣٥٥هـ . وبعضهم يقول بل اسر مرتين : مرة سنة ٣٤٨ هـ وبقي في هذا الاسر الاول ثلاث سنوات . ثم ما كاد ينجو من الاسر الاول حتى اسر مرة ثانية سنة ٣٥١ ومكث في الاسر اربع سنوات اخرى .

وراجع الدكتور سامي الدهان ، مستخرج ديوان ابي فراس وناشره ، جميع الاصول وقارن بعض الروايات ببعض (٢) فاتضح له ان الاسر وقع مرة واحدة فقط ودام نحو اربع سنوات من شوال سنة ٣٥١ الى رجب سنة ٣٥٥ (٩٦٢ ــ ٩٦٦) . وتتلخص قصة اسره فيما يلي :

خرج ابو فراس من منبج في نحو سبعين من رجاله وغلمانه في شوال من سنة ٣٥١

(١) لا يستقيم الوزن الا اذا قلنا : بني طغج ، (بتشديد الجيم ، او بتشديد الياء) وكلا القراءتين لا وجه لها .
(٢) ديوان ، ص ١٤٥ والحواشي على الصفحات ١٤٥ ــ ١٤٧ .

(تشرين الثاني ٦٦٢) يريد الصيد . فاتفق ان كانت حملة رومية متجهة الى نواحي منبج فنشبت بين الفريقين معركة اصيب في اثنائها ابو فراس بنصل في فخذه فحمله الروم اسيراً الى خرشنة على الفرات . وعرض الروم على ابي فراس ان يطلقوا سراحه اذا اطلق سيف الدولة اسيراً في يديه منذ ٣٤٣ هـ هو اخ للبطريق (القائد) بودرس ابن مرديس (بارداس فوكاس) الذي اسر الآن ابا فراس . وكان ابو فراس قد جزع من الوقوع في الاسر ، فكتب بهذا الى سيف الدولة في اولى قصائده اليه من بلاد الروم (رقم ٨٧) والملحقة بهذه الدراسة :

دَعوتك لِلجَفْن ٱلقَريح ٱلمُسَهَّدِ ... لديّ ، وللنوم ٱلقليل ٱلمُشَرَّدِ .

ولكن سيف الدولة لم يلتفت الى طلب ابي فراس ، لأن سيف الدولة ، فيما قيل ، كان يريد ان يفتدي جميع اسرى المسلمين الذين كانوا في يد الروم لا ان يفتدي ابا فراس وحده . ولم يكن بامكان سيف الدولة ان يفعل الاولى فلم يفعل الثانية ايضاً . ولعل الاقرب الى المعقول ان سيف الدولة لم يكن يشعر برغبة خاصة في افتداء ابي فراس كيف دارت الحال .

وكان بودرس بن مرديس يأمل ان يصغي سيف الدولة لطلب ابي فراس فترك لأبي فراس حريته وسلاحه معه ووضعه في مكان خاص به لا يشرك فيه سائر الاسرى . والى هذا يشير ابو فراس بقوله (١٦٠ : ٤٦—٤٧) :

يَمُنّونَ أنْ خَلّوا ثِيابي ، وإنّما ... عَليّ ثِيابٌ مِن دِمائِهِمُ حُمْرُ
وَقائِمُ سَيْفٍ فِيهِمُ أنْدَقّ نَصْلُه ، ... وأعقابُ رمحٍ فيهم حُطِّمَ ٱلصَّدْرُ

ولم يطلب ابو فراس في هذه القصيدة من سيف الدولة ان يفتديه ، وان كان قد اظهر الشكوى من حاله وافتخر بايامه وألمح الى ان بني حمدان سيندمون غداً اذا خاضوا المعارك وهو ليس معهم (١٦٠ : ٤٨) :

سَيذكُرُني قومي إذا جَدّ جِدُّهم ، ... وفي ٱللّيلة ٱلظّلْماء يُفتَقَدُ ٱلبَدْرُ .

ولكن سيف الدولة تغافل عنه ولم يبال شكواه . وثقلت على ابي فراس الجراح (التي نالته يوم اسره) واشتد عليه الألم منها ، فكتب الى امه العجوز يصبرها ويدعوها الى ان تتأسى من قبل باسماء ذات النطاقين لما قتل ابنها عبد الله بن الزبير في حرب الحجاج بن يوسف ثم صلب ، او بصفية بنت عبد المطلب التي قتل أخوها حمزة في معركة أحد . وفي آخر هذه القصيدة يوحي اليها بأن تشفع له عند سيف الدولة فلعله يفتديه (٢٥٩ : ٤—٥ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٨— ٣٩) :

وَمَا نَالَ مِني الأَسرُ ما تَرَيانهِ ... ولكنني دامي الجِراحِ عَلِيلُ :
جِرَاحٌ تَحَامَاها الأُسَاةُ مَخوفَةٌ ، ... وَسُقْمَانِ بادٍ منهُمَا وَدَخِيلُ .
فَيا أُمَّنا ، لا تَعْدَمي الصَّبرَ ، إنّهُ ... إلى الخَيْرِ وَالنُّجحِ القَريبِ رَسولُ .
أَمَا لكَ في ذاتِ النِّطاقَيْنِ أُسوةٌ ... بمكّةَ وَالحربُ العَوانُ تَجولُ !
تَأسّيْ ! كَفَاكِ اللهُ ما تَحْذَرِينَه ... فقد غالَ هذا الناسَ قَبلَكِ غُولُ ! (١)
وما دامَ سَيْفُ الدولة القَرمُ باقياً ... فَظِلُّكِ فَيّاحُ الجَنابِ ظَلِيلُ .
عسَاهُ ، وَقد أَحسَنْتُ ظنّاً بفَضْلِهِ ، ... يَجودُ بتخليصي لكم وَيُنيلُ .

وخرجت والدة ابي فراس من منبج ودخلت على سيف الدولة في حلب تستعطفه وتسأله فكاك ابنها من الاسر ، فردها ولم يقض حاجتها . ثم بدا لسيف الدولة ان يتشدد في معاملة اسرى الروم ، فقيد البطارقة (القواد) الذين كانوا عنده في ميافارقين وحلب بالسلاسل . « واتخذ الروم بحق الاسرى العرب تدابير ثأرية » فقيدوا كبار اسراهم وفيهم ابو فراس ايضاً ، وكان لا يزال في خرشنة . وبلغ ذلك الى امه ورأت الامر عظم على ابنها فاعتلت من الحسرة . فلما علم ابو فراس بمرض امه ، وبسبب ذلك المرض ، كتب الى سيف الدولة يعاتبه عتابا رقيقاً (رقم ٢٦٥) :

يا حَسرَةً ما أكادُ أحملُها ... آخرُها مُزعِجٌ وأوّلُها !

---

١) غال الناس غول : اهلكتهم المصائب والمهالك المختلفة .

عليلةٌ بالشآم مفردةٌ باتَ بأيدي العدا معلِّلها.
يا من رأى لي القيودَ موثقةً، على حبيب الفؤاد أثقلها.
سمحتُ مني بمهجة كرمت أنتَ على يأسِها مؤمِّلها.
إنْ كنتَ لم تبذلِ الفداءَ لها فلم أزلْ في رضاكَ أبذلُها.
أرحامُنا منك لِمْ تقطِّعها ولم تزلْ دائباً تُوصِّلها (١).

ولكن هذه القصيدة الوجدانية الرائعة لم تحرك سيف الدولة قط. واشتدت العلة بأم ابي فراس حسرة على ابنها فماتت. فرثاها ابو فراس بقصيدة رقيقة (١:١٦٣، ٧-١٤، ١٥، ١٩):

أيا أمَّ الأسير، سقاكِ غيثٌ. بكُرْهٍ منك ما لقيَ الأسيرُ!
وقد ذقتِ المنايا والرزايا ولا وَلدٌ، لديكِ، ولا عشير (٢).
أيا أمّاهُ، كم سرٍ مصونٍ بقلبك، مات، ليس له ظهور!
أيا أمّاهُ، كم بشرى بقربي أتتكِ ودونها الأجلُ القصير!
نُسلّى عنكِ أنّا عن قليل الى ما صِرْتِ في الأخرى نصير.

ومر عامان على ابي فراس في الاسر وهو لا يزال في خرشنة. ويظهر ان ابا فراس اتفق مع ملك الروم نقفور الثاني الفقاس (فوكاس)، الذي تولى العرش عام ٩٣٦ م بعد اسر ابى فراس بقليل، على طريقة لتبادل كبار الاسرى من الجانبين. فكتب ابو فراس بذلك الى سيف الدولة، ولكن سيف الدولة لم يعر كتاب ابي فراس شيئاً من الاهتمام. فاعاد ابو فراس الكرة وكتب الى سيف الدولة، يعتب عليه ويستبطىء امره. فغضب سيف الدولة وكتب الى ابي فراس يقرّعه على لجاجته.

١) اقرأ: ولم تزل دائماً توصلها، او يكون المعنى: لماذا تقطع ارحامنا الآن مع انك كنت من قبل تدأب في توصيلها.

٢) زوج.

حينئذ ارسل ابو فراس الى سيف الدولة قصيدة منها (١٩٧ : ١٩ — ٢١ ، ٢٥) :

أقمتُ بأرضِ الرومِ عامينِ لا أرَى   من الناسِ محزوناً ولا مُتَصنِّعا (١).
إذا خِفتُ من أخوالِيَ الرومِ مرّةً   تَخَوَّفتُ من أعمامِيَ العُرْبِ أربعا.
وإن أوجَعَتْني من أعاديَّ شِيمةٌ   لَقِيتُ من الأحبابِ أدهى وأوجعا.
تَنكَّرَ سيفُ الدينِ لمّا عتبتُهُ   وعرَّضَ بي تحتَ الكلامِ وقرَّعا.

وفقد الروم الامل من ان يقبل سيف الدولة الفداء الجزئي (فداء ابي فراس بابن اخت ملك الروم) ، لأن سيف الدولة ظل متمسكا برأيه الاول ، وهو الايقوم بفداء الا اذا استطاع ان يفتدي جميع من بايدي الروم من المسلمين دفعة واحدة . عندئذ نقل الروم ابا فراس من خرشنة الى القسطنطينية ، ايذانا منهم بأنهم هم ايضا بدلوا رأيهم في الفداء الجزئي ، وانهم سيعاملون الاميرابي فراس معاملة سائر الاسرى ، وان اسره سيطول ايضاً . فقال ابو فراس قصيدته السادسة عشرة في الديوان ، وفيها تعريض ظاهر بسيف الدولة . ولكن سيف الدولة استمر في تجاهله امر ابي فراس .

غير ان ملك الروم عاد الى ملاينة أبي فراس ، ذلك لأن اسرى الروم في يد المسلمين كانوا قليلين جداً ، بينما كان اسرى المسلمين عند الروم ثلاثه آلاف . من اجل ذلك أضرب ملك الروم عن الاهتمام بخروج جميع المسلمين من يده ، بل كان يود ان يخرج الامير ابو فراس وحده اذا كان بالامكان ان يخرج ابن اخته (٢) بهذه الطريقة. ولقد اعفي ابو فراس وهو في القسطنطينية من امور كثيرة كانت تفرض على الاسرى. ثم ان ملك الروم اتفق مع ابي فراس على صورة للفداء ذكرها ابن خالويه في مقدمة القصيدة ٢٦١ من الديوان وذكر قول ابي فراس (ص ٣٢٣ — ٣٢٤) : « فكان في ايديهم (اي في ايدي الروم) ثلاثة آلاف اسير .. فابتعتهم بمائتي الف دينار رومية وخرجت بهم من القسطنطينية . ثم اني تقدمت بوجوههم (باشرافهم) الى خرشنة .

١) لا ارى احداً يحزن فعلاً لما اصابني او يتصنع الحزن على الاقل .

٢) لما اسر ابو فراس كان على عرش القسطنطينية ثلاثة ملوك . والملموح ان ابن اخت ملك الروم هذا هو اخو يودرس بن مرديس القائد .

ولم يُعقد قبلها فداء مع اسير ولا (عُقدت) هدنة . ولكن يبدو ان هذا المشروع لم يتم فلم يوقع سيف الدولة الفداء وبقي المسلمون وابو فراس في الاسر امداً جديداً.

على ان الدكتور سامي الدهان (١) يقول: «وفي اليوم الاول من شهر رجب سنة ٣٥٥ (حزيران ٩٦٦) خرج ابو فراس بثلاثة آلاف اسير الى خرشنة ، ووصل اليها سيف الدولة باسراه فدفع ستمائة الف دينار رومية . وتم الفداء بعد اربع سنوات من اسر ابي فراس»، مما يوحي بأن مشروع ابي فراس الاخير قد تم ، او ان الفداء حدث في ذلك الحين على الصورة التي رآها ابو فراس لأنها كانت الصورة المألوفة في الفداء بين الروم والمسلمين .

وبعد مدة يسيرة من خروج ابي فراس من الاسر مرض سيف الدولة ــ او اشتد عليه المرض فيما يُروى ــ وساءت حالة الدولة الحمدانية . ويبدو لنا ان سيف الدولة كان ايضاً قد تناسى تلك الجفوة التي كانت بينه وبين ابي فراس فولى ابا فراس على حمص . الا ان سيف الدولة لم يعمّر بعد ذلك طويلا ، فقد توفي في صفر من سنة ٣٥٦ (كانون الثاني ٩٦٧) فخلفه ابنه ابو المعالي ، وكان سيف الدولة قد جعل الوصاية على ابي المعالي ــ لصغر سنه ــ الى حاجبه الغلام التركي قرغويه .

طمع الآن ابو فراس بالاستبداد بحمص طموحاً الى التغلب على الدولة الحمدانية واعتقاداً منه بانه يستطيع ان ينال من ابي المعالي بالمطاولة والدهاء ما لم يستطع نيله من سيف الدولة . ولكن قرغويه حارب ابا فراس على ذلك عند قرية قريبة من حمص تدعى صدد . فسقط ابو فراس قتيلا في المعركة (٢) يوم السبت في الثالث من جمادى الاولى ٣٥٧ (٤ نيسان ٩٦٨) .

١) الديوان ، ت١٤

٢) الديوان ، ص ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ .

عناصر شخصيته *

وصف ابو فراس نفسه في شعره بصفات جميلة جداً ، فهو حازم ، أبيّ ،صبور ، جريء في الاقوال والاعمال ، وقور ، ذكي ، أريب ، عفيف ، شجاع ، ودود ، شهم يبذل نفسه دون قريبه وصديقه ومولاه . ثم هو بشوش ،دمث الاخلاق و«ابن نعمة » لا يبطر بالغنى ولا يحمله الفقر على أن يبخل ،بما تملك يداه ،على المحتاجين . وهو يجعل ماله وقاية لعرضه وسمعته (١). ويظهر ان ابا فراس كان جميلا (٢) حسن القوام ، اسود الشعر ، فقد قال يصف شيبه (١:٦٢) «حل رأسي جيشان روم وزنج» ، فالزنج كناية عن شعره الأصلي الاسود ، والروم كناية عن شعره الذي شاب فابيضّ أو صهب (٣) قبل أن ينقلب أبيض خالصاً . هذا ما لم يكن المتنبي قد عرض بـــه في حدى قصائده فذكر انه قصير ، بطين ، جاهل ، مغرور . قال المتنبي يخاطب سيف لدولة ويعرض باعدائه (٤) :

أُعيذُها نظَراتٍ منك صادقــة أن تحسب الشحمَ في مَن شحمُه ورمُ

وجاهلٍ مَدَّهُ في جهله ضَحِكي حتّى أَتَتْهُ يدٌ فرّاسةٌ وَفمُ

والمفهوم عن ابي فراس أنه شاب باكراً ، فقد بدأ شيبه في العشرين ثم شمط رأسه

---

*) نشر هذا الفصل في مجلة العرفان ، صيداء ، المجلد ٤١ ، الجزء الخامس (رجب ١٣٧٣ — آذار ١٩٥٤) ، ص ٤٩٧ — ٥٠٨ .

١) راجع القصيدة ١٦ في ديوانه

٢) ١٦٠ : ٣٤ — ٣٧

٣) صهب : مال الى الحمرة او الشقره (القاموس)

٤) التبيان ٣ : ٣٦٦ و ٣٦٨

في الخامسة والعشرين (١) :

أخا عِشرينَ شيَّبَ عارِضَيْهِ مريضُ اللحظِ في الحَدَقِ الصِحاحِ.

وما زادت على العِشرين سِنّي فما عُذرُ المَشيبِ إلى عِذاري!

شَعَراتٌ في الرأسِ بيضٌ وغُنجٌ(٢) حلّ رأسي جيشان: رومٌ وزنجُ.

أيّها الشيبُ، لِمْ حَلَلتَ برأسي؟ إنّما لي عَشرٌ وعشرٌ وبَنجُ (٣).

ولما كان ابو فراس في الاسر (في أوائل الثلاثين من عمره) كان الشيب قد عم أكثر رأسه (١٩٧ : ١٤) :

وها أنا قد حلّى الزمانُ مفارقي وتوّجني بالشيبِ تاجاً مُرَصّعا

واذا نحن قلنا ان ابا فراس كان فقيراً فليس معنى ذلك انه كان معدماً أو معوزاً، ولكننا نعني انه ، لمكانه من الامارة والوجاهة ، كان يحتاج الى مال كثير ، وهو لم يكن يجد مقداراً منه عظيما في يديه . ولذلك قال(٤) :

وما لِلمَالِ يُزوى عن ذويه ويُصبحُ في الرَعاديدِ الشِحاحِ (٥)؟

وابو فراس لم يكن يريد المال حتى يجمع منه مبالغ يدّخرها ، بل كان يريده لينفقه في وجوه حاجاته : يفدي الاسرى او يرد فضوله على المحتاجين ، أو يجعله سبباً لحفظ كرامته والدفاع عن شرفه (١٦٠ : ٣٦ـ٣٧) :

ولا راحَ يُطغيني بأثوابه الغِنى ولا باتَ يثنيني عن الكرم الفقرُ.

---

١) شمط الرأس : خالط سواده بياض . راجع ٦٥ مكررة : ٧ (ص٦٣)، ١٧٣ : ٣، ٦٢ : ١ـ٢

٢) وغنج «؟» : هل الواو حرف عطف ام حالية ؟

٣) بنج بالفارسية خمسة

٤) ٦٥ : ٢٠ (ص٦١)

٥) يزوى في الاصل يزوي . الرعديد : الجبان

وما حَاجَتي لِلْمال بَغْيُ وُفورِهِ، إذا لم أَفِرْ عِرْضي فلا وَفَرَ الوَفْرُ

ومع العلم ان ابا فراس لم يعمر الا جيلا واحداً من الدهر او اكثر قليلا فانه كان واسع الاختبار بلا ريب، فهو يقول (٢٠:١ــ٣) :

ولا تَصِفَنْ الْحَرْبَ عِنْدي، فإنّها طَعَامِيَ مُذ بِعْتُ الصِّبا وشَرابي.
وقد عَرَفتْ وَقْعَ الْمَسَابِر(١) مُهجَتي وَشُقِّقَ عن زُرْق ٱلنُّصول إهابي
وَلَجَّجْتُ (٢) في حُلوِ الزمانِ ومُرِه وأَنفقتُ من عُمْري بغَيْر حِسابِ.

ولا غرابة في ان يقول ابو فراس عن نفسه انه عالم ثم يفتخر بذلك(١٥:٣٠٦):

فمَنْ شاء فلْيَفْخَرْ يَجِدْ فخْرَ فاخرٍ، ومن شاء فَلْيَنْطِقْ يَجِدْ نُطْقَ عالمِ.

فانه واسع المعرفة بالاخبار وبالتاريخ سعة تدعو الى الدهشة فعلا، وخصوصاً في ما يتعلق من الاخبار بايام العرب والفرس وبتاريخ قومه هو على الاخص. ثم انه واسع المعرفة ايضاً بابواب اخرى من العلم كالفلك مثلا. وانا لا احب ان استعرض تفاصيل معرفته هذه فان ذلك يحتاج الى صفحات كثار ويخرج بنا عما نحن في سبيله(٣). على ان الذي يلفت النظر ليس احاطته بتلك المعارف بل حسن تصريفها في شعره. اما كثرة مطالعته للشعر فظاهرة في اسلوبه ومعانيه ظهوراً كبيراً.

*

في ايام ابي فراس كان الشعور (بالرابطة العربية) قد برز بروزاً ظاهراً. لقد

---

١) المسبار : آلة تختبر بها الجروح.

٢) خاض

٣) [٩٠٨،٤:٢٣] راجع في ذلك كله ٢٨:٨٨ وما بعده، ٣٦ وما بعده، رقم ١١٨ و ١١٨ مكررة [ص١٠١ ــ ١٧٠] مع مقدمتها ٢٣،١٧:٢٥٩،١٨:١٢٦ ــ ٢٤ [ص٣١٦،٣١٥] ٦٩:٢٨٣ ٣٠١،٥٨ : ٨ وما بعده ٥٤:٣٣٢،١٨:٣٠٧ ــ ١١:٣٤٥،٦٣ ــ ١٩،١٣ ــ ٢٤ . وفي الفلك خاصة ٧:٣٠٤،٣:١٧٤.

رأينا ذلك من قبل عند أبي تمام ثم عند المتنبي بعد نحو قرن من الزمن. وينتظم ابو فراس في سلك الشعراء الذين اخذتهم العزة العربية فافتخروا بها ورأوها ذات قيمة في المجد وفي العاطفة أيضاً (١١:١١،١٨،١—٦،١١٨:١٢٤) :

يُنادِينَ بَينَ خِلالِ البيو ت: لا يَقْطَعِ اللهُ نَسْلَ العَرَبْ.
ـ أسيفَ الهُدى وقَريعَ العَرَبْ . . . . . .
وإنّكَ لَلجَبَلُ المُشمَخِرُّ (م) لي، بَل لِقَومِكَ، بل لِلعَرَبْ.
ـ إذا العَرَبُ العَرْباءُ تَبْني عِمادَه . . . . . .

على ان شعوره بالرابطة الاسلامية كان أقوى وأبرز، وشرف النسب العربي لا يتقدم على الانتماء الى محمد رسول الله بالاسلام، والنجدة الصحيحة انما تجب للاسلام لا للعروبة، والفخر الصحيح انما هو بالاسلام وحده (٤٣:١٩،١١٨:١١٩):

ولولا رَسولُ اللهِ كانَ اعتزاؤنا لأشرفِ بَيتٍ مِن لُؤَيِّ بنِ غالبِ
ـ ففينا لدينِ اللهِ عِزٌّ ومَنْعَةٌ وفينا لدينِ اللهِ «سَيفٌ» وناصِر.

وابو فراس متدين جداً، عظيم الاعتقاد بالله والاتكال عليه، لا يرى ان النجوم تستطيع ان تنبىء بشيء ولا أن تجلب للانسان سعداً او نحساً، ولا هو يرى الناس ايضاً قادرين على ان ينفعوا أحداً او يضروه (رقم٨٥،٨٨:٢٧،٣١،٣٣):

يا مُعجَباً بنُجومِـهِ، لا النَّحسُ مِنكَ ولا السعادهْ
اللهُ يَنقُصُ ما يُريـ ـدُ، وفي يدِ اللهِ الزِيادهْ.
دَعْ «ما أُريدُ» و«ما تُريـ ـدُ»، فإنَّ للهِ الإرادهْ.
ـ إذا كانَ غيرُ اللهِ لِلمَرْءِ عُدَّةً أتَتْهُ الرَّزايا مِن وُجوهِ الفوائِد

عسى اللهُ أَنْ يأتي بخيرٍ فإنَّ لي عوائدَ من نُعماه غيرَ بوائِـدِ
فكَمْ شاني من قعر ظلماء لم يكُنْ لِيُنقِذَني مِنْ قعرها حشدُ حاشدِ

والحمية الدينية في شعر ابي فراس بارزة جداً، فهو لا يكتفي بان يطمئن الى الاسلام ويتمدح به، بل هو ينفر من النصارى نفرة شديدة مصحوبة بالتحدي. وليس ذلك غريباً في ديوان شاعر مثل ابي فراس، فان عصره كان عصراً فرق الناس بحسب اديانهم ومذاهبهم الدينية ايضاً في الشرق والغرب معاً (٨٧: ٦، ٧، ١٤، ١٦، ٣٠٧: ٤٠، ٤٧: ٣٣٢ راجع ما بعدها ايضاً):

ولكنني أختارُ موتَ بني أبي على صهواتِ الخيلِ غيرَ مُوسَّدِ (١)
وتأبى (٢) وآبى أن أموتَ مُوسَّداً بأيدي النصارى موتَ أكمدَ أكبدِ (٣)
أُناديك، لا أني أخافُ من الردى ولا أرتجي تأخيرَ يومٍ إلى غدِ
ولكنْ أنفتُ الموتَ في دارِ غُربةٍ بأيدي النصارى الغُلفِ (٤) ميتةَ أكمدِ
فقُلْ لابنِ فُقّاس (٥) دعِ الحربَ جانباً فإنك روميٌّ وخصمُك مسلمُ.
أسيفَ الهدى (٦) من حدِّ سيفِك يُرتجى يومٌ يُذِلُّ الكفرَ للإيمانِ.

*

ان بني حمدان كلهم شيعة، ولكن تشيع ابي فراس بارز جداً. ثم ان في تشيعه قضية تستحق التأمل. لقد حرص الحمدانيون على ان يكونوا درءاً للدولة العباسية

١) الموسد: اي في فراشه
٢) يخاطب سيف الدولة
٣) حزين مغتاظ
٤) الاغلف: الذي لم يختتن: كناية عن النصارى
٥) نقفور فوقاس قائد الجيوش الرومية
٦) سيف الدولة

والخلافة ببغداد متناسين في سبيل الدفاع عن بلاد الاسلام كل اختلاف في الرأي. ويبدو ان ابا فراس شرك قومه في رأيهم السياسي، ولكنه لم يشركهم في رأيهم المذهبي (السكوت عن موقف العباسيين من آل البيب قديماً وحديثاً) فقد ندد بافاعيل العباسيين بآل البيت تنديداً شديداً (١). ان هجاء ابي فراس للمبرقع الخارجي قرمط الذي ثار، على العباسيين، يدل على ان ابا فراس قد فرح بقتله. ولكن هذا لم ينسه أن يهجو العباسيين ويذكر ما ألحقوه بآل البيت من الظلم.

ولا ريب في ان ابا فراس كان، كسائر بني حمدان، من الشيعة الامامية (الاثني عشرية) بما هو باد في اماكن مختلفة من ديوانه. ولكن بينما كان بنو حمدان عموماً لا يتظاهرون بمذهبهم الشيعي، أو لا يحفلون بان يظهر عليهم اثر التشيع، لأن جهودهم كانت موجهة في الدرجة الاولى الى بلوغ مآربهم السياسية، فان ابا فراس كان شديد التظاهر بالمذهب الشيعي: في التمدح باسلافه او في مهاجمة خصومه.

*

على ان ابرز عناصر الشخصية في ابي فراس أنه فارس شجاع، فيه جميع معاني «الفروسية والفتـّوة» من كرم وشهامة ووفاء للصديق والعدو، ومن احترام للمرأة وعفة باللغة وكتمان للسر. وحسبك ان تعلم انه لما تبين له يوم اسره ان «الفرار ينجيه من الموت» فضل أن يظل في الميدان يقاتل مع قلة من كان معه من الجند على ان يهرب بنفسه فينجو (١٦٠:٤٠–٤١):

وَقالَ أُصَيْحابي : « الفِرارُ أَوِ الرَّدى » ،

فَقُلْتُ : « هُما أَمْرانِ أَحْلاهُما مُرُّ » .

ولكِنَّني أَمْضِي لِما لا يَعِيبُني وحَسْبُكَ مِن أَمرينِ خَيرُهُما الاسرُ!

والتهور ظاهر في شجاعة ابي فراس، ولكنه هو يذكر دائماً عن نفسه انه بصير بالعواقب. اما انهزامه احيانا واسره فانهما كانا مقدرين عليه بقضاء الله (٢٢:٢،

(١) راجع ايضاً ت ١٧ «من مقدمة الجزء الثاني»

١٦٠ : ٣٨ — ٣٩ ، ٢٢ : ١٠ — ١٤) :

ــ وَما أَدَّعي أَنَّ ٱلخطوبَ فَجَأْنَني ، لقد خَبَّرَتْني بالفراق النواعِبُ (١)
ــ أُسِرْتُ وما صَحْبي بعُزْلٍ لدى الوغى ولا فَرَسي مُهْرٌ ولا رَبُّهُ غُمْرُ (٢) .
ولٰكِنْ إذا حُمَّ القَضاءُ على آمرىءٍ فَلَيْس له بَرٌّ يَقيه ولا بَحْرُ .
ــ تَكاثَرَ لُوّامي عَلى ما أصابَني ، كأَنْ لم تَنُبْ إلاّ بأَسري النوائِبُ
يَقولونَ : «لم يَنظُرْ عَواقِبَ أَمرِهِ » ومِثْلي من تجري عَلَيْهِ العَواقِبُ
أَلَمْ يَعلَمِ الذُّلاّنُ (٣) أَنَّ بَني الوغى كذاكَ سَليبٌ بالرماح وسالبُ ؟
أَرَى مِلْءَ عَيْنَيَّ الرَّدى فأَخوضُهُ ، إذِ ٱلْمَوْتُ قُدّامي وخَلفي المَعايبُ
وإنَّ وَرَاءَ ٱلحزمِ فيها ودونَها مواقفَ تُنْسَى دونَهُنَّ ٱلتَّجارِبُ .

ومع كل شجاعة ابي فراس وتهوره فانه كان يخاف الموت . غير انني لا ارى انه كان يخاف ألم الموت فيجبن عن لقائه ، ولكنه كان يرى ان انتهاء حياة الانسان «امراً فظيعاً » . ان الشجاعة والرئاسة والفخر والسرور ، كل هذه تنتهي اذا حمل الانسان الى التراب ، فأي قيمة اذن لهذا الجهاد المستمر ؟ (٢٠١ : ١ — ٥) :

أَيا قَلبي ، أَما تَخْشَعْ ؟ ويا عِلمي ، أَما تَنْفَعْ ؟
أَما حَقّي بأَنْ أَنظُـ ـرَ للدنيا ومـا تَصْنَعْ ؟
أَمـا شَيَّعْتُ أَمثالي إلى ضِيقٍ من ٱلْمَضْجَعْ ؟
أَما أَعلَمُ أَنْ لا بُـدَّ لي من ذلك ٱلْمَصْرَعْ ؟

«١» الناعب : الغراب ينذر الناس بالفراق والشتات

«٢» أعزل : بلا سلاح المهر : ولد الحصان كناية عن صغر السن وقلة الاختبار . غمر : جاهل .

«٣» الذليل

أيا غَوثَاهُ ، يا اللهُ هذا الأمرُ ما أفظَعْ .

وابو فراس فوق ذلك كله عظيم الوفاء للصديق وللعدو ، كتوم للسر ، بعيد عن الغــدر ، فهو يقول في ذلك كله (رقم ٣٢١، ٣٣٤: ١ — ٣، ٥٢: ١) :

وَيَغْتَابُني من لو كُفيتُ اغتيابَه(١) لـكنتُ له العَيْنَ البصيرةَ والأذْنا

وعِنْدي من الأخبارِ ما لو ذكرْتُهُ إذاً قَرَعَ المُغْتاب من نَدَمٍ سِنّا

ـ وإني لأَرْوي هَجْرَهُ فَيرُدُّني هوىً بينَ أثناء الضلوعِ دَفينُ

فيَغْلُظُ قَلبي ساعةً ثمّ أنْثني و (أقسو) عليهِ تارةً وألينُ

وقد كان لي عن وُدّهِ كُلُّ مَذهبٍ ولكنّ مِثلي بالإخاء ضَنينُ !

ـ فَدَيْتُك ما الغَدْرُ من شِيمَتي قديماً ، ولا العجزُ من مَذهبي .

ويرى ابو فراس ان يظل على وفائه حتى لأولئك الذين يخونون عهده ويحولون عن صداقته أو يغدرون به ، سواء أكان هؤلاء من الذين احبهم أو من الذين صافاهم المودة والاخاء (١٦٠: ١٣، ٩٦: ٣ — ٥، ٧: ١١) :

ـ وَفَيْتُ وفي بَعْض الوَفَاء مَذلةٌ لآنسةٍ في الحيّ شيمتُها الغَدْرُ .

ـ ولمّا أساءَ الظَنّ بي من جعلتُهُ وإيايَ مثلَ الكفِّ نيطَتْ إلى الزَّندِ

حملتُ إلى ضَنّي بهِ سُوءَ ظنه(٢) وأيقنْتُ أنّي بالوفا أمّة وحدي

وإني على الحالينِ في العتْبِ والرضى مقيمٌ على ما كان يَعرِفُ من وُدّي

ـ جازَيتَني بُعداً بقُربي في الهوى ومَنَحتَني غدراً بحُسْن وَفائي

١) اختار الناشر « كفاني غيبه » في المتن . وقد اثبت في الحاشية قراءتين ، من مخطوطين آخرين ، هما « كفاني اغتيابه » و « كفيت اغتيابه » وهي اصح وزناً .

٢) غفرت له سوء ظنه لضني به (حباً به وبالابقاء على صداقته)

على انه قد يرى احيانا انه لا يجوز لانسان ان يبلغ به الحلم مبلغ الجهل ، ولا كثرة الوفاء الى ان يوصم بالغباوة أو ان تنتزع منه الكرامة الانسانية (٨٦: ١١، ١٢٤: ٥):

ـ وَإِنَّا لَنَرمي الْجَهْلَ بالْجَهْلِ مَرَّةً　　إذا لم نجِدْ منه عَلى حَالَةٍ بُدَّا

ـ هَيْهاتَ ، لستُ أبا فرا　　سٍ إنْ وَفَيْتُ لمن غَدَرْ

وهناك أمر يحتاج الى تأمل كبير . ان ابا فراس يتمدح بالعفة كثيراً في شعر وجداني صادق ، ولكن له اشعاراً يستهتر فيها في طلب اللهو . فأي هذين الوجهين من السلوك اصح في شأن ابي فراس ؟ انك بينما ترى ابا فراس يقول (١٦٠: ٣٤ـ٣٥):

وساحِبةِ الاذيال نحوي لَقِيتُها　　فلَمْ يَلْقَها جَهْمُ اللقاء ولا وَعْرُ

وَهَبْتُ لها ما حازَهُ الجَيْشُ كُلَّهُ　　وَرُحتُ وَلم يُكْشَفْ لأَبْياتِها سِتْرُ

وسوى ذلك مما يتصل بهذا المعنى ، اذ تراه يقول (٢٨٧: ٨، ١٥٩: ٢ـ٣):

فما في طَلَبِ اللهوِ　　عَلى الشُّبَّانِ مِنْ عارِ

ـ ولقد رأيتُ السَّبْيَ يُجْ　　لَبُ نحوَنا حُوّاً وحُورا(١)

نَخْتارُ مِنْهُ الغادةَ الـ　　حَسْناء وَالظَّبْيَ الغَرِيرا

او تراه يستهتر في غزله المذكر حتى يبلغ شيئاً كالكفر (١٢٠: ١ـ٣):

قَال لي مَوْلايَ لما　　أَنْ طَغى وَجْدي وجارا

وَتَشَكَّيْتَ عليه　　أَن في الأحشاء نارا :

« لا تُطِلْ ، لستَ تَراني　　أَوْ تَرى اللهَ جِهارا ».

١) الحوة ميل الشفتين الى السمرة . الحور شدة بياض بياض العين وشدة سواد سوادها .

ولما بسط ابو فراس غايته من الحياة ، كما فعل طرفة في معلقته (١) ، اقتصر على شرب الخمر واللهو بالنساء (رقم ١٨٨) :

لولا الغُبوقُ وحَثُّ الكأسِ مُصطَبِحاً
والجاشرية بَيْنَ الصُّبحِ والغَلَسِ (٢)
وَما أُرَجّيهِ من وَصلِ الحِسانِ بها
لما شكا هزَّ أطرافِ القَنا فَرَسي .
ما كُنتُ أبذُلُ نفسي للرماحِ ولا
ألقى الكميَّ بقلبٍ غيرِ مُختَلِسِ (٣)

والذي يلفت نظرنا ان غزل ابي فراس العفيف يأتي في ثنايا قصائده الطوال بينما غزله المستهتر يأتي في مقاطعه المستقلة مما يدل عادة على ان غزله العفيف عنده غزل تقليدي وان الاستهتار في اللهو اقرب الى نفسه .

ثم يبدو لنا بوضوح ان وجود الروم في الشام (سورية) خاصة ، كوجود الفرس في العراق خاصة (٤)، جعل الوصول الى اللهو يسيراً على الشبان . فعيد الميلاد كان من مناسبات اللهو (رقم ١٣٣) :

يا طيبَ ليلةِ ميلادٍ لهوتُ بها
بأحورٍ ساحرِ العينَينِ ممكورِ (٥) .

واما الاديرة فقد كان كثير منها ، منذ أمد طويل قبل ابي فراس ، مراتع للهو . ويظهر ان ابا فراس ايضاً كان يرتادها لمثل ذلك (١٦٨ : ٩-١٢) :

سَقى اللهُ أياماً ، بسبطانِ فالاوى
إلى بَلَدٍ غيثاً تهلّلَ بالقَطرِ
إلى دَيرِ سابا والصوامعُ حولَهُ
إلى ديرِ مَتّى كُلُّ مُنبَجِسٍ يسري (٦)

---

١) ولولا ثلاث هن من لذة الفتى ...
٢) الغبوق : شرب الخمر مساء . الجاشرية : شرب الخمر - .
٣) غير مختلس : واع ، كناية عن الشجاعة .
٤) راجع : ابو نواس للدكتور عمر فروخ (الطبعة الثالثة) ص ٨٢ وما بعدها
٥) الممكور : حسن القوام مع امتلاء الجسم
٦) «كل» في الاصل مرفوعة ولعل النصب اصح فتكون حينئذ مفعولا به متعدداً من «سقى» في البيت الاول .

قَديرُ الشياطِينِ الذي لم أَزَلْ به أُواصِلُ لَذّاتي عَلى سَالِفِ الدَّهرِ .
منازِلُ كنّا نَعْهَدُ اللَّهوَ والصِبا بها ونُديمُ السُكْرَ سُكْراً عَلى سُكْرِ .

على اننا لو رجعنا الى مجموع شعر ابي فراس ، والى مجموع عناصر شخصيته ، لوجدنا ان العفة احق بالنسبة اليه . ومع اننا لا نبرئه من شيء من اللهو الذي كان سائداً في زمانه ، فاننا نرى ان هذا التمدح باتيان اللهو لا يعدو في الحقيقة ان يكون « مجاراة لفظية » لروح عصره : انه اراد الا يخلو ديوانه من اغراض كانت موجودة عند انداده من الشعراء ، وان كان قد خلا سلوكه منها . فالعفة التي تبدو اذن تقليدية عند ابي فراس هي الوجدانية ، والتهتك الذي يبدو لنا أحياناً صادقاً هو التقليدي .

اما فيما يتعلق بالخمر فأبو فراس يبدو انه شربها ، لا شك في ذلك ، تناسياً لهمومه ، او للهو فقط او في رحلات الصيد (١٧٣:١٣، ٣٥٤:٢) :

وَكُنْتُ إذا الهُمومُ تَناوَبَتْني فَزِعْتُ من الهُموم إلى العُقارِ .
ـ باتَتْ وَبِتُّ وباتَ الكأسُ ثالِثَنا إلى الصَباح تُسقِّيني وَأَسْقيها .
ـ فَلَم نَزَلْ نَقْلي ونَشْوي وَنَصْبُ حَتّى طَلَبْنا صاحِياً فَلَم نُصِبْ .

ثم له القطعة البارعة المشهورة في الخمر ، تلك التي يقول فيها (١٧٨:١ــ٢، ٦٨) :

تَواعَدْنا بِآذارِ بِسعيٍ غَيرِ مُختارِ .
وقُمْنا نَسْحَبُ الرَّيطَ إلى حانةِ خَمّارِ .
وقُلْنا : أَوْقِدِ النارَ لِطُرّاقٍ وزُوّارِ .
فما في طَلَبِ اللَّهوِ عَلَى الفِتْيانِ من عارِ .

أما الغناء فلا ريب في انه كان يميل الى سماعه ويطلب ذلك اشد الطلب ، بينما كان

سيف الدولة لا يشرب النبيذ ، ولا يتسع وقته لسماع الغناء لاشتغاله بامـــر الدولة وبالفتوح (ص٢٤١—٢٤٢ ، راجع ص٥—٦).ومثل سيف الدولة كان المتنبي ،مع انه عاش زمناً في البيئة التي عاش فيها ابو فراس . وكذلك الصيد كان من ملاهي ابي فراس . ويبدو لنا انه كان يكثر الذهاب الى الصيد لما يذكر في شعره من آلاته وادواته واسبابه واسماء الطير والوحش ومن اساليب الصيد المختلفة . ونحن واجدون كل ذلك او أكثره في أرجوزته في الطرد، رقم ٣٦٤، وتعرف بالمزدوجة الطردية (راجع صفحة ٤٣٥ في الحاشية) .

ويلحق بهذا الباب ميل أبي فراس أحيانا الى الهزل على ان يكون مقتصداً فيـه عاقلا (٢٥٨:١—٢) :

أُرَوِّحُ ٱلقَلْبَ ببعضِ ٱلهزلِ تجاهُلاً مِني بغيرِ جَهْلِ ،
أَمْزَحُ فيه مزحَ أَهْلِ الفَضْلِ وَالمزحُ أَحياناً جَلاءُ العَقْلِ .

ولا يجوز لنا ان نُنهي الكلام على عناصر الشخصية عند ابي فراس قبل ان نذكر موقفه من أهله وموقف أهله منه .

يخبرنا أبو فراس في كل مناسبة انه يحسن لقومه وأهله بينما كان قومه وأهـــله يسيئون اليه أو يهملونه ، وخصوصاً في أثناء اسره . ألا ان له الزفرة الحرّى التي لا زفرة بعدها (٣:٨٩ :

إلى الله أشكو عُصبةً من عشيرتي يُسيئون لي في ٱلقولِ غَيْباً وَمشهَدا

اما موقفه هو منهم فظاهر في المقطوعة التي منها هذا البيت، فهو يقول(٨٧: ٤-٥) :

وإنْ حاربوا كُنتُ ٱلمجَنَّ أمامَهم وَإنْ ضاربوا كُنتُ ٱلمهنَّدَ واليَدا .
وإنْ نابَ خَطْبٌ أو أَلمَّتْ مُلمَّةٌ جَعلتُ لهم نَفْسي وَما ملَكتْ فِداء .

وشكوى أبي فراس من أهله ترد في قصائد كثار تذكّر بحال طرفة بن العبد وعنترة بن شداد في قوميهما . وان هذه المرارة التي يستشعرها ابو فراس من معاملة

اهله له تشيع في جميع شعره، ولكن بره بهم منعه من ان يُضارّهم بمثل الذي اضرّوه به.

إن فهم هذه العناصر في شخصية ابي فراس الحمداني يفتح لنا على شعره نوافذ كثيرة ويجلو من حياته جوانب غامضة. لماذا يقول ابو فراس يخاطب قومه (١:٨٩) «تمنيتم ان تفقدوني» !

على ان نقمة ابي فراس العظمى كانت من سيف الدولة. إن ابا فراس مقتنع بأن سيف الدولة لم يكن راغباً رغبة صادقة في ان يخرج هو من الاسر. وتعريض ابي فراس بسيف الدولة في هذا المقام جلي جداً. يقول ابو فراس: إن سيف الدولة «يُنهب امواله للشعراء والمقربين ويضن علي بقليل من مال يفتديني به. فاذا كان سيف الدولة لا يرعى ودادي القديم ولا نسبي في بني حمدان فليذكر انني فارس شجاع ادافع عن الاسلام وادافع عن ملكه هو ايضاً (١٦: ٣١—٣٦):

وما أدْعي ما يَعلَمُ اللهُ غيرَهُ: رحابُ عَليٍّ للعُفاةِ رِحابُ (١)
وَأفعالُهُ للراغبينَ كَريمةٌ، وأموالُهُ للطالبين نِهابُ.
وَلكنْ نَبا مِنهُ بكفّي (٢) صارمٌ وأظلَمَ في عَيْنيَّ مِنهُ شِهابُ،
وأبطأ عَنّي وَالمَنايا سريعَةٌ وللمَوْتِ ظُفْرٌ قد أطَلَّ ونابُ.
فإلّا يَكُنْ وُدٌّ قَديمٌ عَهِدْتُهُ ولا نَسَبٌ بَيْنَ الرِجالِ قِرابُ (٣)
فَأحوطُ للإسلامِ ألّا يُضيعَني ولي عَنهُ فيهِ حَوْطَةٌ وَمَنابُ.

لا ريب ابداً في ان سبب الوحشة بين ابي فراس وبين اهله ثم بينه وبين سيف الدولة خاصة، قبل اسره وفي اثناء ذلك الاسر، تعود الى اسباب عدة:

١ — كان سيف الدولة يخاف ابا فراس على امارته، إذ يبدو ان ابا فراس كان طموحاً الى الملك وكان سيف الدولة يعرف هذا منه. ولقد صدق حدس سيف الدولة

١) رحاب الاولى: ساحات منازل. رحاب الثانيه واسعة. علي: اسم سيف الدولة. العفاة: الطالبون العطاء.
٢) بكفي، كذا بالافراد في الاصل. ولعل التثنية ابلغ للتخلص الفتحة الزائدة وللموازنة مع عيني.
٣) قراب، بكسر القاف وضمها: المناسبة بين الشيئين. يقول نسبي في الشرف لا يقل عن نسب سيف الدولة.

فان ابا فراس نازع ابا المعالي ابن سيف الدولة على الامارة ولكن سقط قتيلا في المعركة.

٢ ــ كان ابو فراس صريحاً قليل الكياسة يعلن ما يضمر في وجه أصدقائه واعدائه . اما سيف الدولة فيبدو لنا انه كان سياسياً محنكا يداري العباسيين والقرامطة والبيزنطيين ولا يناوشهم الا في نطاق طاقته وخططه .

٣ ــ اننا على ثقة من أنه كان لأبي فراس آراء يخالف فيها بني حمدان وسيف الدولة، فلم يكن بالامكان ان يسود الاتفاق بين رجلي دولة يذهب كل واحد منهما في السياسة والاجتماع مذهباً خاصاً .

٤ ــ ان القلاقل الداخلية في امارة بني حمدان والحروب الخارجية مع الروم جعلتهم في حاجة ملحة الى المال ، والمال كان قليلا في ايديهم . فلما اسر ابو فراس ثم جعل يطلب من سيف الدولة ان يفتديه جعل سيف الدولة يدافعه ويؤجل موعد افتدائه تعللا بانه يريد ان يفتدي جميع الاسرى الذين كانوا في ايدي الروم مرة واحدة ولكنه عاجز عن ذلك لقلة المال في يديه . وكان سيف الدولة يعتذر لعمله هذا بانه ليس من الشهامة ان يفتدي ابا فراس وحده او مع نفر آخرين ثم يدع عامة المسلمين اسرى في ايدي الروم . وما دام الامر كذلك فيجب ان يبقى جميع الاسرى بلا فداء حتى يتيسر فداؤهم كلهم مرة واحدة .

اما ان سيف الدولة كان يرغب ان يبقى ابو فراس في الاسر وان يموت اسيراً ايضاً فظاهر في ديوان ابي فراس ظهوراً جلياً ، وانا اميل الى ان في ذلك شيئاً من الحقيقة .

خصائصه الفنيـة

ان اشهر الاقوال في خصائص ابي فراس قول الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م). قال الثعالبي(١) عن ابي فراس انه :

« كان فرد دهره وشمس عصره ، ادبا وفضلا و كرماً و نبلا ، وبلاغة وبراعـــة ، وفروسية وشجاعة . وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعذوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة . ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعد أشعر منـه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام ».

وخصائص ابي فراس عظيمة الشبه بخصائص عصره ، وخصوصاً بخصائص المتنبي ، الا انه كان أدنى درجة من المتنبي . ان المتنبي كان اعمق منه تفكيراً واجمع حكمة وامتن تركيباً وأكثر تصرفاً في فنون الشعر واعظم أثراً في عصره وأوسع شهرة . ولم يفضله ابو فراس الا بالعاطفة التي كانت مفقودة عند المتنبي ، بينما كانت عند ابي فراس تشيع في كل شعره . وانما خلد شعر ابي فراس لما فيه من العاطفة الرقيقة حيناً والجياشة أحيانا . لقد اصاب ابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) لمـــا ذكر المتنبي فقال(٢) : « اما ابو الطيب (المتنبي) فلم يذكر معه شاعر الا ابو فراس وحده . ولولا مكانه من السلطان لأخفاه » .

فرأي ابن رشيق هنا واضح ، انه يدل على ان شهرة ابي فراس تستند الى عوامل سياسية (في نسبه الحمداني وقرابته لسيف الدولة) لا الى عوامل ادبية (من تفوقه الادبي على المتنبي او بلوغه الى المستوى الادبي الذي كان يتمتع به المتنبي) . واما قول الصاحب بن عبّاد (٣) : « وكان المتنبي يشهد له (لابي فراس) بالتقدم والتبريز

١) يتيمة الدهر

٢) العمدة ١: ٨٣

٣) يتيمة الدهر

ويتحامى جانبه ، فلا ينبري لمباراته ولم يجترىء على مجاراته ، وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان (١) تهيباً له واجلالا ، لا اغفالا واخلالا » فهو قول يخالف وجه الحق . وقد علق السيد محسن الامين (٢) على قول الثعالبي تعليقاً واعيـــاً صادقاً ، فقال :

« واما انه كان لا يمدحه تهيباً وإجلالا فغير صواب . والعجب صدور مثل [هذا القول] من الثعالبى مع معرفته وفضله ، فانا لم نر ولم نسمع ان شاعراً ترك مدح احداً تهيباً وإجلالا . والصواب ان [المتنبي ترك مدح ابىفراس] إغفالا واخلالا (تجاهلا منه لقدر ابي فراس وتقصيراً منه في ان يمدح شخصاً خليقاً بالمدح) » .

ولا ريب في ان ترك مدح المتنبي لابي فراس راجع الى امرين مهمين : اولها واولاهما بالنظر تعاظم المتنبي وذهابه بنفسه فوق كل شاعر آخر ، ولاسيما شاعراً دونه سناً ودونه ــ فيما كان المتنبي يعتقد بلا ريب ــ شاعرية ومقاماً . وثاني ذينك الامرين انا لمتنبي جاء الى بلاط سيف الدولة ليغض من مقام ابي فراس الادبي والسياسى ، فليس من المنتظر ان يمدحه وينوه باسمه ويشهر مناقبه ويرفع مقامه في ذلك البلاط الذي كان اهله لا يحبون ابا فراس بل كانوا يخشونه على سلطانهم . ثم ان المنافسة كانت عظيمة بين الشاعرين ، وفي ديوان كل واحد منهما تعريض بالآخر . ألم يقل المتنبي :

أفي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْني شُويعرٌ   ضَعِيفٌ يُقاويني قصيرٌ يطاولُ؟
ــ أعِيذُها نَظَرَاتٍ منكَ صادِقَةً   أن تَحْسَبَ الشحمَ في مَن شَحْمُهُ وَرَمُ
وجاهلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ ضَحِكي   حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ « فَرَاسَةٌ » وفَمُ
ــ خليليَّ ، ما لي لا أرى غيرَ شاعِرٍ ؟   فكَم مِنْهُمُ الدعوى ومني القصائدُ؟

هذه الابيات وما يماثلها قالها المتنبي في ابى فراس بلا ريب ، فليس من المعقول ان يمتدحه بعد ان هجاه . واما شهادة الصاحب بن عباد فشهادة مجروحة لأن الصاحب كان من

---

١) مدح المتنبي ابا العشائر قبل اتصاله بسيف الدولة

٢) ابو فراس الحمداني ، الطبعة الاولى (دمشق ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م) ص ٤٨ ـ ٤٩ » .

خصوم المتنبي الالداء. وكان الصاحب هذا قد طلب من المتنبي لما ورد المتنبى الى المشرق سنه ٣٥٤ ه (٩٦٥ م) ،ان يمدحه وبذل له في ذلك عشرين الف دينار، فلم يقبل المتنبي لأن الصاحب بن عباد كان يومذاك شابا ناشئاً لم يبلغ الثلاثين من عمره، ولم يكن قد ولي الوزارة بعد.

أ ـ خَصَائِصُهُ ٱلمَعْنَوِيَّةُ

ابو فراس شاعر وجداني مطبوع مشبوب العاطفة يقول الشعر ارضاء لنفسه وتعبيراً عن آرائه لا صناعة او حرفة. وكان لا يحب لنفسه لقب شاعر بل يحب لها لقب فارس. وهذا الميل والتعالي ظاهران في اماكن كثيرة من ديوانه (٧: ٢٦، ١١٨: ٢٢٥ ـ ١١٨: ١٦٧)

وصِنَاعتي ضَرْبُ ٱلسيوف ، وإنني مُتَعَرِّضٌ في الشِعْرِ بالشُعَرَاءِ (١)
ـ نَطَقَتْ بفَضْلي وٱمْتَدَحَتْ عشيرتي وما أنَا مَدَّاحٌ ولا أنا شَاعِرُ

وكان ابو فراس ، كما يبدو من ديوانه ، كثير المطالعة ،عرف كثيراً من التاريخ كما مر معنا في الفصل المخصوص بعناصر شخصيته(٢) كما عرف شيئاً من الفلك. ثم انه كان كثير المطالعة للشعر ، وليس ذلك بمستغرب. ويظهر ان ادمانه قراءة الشعر قد طبعت اقساماً من شعره بخصائص عدد كبير من الشعراء ، وحملته على الاعجاب بهم ، نعد من هؤلاء : طرفة وعنترة والخنساء وعمر ابن ابي ربيعة والاخطل والفرزدق وجريراً وابا نواس وابا تمام. اما شبه شعره بشعر المتنبي فيمكن ان يدل على تقليده المتنبي أو على ان لغته ولغة المتنبي كانتا تمثلان لغة العصر الذي عاشا كلاهما فيه.

أعجب ابو فراس بنفر من الشعراء فقرن اسمه باسمائهم او رفع قدره فوق قدرهم صراحة (٧: ١٦٨) :

١] لعلها ، متعرض للشعر في الشعراء • اجاري الشعراء اذا كنت فيهم.
٢] ص . ع ـ ٥٣

وإني لأبكي للفراق ، كما بكت
خُناسُ وقد أمست تحِنُّ إلى صخرِ (١).

ثم هو يذكر شعر ابي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، احد ابناء عمه ، فيصفه بقوله (١٦:١٢٢) :

محكمٌ قصَّر الفرزدقُ والأخطلُ عنهُ وفاق شعرَ جريرِ .

اما تأثره بالشعراء فباد في أماكن كثار من ديوانه ، فقد اقتبس في احدى قصائده (٣:١١١) بيتاً من معلقة طرفة بن العبد (بعد ان بدل الكلمة الاولى فيه) :

عداوة ذي القربى أشدُّ مضاضةً على النفسِ من وقع الحسام المهنَّدِ .

ثم انه أعاد معنى هذا البيت في مكان آخر من ديوانه (٢٨:٦٥،ص٦٢) :

عِتابُكَ ، يا ابن عمِّ ، بغيرِ جُرْمٍ أشدُّ عليَّ من وَخزِ السلاحِ .

وكذلك اقتبس من شعر الاخطل والفرزدق (١٨:٢٤٦، ٣٠:٢٣٣) :

إن ابن عمِّكَ ليسَ يغفُلُ ، إنهُ مَلَكَ الملوكَ وفكَّكَ الأغلالا (*)
لنا العزةُ القعساءُ والشرفُ الذي أحاطَ برُكنيهِ تميمٌ ووائلُ (*)

اما ابيات ابي فراس التالية فلسنا نخطىء فيها نفس الشعراء الذي تأثر ابو فراس بهم ، سواءاً كانوا بعيدين عن زمانه او قريبين منه او معاصرين له . ان قصيدته : « ابت عبراته الا انسكابا » والتي يقول فيها (٩:٧،٨،٥٥) :

ألمْ ترنا اعزَّ النّاسِ جاراً وأمنعَهم وأمرعَهم جنابا ؟
لنا الجبلُ المطِلُّ على نِزارٍ حللْنا النجدَ منه والهِضابا .
ألم تعلمْ ومثلُك قالَ حقّاً بأني كُنتُ أثقبَها شِهابا؟

١) خناس تصغير تحبب للخنساء . صخر اخوها، مات فوقفت شعرها على رثائه .

* قال الاخطل ، أبني كليب ، ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا

* قال الفرزدق، لنا العزة القعساء والعدد الذي عليه اذا عد الحصى يتخلف .

اننا لا نخطىء فيها نفس جرير في قصيدته المشهورة: « أقلي اللوم، عاذل، والعتابا ».
وخصوصاً حيث يقول (ديوان جرير ٦٦، ٧٢) :

وما وَجدَ ٱلملوكُ أعَزَّ مِنَّا وأسرَعَ من فوارِسنا ٱستلابا.
أنا البَازي ٱلمدلُّ على نُميرٍ أتحتُ من ٱلسماء لها ٱنصبابا.
ألَسْنا أكْثر الثقلينِ رَجلًا ببطْن مِنَى وأعظَمَه قِبابا ؟

ولا نفسه في قصائد اخرى من البحر نفسه وعلى الروي نفسه ايضاً (ديوان جرير، ص ١٧ ، راجع ص ٢٢، ٦١، ٨١) :

إذا سَعَرَ ٱلخليفَةُ نارَ حَربٍ رأى الحجَّاجَ أثقَبها شِهابا.

واما مقطوعة ابي فراس القصيرة (١:٦٤ — ٣) :

قَامَتْ إلى جَارتِها تشْكو بذل وَشَجا :
أمَـا تَرَيْنَ ذا ٱلفَتى مَرَّ بنا ما عَرَّجا ؟
إن كانَ ما ذاق ٱلهوى فلا نَجَوْتُ إن نَجَـا !

فلا نخطىء فيها نفس عمر بن ابي ربيعة . اما اذا نحن قرأنا مقطوعة ابي فراس التالية (١:١٥٥ — ٤) :

ما آنَ أن ٱرتاعَ لِلشيْب ٱلمفَوَّف في عَـذاري،
وأكُفَّ عن سُبُل ٱلضَلا لِ وأكْتَسِي ثوبَ ٱلوقارِ؟
أمْ قد أمِنت ٱلحادثا تِ من ٱلغَوادي والسواري.
إني أعوذُ بِحُسْن عَفْـ ـوِ ٱللهِ من سوء ٱختياري.

فانهـا تذكرنا بما قاله ابو نواس في زهدياته من الندامة على ما فعله في شبابه ومن ثقته بعفو الله .

اما صلة اسلوبه باسلوب المتنبي فتحتاج الى بسط اوفى . اذا قرأنا ديواني المتنبي وابي فراس ادركنا ان بينهما تشابهاً في المعاني والتراكيب والنفس. ولكن من الصعب ان نرد ذلك الى ان يكون المتنبي قد اخذ من ابي فراس ، لما نعلم من تعاظم المتنبي. ثم ان المتنبي لما جاء الى حلب كان عمره خمساً وثلاثين سنة بينما كان ابو فراس في التاسعة عشرة فقط . ثم ان خصائص المتنبي الادبية كانت اوضح واوسع بينما كانت خصائص ابي فراس لا تزال في تطورها الاول . ولكن ليس من الضروري ان نرد كل شبه في المعنى او اللفظ عند ابي فراس الى انه مأخوذ من المتنبي مباشرة . ان هذه المعاني والالفاظ والتراكيب كانت شائعة في بيئة المتنبي وابي فراس . ولكن المتنبي اجاد ابرازها والتعبير عنها اكثر من ابي فراس ، وهذا راجع بلا ريب الى ان المتنبي كان اعمق تفكيراً واوسع علماً واكثر اختباراً واقدر على الشعر من معاصره ومنافسه ابي فراس . لقد كان من المنتظر والمعقول — اذا اصررنا على ان يكون احدهما قد اخذ من الآخر — أن يأخذ ابو فراس من المتنبي . فمن الابيات التي نراها عند ابي فراس بعد ان رأينا مثلها عند المتنبي قول ابي فراس (٧:٢٣، ١٥:٥ — ٦، ١١٨ *: ١٢٢، ١٩٧:٢٩، ٢٣٣ : ٢٩، ٢٥٩:١١، ٣٠١:٤، ٣٠٥:١٣، ٣٠٧:٧، ٣١٠:٤) :

مَن مُبلِغُ ٱلنُّدَمَاءِ أَني بَعدَهم ... أمسِي نَديمَ كَواكِبِ ٱلجَوزَاءِ !

— وأَعظَمُ أَعدَاءِ الرِّجالِ ثِقاتُها ، ... وأَهوَنُ من عادَيتَه من تُحارِبُ .

وشرُّ عَدُوَّيكَ الذي لا تُحَارِبُ ، ... وخَيرُ خليليكَ الذي لا تُناسِبُ .

— وساسَ أُمورَ ٱلمُسلِمِينَ سِياسَةً ... لها ٱللهُ وَٱلإِسلامُ وٱلدِّينُ شَاكِرُ .

— وَلا تَتَقلَّدْ ما يَرُوعُكَ حَلْيُهُ ، ... تَقَلَّدْ ، إذا حَارَبتَ ، ما كانَ أَقطَعَا .

وما أَنَا إلا بَعضُ مَن قد فقدتُه ... لياليَّ بَعدَ ٱلظَّاعِنِينَ قَلائِلُ .

— وصِرنَا نَرَى أَن ٱلمُتارِكَ مُحسِنٌ ... وأَنَّ صَديقاً لا يَضُرُّ خَليلُ .

— صدودٌ ما يَبِيدُ ولا يَحُولُ ... ووصلٌ مِثلَمَا يَهَبُ ٱلبَخيلُ .

ـ وإني للصَّبُورُ عَلَى الرَّزايا ولكن الكلامَ عَلَى الكلام.
ـ لقد جارتِ الأيامُ فينا بحكمِها، ومَن يُنصِفُ المظلومَ والخصمُ حاكِمُه؟
ـ يَئِسْتُ مِن الإنصاف بيْني وبيْنَه ومن لِيَ بالإنصاف والخصمُ يحكُمُ!
ـ وظَلّامةٍ قلَّدتُها حُكمَ مُهجتي، ومن يُنصِفُ المظلوم والخصمُ حاكِمُه؟

ويخيل إلي ان هذه الابيات في ديوان ابي فراس صدى لأشباهها في ديوان المتنبي. وان أيسر موازنة بين المجموعين ترينا قوة أبيات المتنبي وصحة التعبير فيها وأثر الاختبار الجلي والتفكير العميق. لقد ساق المتنبي هذه المعاني في الابيات التالية (ج١:ص١٧٠، ٣:١١٧، ٣:٣٩٢، ١:٢٩٠، ٣:٢٩٠، ٣:٢٨٧، ٣:٢٦٩، ٣:٨، ٣:٣٦٦):

من مُبلغُ الأعرابِ أني بَعدَها جالستُ رسطاليسَ والاسكندرا!
ـ وأتعبُ مَن ناداكَ من لا تُجيبُهُ وأغيظُ مَن عاداكَ مَن لا تُشاكلُ.
ـ هنيئاً لضربِ الهامِ والمجدِ والعُلا وراجيكَ والاسلام أنك سالمُ.
ـ وما أنا إلا سَمْهَريٌّ حمَلتَهُ فزيّنَ مَعروضاً وراعَ مُسَدَّدا.
ـ ليالِيَّ بَعْدَ الظّاعنينَ شُكولُ طِوالٌ، وليلُ العاشقين طويلُ.
ـ إنّا لفي زَمنٍ تَرْكُ القبيحِ بهِ مِن أكثرِ النّاسِ إحسانٌ وإجمالُ.
ـ فؤادٌ ما تُسَلّيهِ المُدامُ وعيشٌ مثلُما تَهَبُ اللئامُ.
رَماني الدَّهرُ بالأرزاءِ حتّى فؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ،
فَصِرْتُ إذا أصابتني سِهامٌ تكسَّرتِ النِّصالُ على النِّصالِ.
وهانَ فما أُبالي بالرَّزايا لأني ما انتفعتُ بأن أُبالي.
ـ يا أعدلَ النّاسِ إلّا في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وأنتَ الخصمُ والحَكَمُ.

ويبدو ان ابا فراس كان كثير التلاوة للقرآن الكريم ، فقد رأينا أثر القرآن بارزاً في شعره ، معنى ولفظاً ، نذكر من ذلك هذه الآيات الكريمة (٣:٤، ٥:٣٢، ٦٥:٣٠ و٤٣ من ص٦٢ و٦٣، ٥:٣٠٧، ٤:٣٢٧، ٥:٣٠٣، ٣:٢٠٣)، فتأمل الجمل المحصورة بين الاهلة :

ـ وَكُنتُ أَقِيكَ إلى أَن رَمَتْــكَ يد الدهر (مِن حَيثُ لا أحتَسِبُ)

ـ أَظنّاً ؟ (إنّ بَعضَ الظَنِ إثمٌ). وَمَزحاً ؟ رب جِدٌ في مُزاحِ)

ولو شِئتُ الجوابَ أَجبتُ لكن (خَفَضتُ لكُم عَلى عِلمٍ جَناحي)

ـفإن تَرغبُوا في الصُلحِ فالصُلحُ صالحٌ

(وإن تجنَحُوا للسِلْمِ) فالسِلمُ أسلَمُ .

ـ(ما كُلِّفَ الإنسانُ إلا وُسعَهُ) وَاللهُ نَصٌ بذَاكَ في القُرآنِ .

ـ لا أَحمِلُ الهَجرَ منهُ والغَرامَ به (ما كَلّفَ اللهُ نَفساً فوقَ ما تَسَعُ)

ان في هذه الابيات اقتباساً تاماً او غير تام من القرآن الكريم (١) كما نرى من الآيات التالية :

يزيد في الخلق ما يشاء (٣٥:١)ــ ان بعض الظن إثم (٤٩:١٢)ــ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة (١٧:٢٤) ــ واخفض جناحك للمؤمنين (١٥:٨٨)ــ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢٦:٢١٥) ــ وان جنحوا للسلم فاجنح لها (٨ : ٦١) ــ لا يكلف الله نفساً الا وسعها (٢:٢٨٦)ــ لا تكلف نفس الا وسعها (٢: ٢٣٣) ــ لا نكلف نفساً الا وسعها (٦:١٥٢ و ٧:٤٢) ــ ولا نكلف نفساً الا وسعها (٢٣:٦٢) .

يغلب على سلوك ابي فراس وعلى شعره شيء كثير من الجد . ان روح العصر ومقام بني حمدان على التخوم الغربية للامبراطورية الاسلامية في حذاء الروم وكثرة المعارك التي خاضوها لم تكد تترك لاحد من أحياء ذلك العصر فرصة للهزل . ثم ان

١) راجع ايضاً ديوان ٦:٩، ٢٢:٢٢،٢٣،٢٤،٢٥، ١٧١:١٣، ٣٣٩:٦ ، ٣٤٥:٢٨ الخ .

حياة ابي فراس الشخصية من خصام مع اسرته وحروب مع الروم، ومن اسر ، ومن نزاع بعد الاسر مع ابي المعالي بن سيف الدولة ، كل تلك قد جعلت الهزل في افعال ابي فراس واقواله امراً لا تجري به العادة . على اننا واجدون له شيئاً يسيراً من الهزل في ديوانه لم يكن منه بد في مطلع شبابه او في لياليه الحوالك ، فإن الانسان اذا استمر به الجد واحاطت به المعضلات والرزايا احتاج الى شيء من الهزل يروح به عن نفسه ليشدد من عزائمها فيحملها على الاستمرار في احتمال تكاليف الحياة الباهظة . فمن اقوال ابي فراس التي يميل فيها الى الهـــزل قوله (رقم ١٥٢، رقم ١٩٣ ، ٢١١ : ١٢) :

أتتني عنكَ أخبارُ وبانَتْ منكَ أسرارُ .
ولاحتْ لي من السُّلو ةِ آياتٌ وآثارُ .
أراها منكَ بالقلبِ وللأحشاء إبصارُ .
إذا ما بَرَدَ الحبُّ فما تُسخِنُهُ النَّارُ !

ـــ محلُّكَ الجوزاءُ بلْ ارفعُ ، وصدرُكَ الدهناءُ بل أوسعُ .
وقلبُكَ الرحبُ الذي لم يزلْ للجِدِّ والهزل بــه موضعُ .
رَفّهْ بقَرْعِ العودِ سمعاً غدا قرْعُ العوالي جلَّ ما يسمعُ .
فجودُكَ الغامرُ ما ينقضي وفضلُكَ الباهرُ لا يُدفعُ .

ـــ كأنَّ آدمَ أوصى قبلَ ميتته بأنْ يكونَ عليهِ النَّاسُ أضيافا .

طول النفس

ابو فراس شاعر مقطعات وقصائد قصار ، ولكن له احيانا مطولات . في ديوان ابي فراس ثلاثمائة وست وتسعون قطعة منها مائتان وتسع وسبعون قطعة لا تبلغ اطوالها عشرة ابيات . اما القصائد التي تزيد على خمسين بيتاً فانها اثنتا عشرة فقط ، منها

قصيدتان رويت كل واحدة منها على نسق مع اختلاف في الابيات احيانا ، فتكون القصائد الطوال عند ابي فراس عشراً فقط اطولهن القصيدة التي تحمل الرقم ١١٨ ، (ص١٠٣—١٢٣) :

لَعَلَّ خَيَالَ العَامِرِيَّةِ زَائِرُ فيُسْعَدَ مَهجُور وَيُسْعَدَ هَاجِرُ

فانها تبلغ مائتين وخمسة وعشرين بيتاً . على ان هذه القصيدة لا تعد في باب النفس الطويل على الحقيقة لانها مجموع أغراض كثيرة لا يحسن الشاعر عادة التخلص من بعضها الى بعض ، فجاءت القصيدة مجزأة مقطعة الاوصال فيها غزل وحماسة وعتاب وفخر وتاريخ ومديح . وبعض هذه الاغراض تدور في القصيدة فتتكرر مرة بعد مرة.

ومع ان ابا فراس يردد الاغراض الواحدة في قصيدة واحدة أحيانا فانه يردد المعاني ايضاً ، وهذا من عيوبه البارزة . فلنقتصر على المظان الآتية :

— ولو أنِي أملكُ فيكَ أمري رَكِبْتُ إليكَ أعناقَ ٱلرِّيَاحِ (٧١:٣)

أقمتُ ولو اطَعْتُ رَسِيسَ شوْقي رَكِبْتُ اليكَ أعْنَاقَ الرِّيَاحِ (٧٣:٤)

— فكَيْفَ وَفِيا بَيْنَنَا مُلْكُ قَيْصَرٍ وَللبَحْرِ حولي زَخْرَةٌ وعُبَابُ (١٦. ٤٣)

فَكَيْفَ وَفِيا بينَنا مُلكُ قَيْصَرٍ ولا أمَلٌ يُحيي النفوسَ ولا وَعْدُ (٨٤:٢)

— إنِي لَيُعجِبُنِي إذا عَايَنْتُهُ أثرُ السِنَانِ بصَحْنِ خَدِّ الفَارِسِ (١٨١:٣)

إنِي ليُعجِبُنِي إذا اشْتَجَرَ ٱلقَنَا أثرُ ٱلسِنَانِ بصَحْنِ خَدِّ الفارِسِ (١٨٢. ٣)

— خُطِبَتْ بِحَدِّ ٱلسَّيْفِ حَتَّى زُوِّجَتْ
كُرْهاً ، وكانَ صَدَاقُها للمُقْسِمِ (٢٩٢:٢)

راحتْ وَصَاحِبُها بعُرْسٍ حَاضِرٍ يُرْضِي الالهَ وأهْلُها في مأتمِ (٢٩٢:٣)

— خُطِبَتْ بحدِ السيفِ حتّى زُوِّجتْ كُرْهاً وكانَ صداقُها للمُقسِمِ (٣٠٤:٢٣)

بانَت وصاحبها بعرس حاضرٍ يرضي الاله وأهلها في مأتم (٣٠٤:٢٣).

ــ وقائلةٍ : « ماذا دهاكَ » تعجباً !

فقلت لها : « يا هذه ، انتِ لا الدهرُ (١٢٨:٧).

أبالهجرِ أم بالبَيْنِ ، ام بكليهما

تشاركَ فيها ما ساءَ في البَينِ والهجرُ ؟ (١٢٨:٨).

ــ فقالتْ : لقد أزرى بكَ الدهرُ بعدَنا ،

فقلت : معاذَ الله ، بل انتِ لا الدهر (١٦٠:١٨).

وتهلكُ بين الهزلِ والجِدِ مهجةٌ إذا ما عداها البَينُ عذّبها الهجرُ (١٦٠:).

ب ــ خصائصهُ اللفظيّةُ .

ابو فراس من اتباع المذهب الشامي ، اولئك الذين يتأنقون في الفاظهم ويتكلفون أوجه البلاغة في اشعارهم . على ان هؤلاء قد يتكلفون المعاني ايضاً قليلا او كثيراً . ثم ان في تأنقهم في الالفاظ وفي تكلفهم اوجه البلاغة يزيد بعضهم على بعض . من اجل ذلك كله لم يكن من المستغرب ان يكون ابو فراس معجباً بابي تمام (١٦:٧ــ١٧) :

وإذا أدرْنَ علَى الندامى كأسَها غنَّيْنا شِعرَ أبنِ أوسِ الطّائي .

(راحٌ إذا ما الرّاحُ كُنَّ مَطيَّها كانَتْ مطايا الشّوق فى الاحشاء) .

والفاظ ابي فراس في اغراضه الوجدانية فصيحة (اي مألوفة مأنوسة) . غير انه احيانا يحب ــ لأنه من اتباع المذهب الشامي ــ ان يأتي بالالفاظ الغريبة التي تمت الى البادية والناقة بسبب . ولكن هذه كانت تأتي في أغراض يبدو عليها انها تقليدية (٩٢ : ١٤ ، ١٧٣ : ٢٥ــ٢٦ ، ٣٣٣ : ١٨ــ٢٠) :

وإذا الهُمُوم تكاثَرتِ لم يُفنِهَا إلا المذافِرةُ الأمونُ الجَلْعَدُ

ـ عَلْيَ لكلّ همٍّ كُلُّ عِيسٍ أمونُ الرِحْلِ مُوخدة القِفَارِ •

وَخَرَّاج من الغَمَرَاتِ خِرْقٍ أبو شبلين قحميٌّ الذمار •

ـ وتنوفةٍ قذفٍ يحَار بها القَطَا جاوزتُها بجُلالةٍ مِذْعانِ

تَطْوِي الفَلاةَ بأربعٍ مجدُولةٍ وتبُذُّ شأوَ الريح بالذملانِ

هذا وكَمْ من غُمَّةٍ كشَفْتُها بشَبا الظُبا وتوقد الخِرْصان

ومن المنتظر ايضاً ان يأتي ابو فراس بالالفاظ الغريبة في اراجيزه لانه ينحو فيها نحواً بدوياً، وخصوصاً حينما يتكلم على الصيد فيذكر أدواته وآلاته وأماكنه وطرائده.

قال يصف المطر (٢١٢ : ١٠—١٣) :

ثم أطَبَاه ضَارجٌ فَبَارِقُهْ إلى مُلِثٍّ لم يكن يفَارِقهْ

مِنْ أنفِ الوَسمِيِّ نوءٌ صادقهْ مُنْبَجِسٌ مرتجس صواعِقُهْ

إذا ادلهَمَّ أَوْ أضاءَ بارقهْ وهدرَتْ على الثرى شقاشقه

أَهدَت إلى ازْبعُهِ ودائعه قشيبَ روضٍ دُبِّجَتْ نمارقه •

وقال يصف بازاً (٣٦٤ : ٦٨—٧٣) :

جِئتُ بِبَازٍ حَسَنٍ مُبَهْرَجِ دونَ العُقاب وفُوَيْقَ الزُمَّجِ •

زَيْنٍ لِرَائِيهِ وفوقَ الزينِ ، يَنظُرُ من نارَيْنِ في غارَيْنِ •

كأنَّ فوق صَدْرِهِ والهادي آثارَ مَشْيِ الذَرِّ في الرَمَادِ ،

ذي مِنْسَرٍ فَخْمٍ وَعَيْنٍ غائرهْ وَفَخِذٍ مِلْءِ اليَمِين فاخرهْ ،

ضَخْمٍ قَرِيبِ الدَسْتَبَانِ جِدّا يَلْقَى الذي يَحْمِلُ مِنْهُ كَدّا

والتراكيب عند ابي فراس سهلة واضحة ولكنها ضعيفة أحيانا ، وذلك أنه يجيء مرة بكلمة في غير موضعها او يأتي بكلمة اجنبية او يُسهّل الهمزة او يخطىء صيغةمن صيغ الجمع أو من صيغ الاناث او يحذف رابطاً او يحلي بلام التعريف لفظاً لا يتحلى بها. من ذلك أنه استعمل .

ـ الحيا (٨:٧) مكان الحياء

ـ رؤياك (٥١:٨٧) مكان رؤيتك (الرؤيا : الحلم)

ـ كلمات اجنبية : بنج (٢:٦٢) اي خمسة بالفارسية . ثم بهار (٢:١٩٦) اي الزهر الاصفر بالفارسية (الربيع) ر

ـ نشا (٣٩:٦٥ ، ص ٦٢) ، بني ورقا (٤٦:٣٩ ص ٦٣ ثم ٥١:١١٨ ، ص ١٠٨) ، بالوفا (٤:٩٦) ، يتهي (٢:٢٥٦) ، واستلاما (١٠:٢٨٨) مكان نشأ ، ورقاء ، بالوفاء ، يتهيأ ، استلأم .

ـ هبْوات بسكون الباء (٢٣:٢٣٠) مكان هبوات بفتح الباء . ثم موْتات (٣٧:٢٣٠) مكان ميتات .

ـ المأمون نبوته (٤١:١٢٧) مكان المأمونة نبوته .

ـ أجرتيه وأغثتيه (١١:١٦٣ و ١٢) مكان أجرته وأغثته .

ـ وحُجبن عنك السيئات (١٦:٢٤٢) ويناديته النسوان (١١٨ : ١٣٠ ، ص ١٦٠) وما انا راض ان كثرن مكاسبي (٤١:٢٢) . مكان حُجبت عنك السيئات وتناديه النسوان وكثرت مكاسبي . ولغة « اكلوني البراغيث »تكثر في شعر ابي فراس .

ـ يا من وهبت له روحي تملكها (١:٢١٤) وصبغ الحيا خديه لون مدامعي (٨:٧) مكان وهبت له روحي فتملكها ثم صبغ الحياء خديه بلون او مثل لون .

ـ ادخل لام التعريف على «كل» و « بعض » (٣:٢١٤) .

هذه الخصائص التي مرت بنا تجعل شعر ابي فراس سهلا عذبا يدرك القارىء معناه بادنى تأمل ، مثل قوله (رقم ٤٠) :

أَبُنَيَّتي ، لا تَجْزَعي ، كُلُّ الأَنامِ إِلى ذَهابِ .

أبنيّتي ، صبراً جميـ ـلا للجليل من المصابِ .
نوحي علي بحسرة من خلف سترك والحجابِ .
قولي ، إذا ناديتني وعييتُ عن ردّ الجوابِ :
زين الشبابِ ، أبو فرا سٍ ، لم يمتع بالشبابِ !

على ان هذه الخصائص نفسها قد تجعل اسلوب الشاعر ضعيفاً ركيكا ، وخصوصاً اذا كان الغرض غرضا وصفيا بعيداً عن المنحى الوجداني وبعيداً عن بيئة القارىء. قال ابو فراس يشبه نفسه برجل من العامة يتقدم من دوائر الحكومة « بعروض » ، ولكن معروضه يُرفض (رقم ٢٥٦) :

ضمّنتُ حالي قصّةً فرفعتُها ، فأتاني التوقيعُ : يخرج حالَهُ
فأتيتُ ديوان الهوى ، فلكثرة الـ ـعشّاق لم يتهيّ لي إيصالُهُ
حتّى إذا أوصلتُهُ نظروا إلى جسمٍ تبقّى في العيون خيالُهُ
فعرضتُ ، ثمّت وقّعوا : هذا فتىً وُجِدَ اسمُه لم يوجدِ استقبالُهُ
فأجاب هذا خطه ، ولو أنهُ صبٌّ تمكّن وجدُهُ وخبالُهُ
لم يحمل القلمَ الدقيقَ يمينُهُ وتقلُّ قرطاسَ الكتابِ شمالُهُ

اوجه البلاغة

اذا كان ابو فراس من أصحاب المذهب الشامي فلا بد من ان تكون الصناعة فاشية في شعره . فالبديع والمجازات والتشابيه والاستعارات وسوى ذلك من اوجه البلاغة بارزة في اشعاره بروزاً يدل على ان بعضها مقصود اليه متكلف . حتى أوصافه تنكشف عن مقدرة اعظم على التأنق في تصريف اوجه البلاغة منها على اجادة الوصف الحسي. قال يصف جلناراً فابدع في التأنق حتى قارب ابن المعتز في مقطعاته التي يصف فيها اسباب الترف، ولكنه لم يُقرب الجلنار (زهر الرمان) إلى أذهان الناس (رقم ١٤٠):

وَجُلّنـارٍ مُشرقٍ عَلى أعـالي شَجَرهْ
كَأنَّ في رؤوسِه أصفَرُه وأحمَرَهْ
قُراضةٌ من ذَهبٍ في خِرَقٍ مُعصفَرَهْ .

ومثل هذا في البراعة والتأنق وصفه لنهر يسير في مرج منوّر بالورود المختلفة فيشبهه ببساط مطرز وقد ألقى عليه القين (صانع السيوف) نصلا مصقولا لماعا (٢٦٤: ١١–١٢) :

والماء يَفصُلُ بين زهـ ـر الروض في الشَطَّين فصلا
كبِساطِ وَشيٍ جرَّدتْ أيدي القُيون عليه نَصلا .

ولا ريب في أن أبا فراس كان يتكلف اوجه البلاغة، وإلا فكيف تبرر وجود مثل هذه الابيات في ديوانه وليس فيها من براعة الا حشد هذا الجناس والطباق والموازنة (١٢٧: ٢، ٦، ٢٤، ٣٠، ٣٨، ٤٠، ٤١) :

الحب آمره والصونُ زاجِره والصبر أول ما يأتي وآخره .
من لا ينام فلا صبرٌ يؤازِره ولا خيالٌ على شحْطٍ يُزاوِره .
ولستَ واجدَ شيء أنت عادمه ولست غائبَ شيء أنت حاضِره .
أين الخليل الّذي يرضيك باطنُه مع الخطوب كما يرضيك ظاهره .
فكيف تنتصِفُ الأعداءُ من رجلٍ العزُّ أوّلهُ والمجد آخره .
القائلُ الفاعلُ المأمون نَبوتُهُ والسيد الأيد الميمون طائِرهُ .

ومثل ذلك في التكلف ولكن ابرع منه في الصنعة (١٢٨: ١٤، ٢٤) :

وسُمْرُ أعادٍ تلمعُ البيض بينها وَبيض أعادٍ في أكفهم السُمْرُ .
فهل عرفاتٌ عارفاتٌ بزورِها وهل شَعرَت تلك المشاعِرُ والحِجرُ ؟

ومن اجمل ما قاله ابو فراس في البديع ـــ لفظاً ومعنى ـــ قوله الذي يعاتب به سيف الدولة والذي يجري فيه على السليقة بلا تكلف أبداً (١٦: ٤٥ــ٤٦) :

فَلَيْتَكَ تَحلو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وليتك تَرْضى وَالأَنامُ غِضَابُ
وَلَيتَ ٱلَّذي بَيْني وَبَيْنَكَ عامِرٌ ... وَبَيْنِي وَبَيْنَ ٱلعالمينَ خَرَابُ !

وله اللفتة البارعة في رد الاعجاز على الصدور في البيت الثاني من المقطوعة التالية المؤلفة من بيتين فقط (رقم ١٩٥) :

كَيفَ أَرجو ٱلصَّلاحَ مِنْ أَمْرِ قَوْمٍ ... ضَيَّعوا الْحَزْمَ فِيه أَيَّ ضَياعِ ؟
فَمُطَاعُ ٱلْمَقالِ غَيرُ سَديدٍ ، ... وَسَدِيدُ ٱلْمَقالِ غَيرُ مُطَاعِ !

اما الاستعارات التي تلفت النظر في شعر ابي فراس فمنها (١٢٢ : ٥ ، ١٤٧ : ٤ ـ ٥) :

يا كَثِيباً مِن تَحتِ غُصنٍ رَطِيبٍ ... يَتَثَنّى من تحت بَدرٍ مُنيرِ .
ـ وَرَوْضَةٌ من رِياضِ ٱلفِكْرِ دَبَّجَها ... صَوبُ ٱلقَرائح لا صَوبٌ من الْمَطَرِ .
كَأَنَّما نَشَرَتْ أَيدي ٱلرَّبيعِ بِها ... ثَوباً من الوَشْي أَوْ ثَوباً من الحِبَرِ .

فنونه واغراضه

أراد ابو فراس ان يعد الفنون التي جاءت في شعره وان يذكر الفنون التي ينزه نفسه عنها ، ذهاباً بنفسه ان يحصى في الشعراء الذين تكسبوا بالشعر فحطوا من قدر انفسهم ، فقال مقطعته المشهورة (رقم ٨) :

الشِعْرُ ديوانُ ٱلعَرَبْ ، أَبداً وَعُنْوان الأَدبْ
لم أَعدُ فيهِ مَفَاخري وَمَديحَ آبائي ٱلنُجُبْ ،
وَمُقَطَّعاتٍ ربما حَلَّيتُ مِنهن ٱلكتبْ .
لا في ٱلمَديح وَلا ٱلهِجا ء ولا ٱلمُجُونِ ولا ٱلكذبِ !

رأينا (١) ان ابا فراس كان يأنف من أن يسمى شاعراً ، بل كان يحب لنفسه لقب « فارس » . واما الذين كانوا يأنفون من قول الشعر جملة (٢) ، قبل ابي فراس ايضاً ، فهم كثار ، وان لم يكونوا على حق ، كما ذكر ابن رشيق . غير ان الاجماع كان واقعاً على الأنفة من التكسب بالشعر . قال ابن رشيق (٣) : « واما اكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الانفة من السؤال بالشعر وقلة التعرض به لما في ايدي الناس ، الا في ما لا يزري بقدر ولا مروءة كالفلتة النادرة والمهمة العظيمة ، ولذلك قال عمر رضي الله عنه : « نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل امام حاجته » .

والسبب في موقف العلماء من التكسب بالشعر هذا الموقف ان الشاعر كان يمثل كبرياء قومه ويتكلم بلسانهم ويروي مفاخرهم ، ولذلك وجب ان يترفع عن مد يده الى ما في ايدي الناس من عرض الحياة الدنيا لئلا يذهب في ذلك شيء من كرامته فيذهب بها شيء كثير من كرامة قومه ، ولئلا يقل احترام الناس له فيقل احتفالهم بما يذكره من مفاخر قومه (٤) .

١) راجع باب « عناصر شخصيته » ، ص ٤٠ وما بعدها .
٢) العمدة ، راجع ١:١٤ ــ ١٩ .   ٣) العمدة ١:٦٥   ٤) راجع العمدة ١:٦٦ .

يريد ابو فراس ان يوهمنا انه قصر شعره كله على الفخر بنفسه وباهله ، ثم على « إخوانيات » ، اي اشعار كان يجعلها رسائل الى أهله وأصحابه ، او يضمها الى الرسائل التي كان يبعث بها اليهم .

غير ان ديوان ابي فراس ينطق بخلاف ما أراده ابو فراس ، فأبو فراس مدح وهجا ورثى وعاتب وشكا وتغزل ومجن أيضاً . اما اذا كان ابو فراس قد قصد بقوله هذا انه لم يتكسّبْ بشعره فيكون حينئذ قد صدق. ومع كثرة اغراض ابي فراس، كثرة أغراض شعراء آخرين ، فان أكثر ديوانه يدور على غرضين اساسيين : الغزل والحماسة . وسنبدأ اولا بعرض هذين الغرضين الاساسيين ثم نُتم هذا الفصل بعرض سائر الاغراض .

١ – النسيب والغزل

نحن نعلم ان النسيب هو تذكر ايام الصبا والتشوق الى لقيا الاحبة مع الشكوى من ألم الفراق ، بينما الغزل هو وصف أعضاء المرأة الظاهرة (١) . ولكن يندر ان يأتي احد هذين الفنين مستقلا عن الآخر ، وان كانت العادة قد جرت بأن يزيد احدهما على الآخر ، في القصيـــدة الواحدة ، في معظم الاحيان .

(أ) لأبي فراس نسيب وغزل مؤنثان ومذكران . وهو يجرى في غزله ونسيبه عموما على النهج القديم ، الجاهلي البدوي : يقف على الاطلال ويذكر ايامه الماضية ثم يتشوق الى الحبيبة ويظهر الشكوى والالم ويتعلل بالامل ، ويذكر كيف ان النساء ملن عنه بعد ان رأين الشيب قد بدا في رأسه . ثم هو يبدي ايضاً آراء في الحب . والحب عند ابي فراس يأسر الشجاع ويذل العزيز ويجعل السيد عبداً . ولكن المحب يرضى ذلك كله ويشكر للحبيب المحسن ويعفو عن الحبيب المسيء . وكثيراً ما يتمدح ابو فراس بعفته ، وربما ذكر انه غامر مرة بعد مرة . والنسيب في شعر ابي فراس

---

١) راجع ابو نواس للدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثالثة ، ص ٨٠ – ٨١ .

على كل حال ، اكثر من الغزل اضعافاً .

وابو فراس في نسيبه وغزله وجداني صادق ، مرهف الحس ، رقيق العاطفة . وغزله هذا رقيق تتضاءل فيه عزة الملك امام سلطان العاطفة ، فيكون ذلك اتم جلالا واشد روعة (١). الا ان ابافراس يتذلل احياناً امام محبوبه تذللا يحط من قدره (١١٨ ١٤–٥، ١٣–١٥، ١٧–٢٦) :

لَعَلَّ خَيَالَ ٱلعَامِرِيَّةِ زَائِرُ فَيُسْعَدَ مَهْجُورٌ وَيُسْعَدَ هَاجِرُ !
وإنِّي عَلَى طولِ ٱلشِمَاسِ عَنِ الصِبَا أحِنُّ وَتُصْبِيني إليكَ ٱلجآذِرُ (٢).
وفي كِلَّتي ذَاكَ ٱلخِبَاءِ خَرِيدَةٌ لها، من طِعَانِ الدَّارعينَ، سَتَائِرُ (٣).
تَقُولُ ، إذا ما جِئْتُها ، مُتَدَرِّعاً :
« أزَائِرُ شَوْقٍ أنتَ ، أمْ أنتَ ثَائِرُ ؟ » (٤)
تَثَنَّتْ فَغُصْنٌ نَاعِمٌ أمْ شَمَائِلٌ وَوَلَّتْ فَلَيْلٌ فَاحِمٌ أمْ غَدائِرُ !
فَيا نفسُ مالاقيتِ من لاعِجِ الهوى ، وَيا قَلْبُ ما جَرَّتْ عَلَيْكَ النَّوَاظِرُ !
ويا عِفَّتي ، ما لي وَمَا لكِ ؟ كُلَّمَا هَمَمْتُ بِأمرٍ هَمَّ لي منكِ زَاجِرُ (٥).

---

١) تاريخ الادب العربي ، لاحمد حسن الزيات ، الطبعة السادسة (مصر ١٣٥٤ هجري ، ١٩٣٥ م) ص ٢٩٩ .

٢) مع انني قد تركت احوال الشباب منذ زمن بعيد فانني لا ازال احن (الى الحسان) . وكلما رأيت ظبيا صغيراً تشوقت اليك .

٣) الكلة : الستار على الهودج (مركب النساء) . الخريدة : الجميلة . لها من طعان .. الخ : اهلها غيارى يقاتلون دونها فلا يجسر احد على ان يتطلع اليها .

٤) (يعاجلني الشوق اليها) فأزورها احياناً ولا يزال درعي علي فتقول لي : احب انت ام محارب (حتى تلبس في مجيئك الي درعا) ؟

٥) كلما دعاني الشباب اليها زجرتني عفتي عما أريد (لا خوفاً من اهلها ولا عجزاً عن الوصول اليها)

كأنَّ الحِجا والصَّونَ والعَقلَ والتُّقى ، لديَّ ، ورَبّاتِ الخدودِ ضرائرُ (١).

وكم ليلةٍ خُضتُ الأسِنَّةَ نحوَها ، وما هدأَتْ عينٌ ولا نامَ سامرُ.

يُصاحِبُني فضفاضتانِ وصارِمٌ وقلبٌ على خوضِ الحُتوفِ مُؤازِرُ (٢).

فلمّا خلَونا ، يعلَمُ اللهُ وحدَهُ ، لقد كرُمتْ نجوى وعَفَّتْ سرائرُ ،

وبتُّ ، يظُنُّ النّاسُ في ظنونِهم ، وثوبي مما يرجُمُ النّاسُ طاهِرُ.

وكم ليلةٍ ماشيتُ بدرَ تمامِها إلى الصُّبحِ لم يَشعُرْ بأمري شاعِرُ،

ولا ريبةٌ إلا الحديثَ ، كأنّهُ جُمانٌ وهى أو لؤلؤٌ متناثِرُ (٣)،

أقولُ وقد ضجَّ الحُليُّ وأشرفت ـــ ولم أُروَ منها ـــ للصّباحِ بشائرُ: (٤)

«أيا ربِّ ، حتى الحَليُ مما نخافُهُ ، وحتى بياضُ الصُّبحِ مما نُحاذِرُ» (٥)

ولي فيكِ ، من فرطِ الصَّبابةِ ، آمرٌ ،

ودونَكِ ، من حُسنِ الصِّيانةِ ، زاجرُ (٦).

عفافُكِ غيٌّ ، إنّما عِفّةُ الفتى إذا عفَّ عن لذّاتِه وهو قادِرُ.

---

١) الضرائر جمع ضر (بالكسر) وضرة (بالفتح): كل زوجة بعد الزوجة الاولى. والضرائر يكره بعضهن بعضاً ـــ يقول: اخلاقي الحسنة لا تأتلف ومعاشرة الحسان .

٢) علي درعان ومعي سيف قاطع ، وقلبي شجاع يساعدني على خوض المهالك .

٣) يشبه الحديث بينه وبين محبوبته ، لجماله وعذوبته وسهولته ، بالجمان (الخرز من الفضة) التي ضعف خيطه فانقطع فجعل الجمان يتساقط منه او كاللؤلؤ المتفرق من خيطه ايضاً .

٤) ضج الحلي : تململ الحلي وتحرك في يديها وعنقها لطول جلوسنا . اشرف : علا . بشائر : علامات . ـــ اقترب طلوع الصبح .

٥) كل شيء اصبح يخيفنا حتى صوت الحلي وطلوع الصباح .

٦) شدة حبي لك تأمرني بان آتي اليك ، وحب المحافظة على سمعتك تمنعني من ان ازورك .

وكانت عاطفة ابي فراس صادقة ، الا ان تذلله ـــ على ما يبدو من قوله هو في ديوانه ـــ كان تعللا فقط : كان يتألم من امر ـــ من ظلم اهله له مثلا ـــ فينفث ذلك في قصائد ومقطعات عليها طابع الغزل . فشكواه الحقيقية ليست من ظلم الغواني له ، بل من ظلم سيف الدولة في الاغلب (٣٠٧:١ ، ٣ـــ٩) . تأمل البيت الاخير :

نَأَى النومَ عن عيني خَيالٌ مُسَلِّمُ
تَأَوَّبَ مِنْ أَسْمَاءَ والرَّكْبُ نُوَّمُ (١).

ظَلِلْتُ وأَصْحَابي عَبَادِيدَ في الدُّجى ... أَلَذُّ بِجَوَّالِ الوِشَاحِ وأَنْعَمُ (٢).

وسائلةٍ عَني فقُلْتُ تَعَجُّباً : ... كأنَّكِ لا تَدْرِينَ كَيفَ المُتَيَّمُ .

أَعِرْنِي ، أَقِيكَ السُّوءَ ، نَظْرَةَ وَامِقٍ (٣) ... لعلَّكَ تَرْثِي ، أَوْ لعلَّكَ تَرْحَمُ !

فمَا أَنَا إلا عَبْدُكَ القِنُّ (٤) في الهوى ، ... وَمَا أَنْتَ إلا المَالِكُ المُتَحَكِّمُ .

وَأَرْضَى بما تَرْضَى على السُّخْطِ وَالرِضا ... وأُغْضِي (٥) على عِلْمٍ بأنَّكَ تَظْلِمُ .

يَئِسْتُ مِنَ الإنْصَافِ بَيْني وَبَيْنَهُ ، ... وَمَن لي بالإنْصَافِ وَالخَصْمُ يَحْكُمُ ؟

وخَطْبٍ من الأيام أنسانيَ الهوى
وَأَحْلى بِفِيَّ المَوْتَ ، والمَوْتُ عَلْقَمُ (٦).

وَوَاللهِ مَا شَبَّبْتُ إلا عُلالَةً ، ... وَمِنْ نَارِ غَيرِ الحُبِّ قَلْبي يُضَرَّمُ (٧) .

١) تأوب : عاد مرة بعد مرة . الركب : الراكبون ، المسافرون معاً في قافلة واحدة .

٢) العباديد جمع لا مفرد له : جماعات الناس . جوال الوشاح كناية عن المحبوب الاهيف غير السمين .
ـــ يقول : كنت واصحابي فرقاً نضرب في ذلك الليل في كل وجه ، وانا كنت ألذ .. الخ .

٣) محب . ٤) العبد المملوك مع الارض (لا يمكن تحريره) .

٥) أغضى : تغافل ، اظهر الغفلة والجهل .

٦) الخطب : المصيبة . أحلى (فعل ماض مزيد بالهمزة) الموت بفي : جعل الموت في فمي حلواً . العلقم = نبات مر .

٧) إلا علالة : إلا لأنسى ما انا فيه . يضرم : يوقد (بالبناء للمجهول) .

وليس جميع نسيب ابي فراس شكوى ، بل فيه ايضاً صور جميلة تنطوي على مرح وعلى إشارات لطيفة الى مغامراته الصحيحة او المزعومة . على ان الشاعر صادق في الكلام على امثال هذه المغامرات، سواء لدينا أوقعت ام لم تقع : انها صورة نفسه التواقة الى اللهو ، على الرغم من الرقابة الشديدة التي عليها من اخلاقه الكريمة وعفته الخالصة . يقول ابو فراس في احدي قصائده التي يفتخر فيها (١٢٦:٩—١٣):

وكَمْ مِنْ لَيلَةٍ لم أرْوَ مِنها | حَنَنْتُ لها وأرّقني آدِّكارُ .
قِضَاني ٱلدَّيْنَ مَاطِلُهُ، ووافى | إليَّ بها ٱلفُؤَادُ ٱلمُسْتَطَارُ (١) .
فَبِتُّ أُعلُّ خَمراً من رُضابٍ | له سُكْرٌ وليْسَ لَهُ خُمارُ (٢)
إلى أنْ دَقَّ ثوبُ ٱللّيْلِ عنّا | وقَالتْ :«قُمْ فقَدْ بَرَدَ ٱلسُّوارُ»(٣) .
وولّتْ تَسرِقُ ٱللحظَاتِ نَحْوي | عَلى فرَقٍ كما ٱلتَفَتَ الصُّوارُ (٤).

ولابي فراس غزل ونسيب محدثان في الغرض والاسلوب معاً يغلب عليهما الوصف الحسي والتحليل النفسي، وفيهما احياناً صناعة . وابو فراس يذكرنا فيهذه الابيات احيانا ببشار واحيانا بعمر بن ابي ربيعة (١:٦٣، رقم ٦٤ ، رقم ٧٤ ، راجع ٧٣ ، رقم ٩٨) :

جَارِيةٌ كَحْلاءُ ممشوقــةٌ | في صَدْرِها حُقّانِ من عاجِ .
ـــ قامتْ إلى جارتِها | تشكو ، بِذُلٍ وشَجا :
« أما تَرَيْنَ ذا الفتى | مرَّ بنا فـما عرّجا .
إن كانَ ما ذاقَ ٱلهوى | فلا نَجَوْتُ إنْ نجا ! »

١) برت بوعدها لي (بوصالي) بعد ان دافعتني مراراً . وجاءت الي .... استطار الفؤاد : اشتد فرحه .
٢) السكر : النشوة واللذة . الخمار : الدوار والصداع (الاذى الذي يلحق الرأس من شرب الخمر) .
٣) رق ثوب الليل : اوشك الليل ان ينتهي . برد السوار : اشتد البرد (؟) .
٤) الفرق : الخوف . الصوار : القطيع من الغزلان .

ـ أغصُّ بذكرِهِ أبداً بِريقي وأشرَقُ منه بالماءِ القَراحِ (١).

وتمنعُني مُراقبةُ الأعادي غُدُوِّي للزيارةِ او رَواحي (٢).

ولو أني أُمَلَّكُ فيه أمري رَكِبتُ إليه أعناقَ الرياحِ (٣).

ـ وزيارةٍ من غيرِ وعدِ في ليلةٍ طَرَقَتْ بسَعْدِ.

باتَ الحبيبُ الى الصبا حِ مُعانقي خداً لخدِ.

يمتارُ فيَّ وناظري ما شئتُ من خمرٍ وَوردِ (٤).

قد كان مولايَ الأَجلَّ فصيَّرتهُ الراحُ عبدي (٥).

ليست بأولِ منّةٍ مشكورةٍ للراحِ عندي.

وتكاد تنحصر صفات المرأة عند ابي فراس في اشياء مألوفة لدى الشعراء، ليس فيها ابتكار او براعه توجب ان يخصها الدارس بالذكر. واكثر هذه الاوصاف لا تخرج عن تشبيه المرأة بالبدر والشمس والغزال والغصن، أو انه يشبه ريقها بالعسل وشعرها بالليل وبياض وجهها وعنقها واسنانها بالصبح. وابو فراس يحب المرأة القليلة السمنة التي يجول الوشاح على كتفيها، أي يتحرك الوشاح ويدور عليها لنحافة جسمها. كل هذا وما يتعلق به، من قرب او من بعد، تراث الشعراء منذ اقدم الاعصر الادبية في تاريخ العرب. علي ان بعض هذه التشابيه محدث وان كانت كلها قديمة في مادتها

---

١) شرق يشرق (بوزن سمع يسمع) : غص بريقه ، دخل شيء من ريقه او من الماء في مجرى التنفس. القراح : الخالص ، الصافي ، غير الممزوج بشي .

٢) مراقبة الاعادي : حذري منهم . الغدو والرواح : المجي صباحاً ومساء .

٣) ركب اعناق الرياح : كناية عن الاسراع لما فيه من الشوق .

٤) يمتار : يتزود ، يتمتع . في : فمي (وهو فاعل) . ما اسم موصول في محل نصب مفعول به . حرف جر زائد . خمر وورد مجرورتان لفظاً منصوبتان محلا على انهما تمييز من « ما » .

٥) مولاي : سيدي . الراح : الخمر .

وفي اكثر صورها . من ذلك كله ابياته التالية (٧:٣٨ ، ٧:٦١–٩ ، ٦٥*: ٣ ، ٤:٧٨ و ٢:٩١ ، ٧:٩٢ ، ١٢:١٢٧ ، ٥:٣٠٢ ، ٧:٣٠٨–٨ ، ١٣:٣٣٣) :

لك جسمُ الهوى وثَغْرُ الاقاحي ونسيمُ الصَّبا وقَـدُّ القضيب .

ـ عَلِّلينا بطيب ريقكِ يا من ، يجتنى النَّحْلِ ريقُها ممزوجُ .

لم يَزِدكِ الخَلْخَالُ حُسْناً ، ولكن بكِ زينَ الخلخالُ والدُّمْلوجُ (١) .

وكأنَّ الحسناء لما تثنَّتْ بين أترابِها المَها عُسلوج (٢) .

ـ أسكرى القدِ طيّبةَ الثَّنَايا ، وفترى اللحظِ جائلةَ الوشاحِ ...

ـ وشادنٍ يُعطيكَ من ريقهِ وخَـدِّهِ وَرْداً وتُفاحا .

ـ إنَّ الغزالةَ والغزا لَ لفي ذاياهُ وجيـدِهْ .

ـ من كلِّ شمسٍ في الخدودِ إذا بدَتْ كادت لها الشمسُ المنيرةُ تسجُدُ .

ـ وهل رأيتَ أمامَ الحيِّ جاريةً كالجُؤْذُرِ الفَرْدِ تَقفُوهُ جآذرهُ ؟ (٣)

ـ غرّاء تبسِمُ عن صباحٍ طالعٍ من ثغرها في جِنحِ (٤) ليلٍ مُظلمِ .

ـ تجلو الظلامَ بمَبْسِمٍ يجلو الدُّجى بأبي وأمّي طيبُ ذاكَ المَبْسِمِ .

ـ بيضٌ كـامثال الدُّمى في حُسنِها (٥) أقمارُ لَيلٍ في ذُرَى أغصانِ .

*

---

١) الدملوج : سوار يلبس في العضد « القسم الاعلى من الذراع »

٢) الاتراب: المتقاربون في السن . المها جمع مهاة : بقرة الوحش ، الغزال... العسلوج : الغصن الطري.

٣) الجارية : القتاة الصغيرة . الجؤذر : الظبي الصغير . الفرد : المفرد الذي لا شبيه له في جماله . قفاه يقفوه : تبعه يتبعه .

٤) جنح الليل [بكسر الجيم او بضمها] : قسم من الليل .

٥) الدمى جمع دمية : الصورة المنقوشة في الرخام ، والمفروض ان تكون جميلة جداً .

وكذلك لابي فراس غزل مذكر كثير لا يخرج في نطاقه عن الاوصاف المألوفة في الغزل المؤنث من تشبيه بالغصن والورد وبالبدر او بالغزال . وابو فراس شديد العاطفة في غزله المذكر ، وان كان غزله هذا ضعيف التركيب بالاضافة الى نسيبه وغزله المؤنثين . وهو نفسه يخبرنا انه مسرف في القول في الغزل المذكر ، ولكنه لا يقصد كل ما يقوله ، يمثل هذا قوله (رقم ٢١٠) :

غُلامٌ فوقَ ما أصِفُ ، كأنَّ قوامَهُ ألِفُ .
إذا ما مالَ يُرْعِبُني (١): أخافُ عَلَيْهِ يَنقصِفُ .
وأشفِقُ من تأوُّدِهِ ، أخافُ يُذيبه التَرَفُ (٢) .
سروري عنده لُمَعٌ ودهري كله أسَفُ (٣) .
وأمري كلـه أممَ وحبي وحدَه سرفٌ (٤) .

على ان القطعة التالية (رقم ١٧٠) ليس فيها اكثر من صناعة ، وليس فيها عاطفة ابداً :

أيا منْ وجهُه بـدرٌ وفي ألحـاظه سِحْرٌ ،
ويا مَنْ جسمُهُ مـاءٌ ويا مَنْ قلبُه صخرٌ ،

---

١) يخيفني
٢) أشفق : اخاف : تأوده : اهتزازه ، ميلانه . اخاف يذيبه الترف : اخشى (لما هو عليه من لين ورقة) ان تضنيه كثرة الحركة .
٣) فرحي به قليل (لقلة اجتماعي به) واكثر وقتي حزن لطول غيابه عني .
٤) وامري كله امم : مرادي منه شيء يسير . وحبي وحده سرف : انا مسرف ومغال في اظهار حبي له . وفي رواية : وحبي وحده شرف : حبي شريف لا اتلوث من جرائه بما يتلوث به سائر المحبين .
راجع في ذلك كله ٣:١ ـــ ٢ ، ٢:٥٤ ، ١:١٠٤ ـــ ٢ ، ٣:١٤٩ ، ٢:١٨٠ ـــ ٣ .

لقد قام لدى العاذ ... لِ مِنْ وجهكَ لي عُذرُ . (١)
وما بُحتُ بمَا ألقا ... هُ حتى عزّني (٢) الصبرُ .

وكان لأبي فراس غلمان منهم فاتك وصاف ومنصور . والغلام رقيق مملوك يتخذه الرجل لخدمته في البيت او في الحرب . وربما يكون منهم حرس للامير او جيش للقتال ايضاً . وتنشأ عادة بين الغلمان وبين سيدهم صداقة تصبح مع الايام اوثق من القرابة . وربما شكا الرجل ما يهمه الى غلمانه كما كان يفعل ابو فراس ، اذ كان يشكو الى هؤلاء الغلمان ما يلقاه من ميل بني حمدان عنه ، وكان يفضلهم على عشيرته. اما اسم فاتك فانه ورد مرة واحدة في ديوان ابي فراس (ص ٤٨) واما فاتك الذي ورد ذكره في شعر ابي فراس (١٨١ ٭: ٦١، ص ١٥٥) فهو غير الذي ورد على الصفحة الثامنة والاربعين ، وان كان ناشر الديوان قد جمع بينهما في الفهرست (ص ٥٦٧) . وكذلك ورد اسم صاف مرة واحدة ايضاً (ص ٢٦٨) . اما الذي ورد اسمه بضع مرات من غلمان ابي فراس فهو منصور . وكان ابو فراس قد ربى منصوراً وصافياً وبرّهما . ولا ريب في ان هؤلاء الثلاثة كانوا لا يزالون في ملك ابي فراس لما اسر وحمل الى بلاد الروم ، فقد كان يكتب اليهم يشكو حاله ويعتب على آله واقاربه (راجع ص ٤٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٦٨) . من ذلك انه كتب الى غلاميه صاف ومنصور ، وهو في الاسر ، يبثهما ما يثقل صدره من انصراف بني حمدان عن افتدائه (رقم ٢١٧ ، ص ٢٦٨—٢٦٩) :

يا خليليّ بالشآم ، أفيقا ! ... هل تُحِسّان لي رفيقاً رفيقا ؟ (٣)
كثُرَ الغدْرُ والخيانةُ في النا ... س ، لنا إن أرى صديقاً صدوقا (٤) .
قلّ أهلُ الوفاء ، واتّبعَ النا ... سُ من الغدْرِ والجفاء طريقا .

١) اذا رأى الذي يلومني في هواك جمال وجهك عذرني في حبي لك .
٢) غلبني .
٣) رفيقا رفيقا : صديقا او صاحبا لطيفاً او رقيقاً، حسن المعاملة لصديقه .
٤) صدوق : ثابت في صداقته .

لا رعى اللهُ ، يا خليليْ ، دهراً فرّقتنا صروفُهُ تفريقا (١).
كنتُ مولاكما، وما كنتُ إلّا والداً محسناً وعمّاً شفيقا .
فاذكُراني ، وكيفَ لا تذكُراني، كلّما استخونَ الصديقُ الصديقا .
بتُّ أبكيكُما ، وإنّ عجيباً أنْ يبيتَ الأسيرُ يبكي الطليقا .

ولكن يظهر ان صلة ابي فراس بغلامه منصور كانت أوثق ، نقد ورد ذكره في ديوان الشاعر سبع مرات في احوال مختلفة . لقد كتب اليه من الاسر كما كتب الى فاتك وصاف . ثم هو كان يشكو اليه ظلم بني حمدان ، قبل الاسر ، ويُسر اليه بانه سيخون بني حمدان ، مما يدل على ان مقامه عنده كان اثيراً جداً . قال ابو فراس (رقم ٦٠) :

أبا منصورُ ، خانتْني ثِقاتي ، فهِدْ لي على العَدَوِيّ سَرْجي .
بنو حَمدانَ حُسّادي جميعاً ، فما لي لا أزورُبني ( ) طُغج !

ثم ان ابا فراس ، كما يبدو لنا من ديوانه ، كان يعشق غلامه منصوراً هذا . واتفق ان صدّ عنه منصور وهجره ، فقال ابو فراس (٥١ : ١ — ٢) :

ألزَمني ذنباً بلا ذنبِ ، ولجَّ في الهِجْرانِ والعَتْبِ .
أحاولُ الصّبرَ على هجرهِ ، والصّبرُ محظورٌ على الصّبِّ .

ومن غزل ابي فراس في منصور هذا (١٣١ : ١ — ٤ ، راجع رقم ١٣٢) :

سبقَ الناسُ في الهوى منصورُ ، فسواهُ مُكَلَّفٌ مغرورُ . (٢)
لحقَ العودَ ناعماً فثناه (؟) ، وهو صعبٌ على سواه عسيرُ. (٣)

---

١) الصروف (جمع صرف بفتح الصاد) : الحوادث والمصائب .

٢) المكلف : الذي يحاول ما لا يستطيع الوصول اليه .

٣) البيت غامض . ناعما : حال صاحبها الفاعل في «لحق» .والعود «بالضم» : القضيب اليابس او العود «بالفتح» : الجمل المسن . ثناه : تلاه ، كان مثله — وهذا لم يتيسر لغيره .

انَّ حُبَّ الصِبا ، وإنْ طال ، لا يَقْـ ... ـدَحُ فيه على الدُّهور دُثُورُ (١)
فَهْوَ في أَضْلُعِ الصغيرِ صغيرٌ ، ... وَهْوَ في أَضْلُعِ الكبيرِ كبيرُ .

وتغزل ابو فراس بمن اسمه احمد ، كما ان له غزلا مذكراً في غلام فارسي (رقم ١٦٢، ١٧٤) . ولقد خرّج ابو فراس هواه بهذا الغلام الفارسي تخريجاً مبتكراً : ان هذا الغلام ابتلاه بحبه ، فهو يعذبه انتقاماً لما فعله العرب بالفرس في معركة ذي قار الشهيرة (رقم ٢٥٠) . والبيت الاخير من هذه المقطوعة مشهور يستشهد به :

قالـلي شادنٌ بديـعُ الجمـالِ ... أَعْجَمِيُّ الهوى فَصِيحُ الدّلالِ .
سَلَّ سَيْفَ الهوى عليَّ ونادى : ... « يا لَثأرِ الأعْمامِ والأخوال .
كيْفَ أرجو مِمَّنْ يرى الثأرَ عندي ... خُلقاً من تَعَطُّفٍ ووصالِ (٢) .
بعدما كَرَّتِ السُّنونَ ، وحالتْ ... دونَ ذِي قارٍ الدُّهورُ الخوالي ؛
ما درَتْ أُسرتي بذي قارَ أني ... بَعْضُ مَنْ جَنْدَلوا من الأبطالِ (٣)
أيها المُلزمي جرائرَ (٤) قومي ... بعدَ ما قد مَضَتْ عليها الليالي ،
لم أكُنْ من جُناتِهَا ـ عَلِمَ اللّـ ... ـهُ ـ وإني بِحَرِّها اليومَ صالِ (٥) .

٢ ـ الحماسة والفخر

الحماسة ، كما في القاموس ، هي الشجاعة . اما في الشعر فهي وصف الشجاعة

١) المعنى المملوح : الحب عاطفة صحيحة ليست مقصورة على الشبان فقط .
٢) كيف انتظر ان يعطف علي ويواصلني من يرى ان له عندي ثأراً ؟
٣) ان قومي [العرب] لما حاربوا الفرس في ذي قار اوجدوا عند الفرس عداوة احمل انا اليوم نتائجها
٤) ألزمه الجريرة : اتهمه بالذنب وعاقبه عليه .
٥) لم اكن انا من مسببي (معركة ذي قار) ، ولكنني أذوق اليوم عواقبها الوخيمة علي . صلي النار : مسه حرها .

والقتال . واذا نحن راجعنا ديوان الحماسة لابي تمام(١) خاصة ، وكتاب الحماسة للبحتري(٢) رأينا ان اشعار الحماسة تنطوي عادة على تمدح بالنفس وبالاسلاف .والحماسة في الحقيقة قسم من الفخر ، وقلما تأتي الحماسة مستقلة عن التمدح بالنفس وبالاسلاف كما ندر ان يأتي الغزل مستقلا عن النسيب (٣). والحماسة هي احد الفنين العظيمين اللذين ملأ ابو فراس بهما ديوانه . ثم ان اعظم خصائص ابي فراس تظهر في هذا الفن . فأبو فراس ، كما مر معنا من قبل (٤) ، يجب ان يدعى فارساً لا شاعراً .

يرى ابو فراس ان بني حمدان قد جمعوا طرفي الحماسة، او طرفي الفخر كله ، الشجاعة والكرم (١:٢٩١ــ٢) :

لنا بيتٌ على عُنُقِ ألثُرَيّا بَعيدُ مذاهبِ الأطْنابِ سام (٥)
تُظَلِّلُهُ الفوارسُ بالعوالي وتفرشه الولائدُ بالطعام (٦)

ولا ريب عنده في ان بني حمدان يفضلون الناس كلهم ، ثم ان الناس انفسهم يعترفون لبني حمدان بهذا السبق والفضل والشرف (١:١١ــ١٤، ٩:٧ــ١٠) :

أيها المُبتغي مَحَلَّ بَني حمـ ـدانَ، مهلاً، أتبلُغُ الجوزاءَ (٧)؟
فَضَلوا الناسَ رِفعةً وسُمُوّاً ، وعَلَوْهم تَكَرُّماً ووفاء .
يا مُجيلَ الافكارِ فيهم ، الى كم تُتعِبُ النفسَ : هل تَنالُ السماءَ ؟
أسرَتي ، لا أقولُ فخراً ، سراة ، حَسْبُهُمْ ذاك مفخراً وسناء .

---

١) ديوان الحماسة لابي تمام ، الباب الاول .
٢) كتاب الحماسة للبحتري ، بيروت المطبعة الكاثوليكية « بلا تاريخ » .
٣) راجع باب « فنونه واغراضه » ، ص ٧١.
٤) راجع ص ٥٦ .
٥) الثريا عنقود نجوم . الطنب :العمود الذي ترفع عليه الخيمة . ــ بيتنا عال جداً (اصيل كريم) .
٦) العوالي الرماح . الولائد جمع وليدة : الجارية الخادمة . ــ تدافع الفوارس عنه وتعد فيه الولائد الطعام للضيوف .
٧) الجوزاء :برج من ابراج السماء «كناية عن العلو واستحالة البلوغ اليه » .

— ألم تَرَنا أعزَّ الناسِ جاراً   وَأمنعهم وَأمرعهمْ جنابا (١)
لنا الجبلُ المُطِلُّ على نِزارٍ   حَلَلْنا النجدَ منهُ وَالهِضابا (٢).
تُفَضِّلُنا الأنامُ ولا تُحاشي ،   ونُوصَفُ بالجميلِ ولا نُحابي (٣).
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبيعَةُ ، بَلْ نِزارٌ ،   بأنّا الرأسُ والنّاسَ الذُنابي (٤) !

ويشرح ابو فراس فضائل بني حمدان ويخص بذلك عمود نسبه هو : انهم في السماء شرفاً وخير من وطىء الارض . انهم كرماء أغنياء،قد ينقطع السحاب عن المطر ولا ينقطعون هم عن الكرم والضيافة ، وبيوتهم نبيلة عفيفة . اما الفخر فهو فيهم دون سائر الناس (٢:٩٢—١٧—٢٣) :

وأنا ابنُ من شادَ المكارمَ وابتنى   خِطَطَ المَعالي حيثُ حلَّ الفرقدُ (٥)
وأنا الذي عَلِمَ الأنامُ بأنّهُ   لم يَنْمِهِ إلا كريمٌ سيِّدُ .
حمدانُ جدّي خيرُ من وَطِئَ الثرى   وأبي سعيدٌ في المكارمِ أوحدُ :
أعلى لنا لُقمانُ أبياتَ العُلى ،   وأنافَ حمدانٌ ، وشَيَّدَ أحمدُ (٦).
يُعطي إذا ضَنَّ السحابُ تكرُّماً ،   ويُجيرُ إن جارَ الزمانُ الأنكدُ (٧)

١) أمرعهم جنابا : أخصبهم بقاع ارض .
٢) النجد : الارض المنبسطة في الجبل . الهضبة : المكان المرتفع والمنفرد والممتنع من الجبال . — يقول الشاعر : نحن نسكن جميع هذا الجبل العظيم الذي يشرف « بالقوة والسؤدد » على نزار « جميع عرب الشمال » .
٣) في الاصل : ولا نحاشي ، ولكن ما اثبتناه أصح في المعنى . — الناس يفضلوننا على كل انسان ولا يقولون : « حاشا احداً »
٤) الذنابى : الذنب « كناية عن الاتباع من المحكومين » . ربيعة قسم من نزار « نحن يعرفنا العرب كلهم ، لا ربيعة فقط ».
٥) الفرقد : نجم توأم من عنقود مؤلف من نجمين يسمى الفرقدين [كناية عن العلو] .
٦) أناف : زاد عليه « في إعلاء بيوتنا » . شيد : بالغ في رفع « بناءنا علواً » .
٧) اقرأ : نعطي ... نجير ...

وَالْمَجْدُ يُوجَدُ عِنْدَنا بِأَرُومِهِ (١)، وَالعَارُ وَالفَحْشاءُ ما لا يُوجَدُ.
وَالفَخْرُ يُقْسِمُ أَنَّنا أَرْبابُهُ دُونَ البَرِيَّةِ، وَالمَكارِمُ تَشْهَدُ.

ولبني حمدان فضل على العرب جميعهم الا على اسرة بني هاشم التي ولد فيها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣ : ١٨—١٩) :

وإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ كِرامٍ أُصولُهُمْ بَهاليلَ أَبْطالٍ كِرامِ المَناسِبِ (٢).
ولولا رسولُ اللهِ كانَ اعْتِزاؤُنا لأَشْرَفِ بَيْتٍ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالبِ (٣).

اما الشجاعة والنجدة فمعروفتان في بني حمدان الذين هم دائماً على استعداد لرد كل مهاجم . ولا ينسى ابو فراس ان يقرن الكرم بالشجاعـــة حتى عند لقاء العدو (٢٨٠ : ١—٤).

إِنَّا إِذا اشْتَدَّ الزَّما نُ وَنابَ خَطْبٌ وادْلَهَمْ (٤)
أَلْفَيْتَ حَوْلَ بُيوتِنا عُدَدَ الشَّجاعَةِ وَالكَرَمْ (٥):
لِلقَا العِدا بيضُ السيو فِ، وَلِلنَّدى حُمْرُ النَّعَمْ (٦).
هذا وَهذا دَأْبُنا، يُودَى دَمٌ وَيُراقُ دَمْ (٧).

وبنو حمدان لم يحاربوا العدو الخارجي ، اي الروم فقط ، بل قاوموا العصبيات الداخلية في القبائل التي كانت تعيش في ملك بني حمدان الواسع والتي كانت تلتقي بهم في عمود نسب واحد . وكان بنو حمدان يتألمون لذلك ولكنهم لم يجدوا بداً من محاربة تلك القبائل وخصوصاً بعد ان انتشرت فيها الدعوة القرمطية (٩ : ١١—١٣).

١ — الاروم جمع أرومة (بفتح الهمزة وضمها) : الاصل
٢ — البهاليل جمع بهلول « بضم الباء » : السيد المتصف بجميع المحاسن . المناسب : أصول القرابة .
٣ — اعتزاؤنا : انتسابنا . لؤي بن غالب : جد في نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
٤ — ناب خطب : نزلت مصيبة . ادلهم : اسود « عظمت المصيبة »
٥ — ألفى : وجد . العدد : الاسباب والوسائل . ٦ — حمر النعم : اجود انواع الابل والشاء .
٧ — دأبنا : عادتنا . يودى دم : نعطي ديته . يراق : يسفك (في الحرب) . نحن دائماً في احد حالين : مؤاساة او قتال .

فَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهاءُ كَعْبٍ فَتَحْنا بَيْنَنا لِلْحَرْبِ بابا .
مَنَحْناهَا ٱلرَّغَائِبَ ، غَيْرَ أَنَّا إِذا جَارَتْ مَنَحْناها ٱلْحِرَابا (١).
وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ثُرْنا كَمَا هَيَّجْتَ آساداً غِضابا .

ويفتخر ابو فراس بنفسه وبما يتصل بها فخراً كبيراً ، ففضائله كثيرة جداً من كرم وشجاعة ونجدة وصبر في الحوادث وثبات في المصائب . هذه الفضائل يبثها من ديوانه في قصائد مختلفة . غير ان المقطوعة التي تحمل الرقم ٢٠٦ (ص ٢٥٦—٢٥٧) تجمع كثيراً من هذه الصفات في حسن اسلوب ورقة عاطفة . قال ابو فراس :

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ ٱلْفَعَالُ ٱلْجَافِي وَيَحُولُ عَنْ شِيَمِ ٱلْكَرِيمِ الوافي .
لا أَرْتَضِي وُدّاً ، إِذا هُوَ لَمْ يَدُمْ عِنْدَ ٱلْجَفَاءِ ، وَقِلَّةِ الإِنْصَافِ .
تَعِسَ ٱلْحَرِيصُ ، وَقَلَّ ما يأْتي بِهِ عِوَضاً مِنَ الإِلحاحِ والإِلْحَافِ .
إِنَّ الغَنِيَّ هُوَ الغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوَ أَنَّهُ عاري ٱلْمَنَاكِبِ حافي .
ما كُلُّ ما فَوْقَ البَسِيطَةِ كَافِياً ، فَإِذا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِ .
وَتَعَافُ لِي طَمَعَ ٱلْحَرِيصِ أُبُوَّتي وَمُرُوءَتي وَفُتُوَّتي وعفافي .
ما كَثْرَةُ ٱلْخَيْلِ ٱلْجِيَادِ بِزائِدي شَرَفاً ، وَلا عَدَدُ السَّوامِ (٢) الضَّافي .
خَيْلِي ، وإِنْ قَلَّتْ ، كَثِيرٌ نَفْعُها بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَالقَنَا الرَّعَّافِ (٣) .
وَمَكَارِمي عَدَدُ ٱلنُّجومِ وَمَنْزِلِي مأْوى ٱلْكِرَامِ وَمَنْزِلُ الأَضْيَافِ .
لا أَقْتَني لِصُروفِ دَهْري عُدَّةً ، حَتّى كَأَنَّ صُرُوفَهُ أَحْلافي .
شِيَمٌ عُرِفْتُ بِهِنَّ مُذْ أَنا يافِعٌ ، وَلَقَدْ عَرَفْتُ بِمِثْلِها أَسْلافي .

١ ـــ أحسنا اليها كثيراً فلما أصرت على عداوتنا حاربناها .

٢ ـــ الماشية ، الحيوانات التي ترعى .

٣ ـــ الصارم : السيف . القنا : الرماح . الرعاف : الذي يمج دماً « التي يسفك الدماء » .

وابو فراس يفتخر بأنه شجاع مجرب في الحرب ، ولكنه لا يستطيع ان ينجو من قضاء الله اذا قضى الله عليه بهزيمة او اسر او موت في المعركة . ويفتخر بأنه تغلب على ملوك الروم وقادتهم .

وابو فراس يحب السلم ويكره الظلم (الابتداء بالحرب) فهو يدعو قومه ، اذا شذوا ، الى الرشد والسلم. فان لم ينفع ذلك فيهم اضطر الى حربهم. ثم هو لا يحارب قوماً حتى يقدم بين يديه النذر اليهم ولا يغدر بهم ابداً . واذا حارب قومه خاصة ثم قدر عليهم فك اسراهم وعفا عنهم . وهو ايضاً يفك الاسرى حتى لو كانوا في اسر غيره (١:١٠—٣ ، ١:٥٧—٣ ، ٣١:١٦٠ ، ١٤:٢٣٢ ، ١٨) :

رَدَدتُ عَلَى بني قطَن بسيْفي   أسيراً غيرَ مَرْجُوِّ الإيابِ .
سَرَرْتُ بِفَكِّهِ حَيَّيْ نُمَيرٍ   وسُؤتُ بني رَبيعَةَ والضِّبابِ .
وما أبغي سِوَى شُكْري ثَواباً ،   وإنّ الشُّكْرَ مِنْ خَيْرِ الثَّوابِ .
— ألا لَيْتَ قَومي — والأماني كَثيرَةٌ —
شُهُودي ، وَالأَرْواحُ غَيْرُ لَوَابِثِ (١) ،
غَداةَ تُناديني الفَوارِسُ ، والقَنا   تَرُدُّ إلى حَدِّ الظُّبا كُلَّ ناكِثِ (٢)
أحارِثُ، إنْ لَمْ تُصْدِرِ الرُّمحَ قانِياً   ولم تَدْفَعِ الجُلّى فلَسْتَ بِحارِثِ (٣)
— ولا أَصبَحَ الحَيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ   ولا الجَيْشَ ما لَمْ تأتِهِ قَبْلِيَ النُّذْرُ (٤)

١ — والارواح غير لوابث : تخرج من الابدان « اي كثر القتل » .

٢ — تناديني : تستنجد بي . والقنا ترد الى حد الظبا كل ناكث : يهرب النادرون« الاعداء » من الرماح فيقتلون بالسيوف .

٣ — حارث اسم ابي فراس . اذا انت لم تكثر القتل في الاعداء وترد المصيبة فلست ابا فراس المشهور بالشجاعة والنجدة .

٤ — صبح القوم : جاءهم في الصباح . الحي الخلوف : الحي الذي غاب رجاله وبقي فيه النساء . النذر جمع نذير : الذي يحمل الى القوم خبراً سيئاً .

ـ وقدَّمتُ نُذري أنْ يقولوا غدَرْتَنا ،

وأَقبَلْتُ لم أُزهِقْ ولم أتحيَّل (١).

ولمّا أطعتُ الجهلَ والغيظَ ساعةً   دعوتُ بحلمي: أيّها الحلمُ، أقبلِ (٢)

وكذلك لم تذهب هيبة ابي فراس من نفوس خصومه ، حتى في اثناء اسره : لقد كان الروم يحترمونه ويهابونه وهو في اسرهم ويديهم كما لو انهم هم الذين كانوا اسرى له (٢٦١ : ١ ، ٣) :

ولله عندي في الإسارِ وغيرِهِ   مواهبُ لم يُخصَصْ بها أحدٌ قبلي .

إذا عاينتْني الرُّومُ كفَّرَ صِيدُها   كأنّهمُ أسرى لديَّ وفي كَبْلي (٣)

حتى مهره كان يعرف له مقامه هذا فيزهى بنفسه اذا كان هو على ظهره (٢٣٠ : ٣٤ ــ ٣٥) :

ومُهري لا يَمسُّ الأرضَ زَهواً   كأنّ ترابَها قُطبُ النِّبالِ (٤).

كأنّ الخيلَ تعرفُ مَنْ عليها ،   ففي بعضٍ على بعضٍ تعالِ (٥).

ويفتخر ابو فراس احياناً بشعره ، فهو شعر محبّر يشبه الحبر (اثواب الحرير) وعقود اللؤلؤ والزبرجد لما هو عليه من رونق وجمال . وابو فراس يصيب مواقع الكلام ، سواء اجاء به مبتكراً او معاداً . ولعله كان كثير التنقيح لشعره ، وليس هذا بمستغرب فانه على المذهب الشامي (٩٢ : ٢٤ ، ١١٨* : ٦٢) :

هذي مُحبَّرةٌ يُشاكِلُ نظمُها   عِقداً عليه لؤلؤٌ وزبَرجدُ .

---

١ ــ في حروبي لا اشتط في الظلم ولا احتال حتى انتصر .

٢ ــ أطعت جهلي وغضبي حيناً فقاتلت القوم اشد القتال ، ثم رجعت الى عقلي فكففت عن قتالهم .

٣ ــ اذا رآني عظماء الروم سجدوا لي كأنهم هم الاسرى المقيدون عندي .

٤ ــ مهري لا يستقر على الارض من خيلائي كأن الارض تحته تنصب اليها النبال من كل ناحية .

٥ ــ بعض الخيل تفتخر على بعض كأنها تشعر بقيمة من على ظهرها .

ـ عليَّ لأبكارِ الكلام وعُونِهِ   مفاخِرُ تُفنيهِ وتبقى مفاخِرُ (١)

٣ ـ الادب والحكمة

الادب او الحكمة ، في الشعر ، اقوال صائبة يأتي بها الشاعر منثورة في قصائده . على ان بعض هذه الآراء تكون احياناً عامة مجموعة من اختبارات الشعوب وحوادث الايام لا اثر للعنصر الشخصي فيها ، ولا ابتكار او عمق يميزها من غيرها . والحكم عند ابي فراس تلفت النظر لترددها في شعره ، لأن بعضها ينكشف عن اتجاه شخصي في تأمل الحياة . واذا نحن ادركنا ان ابا فراس عاش معذباً بعداوة اهله حينما كان حراً طليقاً ، وبشماته اعدائه حينما كان اسيراً ، ادركنا انه قد مر في ادوار من الحياة تصهر النفوس وتستخرج الحكمة من اعماق نفسه المتألمة . ثم يجب ألا ننسى ان ابا فراس عاش في عصر اشتهر بالحكمة ، وانه كان معاصراً للمتنبي وهو الشاعر الحكيم المشهور .

لابي فراس آراء عارضة في الحياة والموت والقضاء والقدر ليس فيها براعة خاصة ولا روعة، لكثرة ما ترددت في الشعر من قبل ومن بعد (٢٤٢ : ٨ ، ١١٨ : ٤٦ ، ٣٠٧ : ٢٠ ، ٢٦ ، ٣١) :

وإذا المَنِيَّةُ أقبلَتْ لم يَثْنِها   حِرصُ الحريص وحِيلةُ المُحتالِ (٢)
ـ لعَمرُكَ ما الأبصار تَنفعُ أهلَها   إذا لم يكُن للمُبصِرين بصائِرُ (٣)
ـ تُصاحِبُنا الأيامُ في ثوبِ ناصِحٍ   ويَختِلُنا مِنها على الأمنِ أرقَمُ (٤)

---

١ ـ ابكار الكلام : الكلام البكر ، المبتكر . العون جمع عوان : الحرب التي حدثت مرة بعد مرة ، والحيوانات التي ولدت مراراً « وهنا : الكلام المردد المعاد » ـ مفاخري كثيرة جداً ينتهي الشعر كله ولا تنتهي هي .

٢ ـ ثناها : ردها . الحرص : البخل بالحياة ، حب المنفعة لنفسنا او لغيرنا .

٣ ـ البصيرة : التفكير ، العلم ، الفطنة .

٤ ـ ختل : غدر . اغتال : قتل غيلة . على الامن : ونحن نظن اننا آمنون منها . ارقم : ثعبان .

وَإِنّي لَغِرٌّ إن رَضِيتَ بِصَاحِبٍ   يَبَشُّ وَفيهِ جَانِبٌ مُتَجَهِّمُ (١)
إذا لم يكُنْ يُنجي ٱلفِرارُ من الرّدى   على حالَةٍ فالصَّبرُ أرْجى وَأحزَمُ .

على ان عدداً من حكمه يسمو الى مرتبة عالية. فيكون موضع استشهاد او ينكشف عن فكر عميق (١١٨ : ٢٧ ، ٢٥٧ : ١—٢)

عفافُكَ عجزٌ ، إنّمَا عِفّةُ الفَتي   إذا عفّ عَنْ لَذّاتِهِ وَهوَ قادرُ .

ـ عَرَفتُ ٱلشَّرّ لا لاشّرِ   لكن لِتَوَقّيــهِ .
وَمَنْ لا يَعرفِ ٱلشّرّ   من الناس يَقعْ فيهِ .

على ان القسم الاوفر من حكمه يتكشف عن « فكرة عامة واساس واضح » ، حتى لكأنه يمثل اتجاهاً فلسفياً مقصوداً لا رأياً صحيحاً عارضاً فقط . لابي فراس في الخير والشر ، مثلا ، رأي يشبه آراء الفلاسفة . ان ابا فراس متشائم يرى ان الناس في كل عصر فاسدون : انهم يجهلون طرق الخير والعلى ويعرفون طرق الشر والدناءة. ولكن الغريب ان ابا فراس يلزم نفسه ، على الرغم من رأيه الصحيح في الناس ، عمل الخير مع انه واثق بأنه لن يجد منهم شكراً على ذلك (٢٣٣:٣٣—٣٦، ١١٩:٩—٢):

لقد قلّ ان تلقى من الناس مُجملاً ،   وأخشى قريباً ان يَقلّ المجَامِلُ (٢)
وما ٱلنّاسُ إلّا قِطْعَةٌ مِنْ زمانِهِمْ   لهم وله تحتَ التّرابِ حَبَائِلُ (٣)
حَرِيُّونَ ألّا يَعرِفوا طُرُقَ العلا   ولكنّ طُرْقَ اللُّؤْمِ فيهم شَوامِلُ (٤)
فإمّا عَدوٌّ للزمانِ وأهلِهِ   وإمّا جَبانٌ ـ لا أبالك ـ باخلُ .

١ ـــ الغر : الجاهل الذي لا تجريب له . يبش : يبدي لطفاً وحفاوة . متجهم : عابس ، مقطب الوجه . لا أرضى صديقاً يلاطفني في أمور ويعبس في وجهي في أمور اخرى .

٢ ـــ المجمل : الذي يصنع الجميل اعتقاداً . المجامل : الذي يداري الناس نفاقاً او استغلالا .

٣ ـــ هنالك اسباب مادية « تحت التراب ؟ » تجذب الناس الى الشر . او «موجودة تحت التراب » مخبأة لاصطياد بعضهم بعضاً .

٤ ـــ من المعقول اذن ألا يعرف الناس الخير ، وان يكون الشر عاماً فيهم . في الاصل : طرق اللوم .

ـ وما نِعمَةٌ مشكورةٌ قد صَنَعتُها إلى غيرِ ذي شُكرٍ بمانعتي أخرى .
سآتي جميلاً ما حَييتُ ، فإنني اذا لم أفِدْ شكراً أفدتُ به أجرا (*)

ومن حكمه البارعة ان الفساد الذي يُصلح الفساد ليس بفساد ، اي ان قتل القاتل صلاح لأنه يزجر الاشرار عن القتل ويحقن دماء الضعفاء الخيرين (٧٦ : ٢، ٤) :

جزَيتُ سَفيهَهُمْ سوءاً بسوءٍ ، فلا حَرَجاً أتيتُ ولا جُناحا (١).
ولستُ أرى فساداً في فَسادٍ يَجُرُّ عَلى فَريقَيهِ صَلاحا .

ولأبي فراس قصيدة في الصداقة والصديق « تُعد فناً في هذا الباب » ، ذلك لأنها غرض واحد يعالجه الشاعر معالجة شاملة . قال (١٤٣ : ٨ ـ ٩، ١٥ ـ ٢١) :

وخَبَرتُ هذا الدهرَ خِبرَةَ ناقدٍ حتّى أنِستُ بخيرِهِ وبشَرِّهِ .
لا أشتري بَعدَ التجَرُّبِ صاحِباً إلا وَدِدتُ بأنني لم أشْرِهِ .
والمرءُ ليسَ ببالغٍ في أرضِهِ كالصَّقرِ ليس بصائدٍ في وكرِهِ .
أنفِقْ مِنَ الصبرِ الجميلِ ، فإنّهُ لم يَخْشَ فَقراً مُنفِقٌ مِنْ صبرِهِ .
واحلَمْ وإنْ سَفِهَ الجَليسُ وقُلْ لهُ حُسنَ المَقالِ إذا أتاكَ بهُجْرِهِ (٢) .
وأحَبُّ إخواني إليَّ أبَشُّهم بصَديقِهِ في سِرِّهِ أو جَهرِهِ .
لا خَيرَ في بِرِّ الفَتى ما لم يَكُنْ أصفَى مشارِبِ بِرِّهِ في بِشرِهِ (٣).
ألقَى الفَتى فأريدُ فائضَ بِشرِهِ ، وأُجِلُّ أنْ أرضَى بفائضِ بِرِّهِ (٤).

---

١ ـ الحرج : ضيق الصدر وقلق الضمير . الجناح : الاثم والذنب .

* ـ راجع الجانب الفلسفي من فساد الطبيعة البشرية ، وفعل الخير للخير في كتاب حكيم المعرة للدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثانية « بيروت ١٩٤٨ » من ٧٥ ـ ٧٨ و١٠٢ ـ ١٠٦ .

٢ ـ هجر القول : قبيحه أو ما فيه استهزاء .

٣و٤ ـ لا أريد خير الرجل اذا كان لا يلقاني بوجه طلق بشوش .

يا رُبَّ مُضطَغِنِ الفُؤادِ لَقِيتُهُ بِطَلاقَةٍ فَسَلَلْتُ ما في صَدْرِهِ !

ولعل أروع ما لأبي فراس في هذا الباب قوله الذي يـــدل على اختبار طويل — على قصر عمره هو — وعلى ملاحظة دقيقةوعلم ايضاً ، وذلك قوله (٣٤٠ : ١) :

لَطِيرَتي بِالصُّداعِ نالَتْ فَوْقَ مَنالِ الصُّداعِ مِني .

هذا القول في الدرجة الاولى يدل على حقيقة ثابتة ، هي ان الصداع يبعث التشاؤم والجزع في المريض . ان الصداع ظاهرة مؤلمة مقلقة لاضطرابات مختلفة الخطورةتبدأ بعسر الهضم وتنتهي بالسل والسرطان . ثم ان قول ابي فراس هذا يمس ناحية نفسية يعالجها الاطباء اليوم اكثر مما يعالجون الامراض نفسها ، اذ يبدو ان هـــذا القلق المرضي (١) يعرّض أصحابه لاضطرابات مستجدة ويضعف مناعة اجسامهم حتى انهم يقعون احيانا فريسة امراض اشد خطراً من الامراض التي يتوهمونها .

٤ — المدح

إذا كان المدح للتكسب فليس لابي فراس مديح في احد . واما اذا كان المـــدح للاعجاب فلأبي فراس مديح كثير في سيف الدولة وابني سيف الدولةوفي نفر آخرين من بني حمدان . ان أبا فراس يمدح بالشجاعة والنجدة وبالكرم والعلى وبالنسب الثابت البعيد .وهو يقرن نفسه دائماً بالممدوح لأنهما ينحدران من اصل واحد ويشتركان في مجد واحد . اما اسلوبه في هذا الباب فهو متين فخم احيانا مملوء دائماً بالفخر وممزوج بالعتاب المر (١١٨ : ١٣٢ — ١٣٨ ، ١٤١ ، ٤٣١ ، ١٤٨ — ١٤٩ ، ١٥٧ — ١٥٨ ، ١٦٧ — ١٦٩ ، ١٧٨ — ١٧٩ ، ١٨٨) :

أَلا قُلْ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ القَرْمِ (١) إِنَّني

عَلى كُلِّ شَيْءٍ غَيْرَ وَصْفِكَ قادِرُ .

---

1) — phobia, phobie .

٢ — السيد الماجد .

فلا تلزمني خطةً لا أطيقها ، فمجدك غلاب ، وفضلك باهر .

ولو لم يكن فخري وفخرك واحداً لما سار عني بالمدائح سائر .

ولكنني لا أعضل القول عن فتى أساهم في علياته وأشاطر (١).

وعن ذكر أيام مضت ومواقف مكاني فيها بين القول ظاهر .

مساع يضل القول فيهن جهده وتهلك في أوصافهن الخواطر (٢)

بناهن باني الثغر والثغر دارس ، وعامر دين الله والدين داثر (٣)

وشق إلى ثغر الدمستق جيشه بأرض سلام والقنا متشاجر (٤).

وبات يدير الرأي من كل وجهة ، وذو الحزم تاهيه ، وذو العزم آمر .

فلا هو فيما سره متطاول ، ولا هو فيما ساءه متقاصر .

فلما رأى الإخشيد ما قد أظله تلافاه يثني غربه ويكاثر (٥).

ولما وردنا الدرب ، والروم فوقه ، وقدر قسطنطين أن ليس صادر (٦)

ضربنا بها عرض الفرات كأنما تسير بنا تحت السروج جزائر (٧)

---

١) عضل : منع ، ترك — لا أضن على سيف الدولة بذكرى قمت انا معه بتخليدها .

٢) مهما كثر القول لا يوفيها حقها ولا يستطيع الخيال ان يحيط بها .

٣) الثغر : المكان الذي يخشى منه مجيء العدو براً او بحراً ـ وهو هنا البلاد التي كان يجتازها الروم للوصول الى شمالي الشام .

٤) الدمستق : قائد جيش الروم . سلام : مكان وقعت فيه المعركة المذكورة سنة ٣٢٦ هـ ـ كان عمر ابي فراس في ذلك الحين ست سنوات .

٥) وقعت بين الأخشيد « محمد بن طغج المستبد بامر مصر » وبين سيف الدولة حروباً كانت سجالا . ثم طلب الاخشيد الصلح فأجابه سيف الدولة الى طلبه .

٦) الدرب : ممر بين سورية وآسية الصغرى يعرف اليوم باسم مضيق بيلان ، وكان قسطنطين بن الدمستق قد أحاط بجيش سيف الدولة ، ثم نجا الجيش من التطويق .

٧) بها : بالخيل — اي سبحنا بالخيل في الفرات .

وَحَسْبي بها يومَ الأُحَيْدَبِ وَقْعَةً عَلى مِثْلِها في العِزِّ تُثْنَى الخَناصِرُ (١)
عَدَلْنا بها في قِسْمَةِ المَوْتِ بَيْنَهم، ولِلسَّيْفِ حُكْمٌ في الكَتِيبَةِ جائِرُ،
إذِ الشَّيْخُ لا يَلْوي وَنَقْفُورُ مُجْحَرٌ،
وفي القَيْدِ أَلْفٌ كاللُّيُوثِ، وقَساوِرُ (٢).
شَرَيْنَا وبِعْنَا بالسُّيوفِ نُفُوسَهُم، وَنَحْنُ أُناسٌ بالسُّيُوفِ نُتَاجِرُ.
وَصُنَّا نِساءً، نَحْنُ أَوْلى بِصَوْنِها، رَجَعْنَ ولم تُكْشَفْ لَهُنَّ سَتائِرُ.
بِنا وبِكُمْ يا سَيْفَ دَوْلَةِ هاشِمٍ يَطُولُ بِنَا أَعْمامُنا وَيُفَاخِرُ!

ومدح ابو فراس ابني سيف الدولة، ابا المكارم وأبا المعالي، وحرص على ان يتنبأ لهما بمستقبل عظيم لمكانهما من ابيهما سيف الدولة ومن جديهما: جدهما لابيهما ابي الهيجاء عبدالله وجدهما لامهما ابي العلاء سعيد، والد ابي فراس (لأن ابا فراس خالهما). ولا ريب في ان من تهكم الزمن ان يسقط ابو فراس صريعاً في حرب نازع فيها ابا المعالي على الملك. قال ابو فراس (٢٨٥:٢–٦،٤):

تُنْبي الفَراسةُ أَنَّ في ثَوْبَيْهِمَا لَيْثَيْنِ تَجْتَنِبُ اللُّيوثُ حِماهُمَا.
لِمَ لا يَفُوقانِ الأَنامَ مَكارِماً وَالسَّيِّدانِ كِلاهُمَا جَدَّاهُمَا؟
تَلْقَى أَبا الهَيْجاءِ في هَيْجاهُما، وَيُرِيكَ فَضْلَ أَبي العَلاءِ عُلاهُما.
مُيِّزَتْ بَيْنَهُما فَلَمْ تَتَفاضَلا كالفَرْقَدَيْنِ تَشَا كَلَتْ حالاهُما.

وكذلك مدح ابو فراس ابن عمه ابا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان. ولأبي فراس في أبي زهير هذا اشعار كثار، منها (٣٠٥:٢٦–٣١):

---

١) الاحيدب اسم جبل حدثت عنه معركة بين الروم وسيف الدولة سنة ٣٤٣ هـ «٩٥٤ م» إنتصر فيها سيف الدولة وأسر من الروم عدداً من وجوههم.

٢) هرب الشيخ «برداس فوقاس» احد قواد الروم وقريب نقفور. نقفور: قائد الجيش البيزنطي، أصبح فيما بعد امبراطوراً.

أَخِي وَٱبْنَ عَمِّي ، يا ٱبْنَ نَصْرٍ ، نداءَ مَنْ
أُقِيمَتْ لِطُولِ ٱلْهَجْرِ مِنْكَ مآتِمُهْ .
أَوَدُّكَ وُدّاً لا الزَّمانُ يُبِيدُهُ ، ولا النَّأْيُ يُفْنِيهِ ، ولا الهجْرُ صارِمُهْ .
ولو رُمْتَ يَوْماً أَنْ تَرِيمَ صَبابَتي إِلَيْكَ إِزالَ ٱلشَّوْقُ ما أَنا رائِمُهْ (١)
فَوَاعَجَباً للسَّيْفِ لَمّا ٱنْتَضَيْتَهُ مِنَ ٱلْجَفْنِ ، لم يُورِقْ بِكَفِّكَ قائِمُهْ (٢)
وواعَجَباً للطِّرْفِ ، لَمّا رَكِبْتَهُ غَداةَ الوَغَى كَيْفَ ٱسْتَقَلَّتْ قوائِمُهْ (٣)
بِلَيْثٍ — إِذا ما ٱللَّيْثُ حادَ عَنِ ٱلْوغى —
وَغَيْثٍ — إِذا ما الغَيْثُ أَكْدَتْ سواجِمُهْ (٤)

٥ — الرثاء

ابو فراس شاعر وجداني رقيق ، من اجل ذلك ننتظر ان يكون الرثاء عنده كثيراً رقيقاً . ولكن الواقع ان الرثاء عنده قليل لا يزيد في ديوانه على مائة بيت . واكثر تلك الابيات عادية جداً . ولكنّ له في هذا الباب مرثية جديدة بعث بها الى سيف الدولة من الاسر يعزيه باخته . هذه القصيدة في الحقيقة تعزية لسيف الدولة باخته اكثر منها رثاء في الميتة . ولقد سلك ابو فراس في هذه المرثية مسلكا روحياً باميا . ومع ذلك كله فالابيات الجياد فيها قليلة جداً لعلها لا تتجاوز اربعة ابيات : الاول والرابع ثم السابع والحادي عشر (١:٧٩—١١) :

---

١) لو أردت ان يميل وجه حبي عنك لتغلبني شوقي إليك وأبطل إرادتي .

٢) الجفن : غمد السيف . — ان كرمك العظيم كان يجب ان يجعل السيف يورق في كفك (مع ان السيف حديد لا يورق)

٣) الطرف : الفرس الكريم . استقلت قوائمه : ثبتت .

٤) أكدت سواجمه : قلت أمطاره .

أُوصيكَ بِالحزنِ ، لا أُوصيكَ بِالجَلَدِ ،
جَلَّ المُصابُ عَنِ التَّعنيفِ والفَنَدِ (١).
إنّي أُجِلُّكَ أَنْ تُكفى بِتَعزِيَةٍ عن خيرِ مُفتَقَدٍ ، يا خيرَ مُفتَقَدِ .
هِيَ الرَّزيَّةُ إنْ ضَنَّتْ بما مَلَكَتْ مِنها الجُفونُ فما تَسخُو على أَحَدِ .
بي مِثلُ ما بِكَ مِن حُزنٍ ومِنْ جَزَعٍ ،(٢)
وقَدْ لَجَأتُ إلى صَبرٍ فَلَمْ أَجِدِ .
لم يَنتَقِصني بُعدي عَنكَ مِن حَزَنٍ ، هِيَ المُواساةُ في قُربٍ وفي بُعُدِ (٣)
لأُشرَكَنَّكَ في اللأْواءِ إنْ طَرَقَتْ كما شَرَكتُكَ في النَّعماءِ والرَّغَدِ (٤)
أبكي بِدَمعٍ لَهُ مِنْ حَسرَتي مَدَدٌ وأستَريحُ إلى صَبرٍ بِلا مَدَدِ (٥)
ولا أُسوِّغُ نَفسي فَرحَةً أبداً وقَدْ عَرَفتُ الَّذي تَلقاهُ مِن كَمَدِ .
وأَمنَعُ النَّومَ عَيني أَنْ يُلِمَّ بِها عِلماً بِأَنَّكَ مَوقوفٌ على السَّهَدِ .
يا مُفرَداً باتَ يَبكي لا مُعِينَ لَهُ ، أَعانَكَ اللهُ بِالتَّسليمِ والجَلَدِ .
هذا الأَسيرُ المُبَقَّى ، لا فِداءَ لَهُ ، يَفديكَ بِالنَّفسِ والأهلينَ والوَلَدِ

ولكن يبدو ان ابا فراس عاد يهون المصيبة على سيف الدولة ، فسلك الى غايته

---

١) الجلد : التصبر ، التظاهر بالصبر في المصائب . التعنيف : اللوم . الفند : ذهاب العقل ، والمقصود هنا التفنيد : اللوم على مفارقة ما يقضي به العقل . — يقول : المصيبة كبيرة جداً لا يلام المرء فيها مهما فعل بنفسه من الحزن .

٢) الجزع : قلة الصبر ، قلة احتمال المصائب .

٣) ومع اني اسير وحزين على نفسي فان ذلك كله لم يمنعني من ان اكتب اليك اعزيك ، كما كنت اعزيك لو أنني كنت موجوداً بقربك.

٤) اللأواء : الشدة .

٥) ان عظم المصيبة جعل حزني لا ينفد ولكن جعل صبري ينفد .

في هذه المرة سبيلا مادية وقال له : لا بد لكل حي من ان يموت . فيجب اذن ان ترضى بأنك بقيت بعد اختك يعزيك الناس بها ، ولم تمت انت فيعزيها الناس بك (٨٠:١-٣) :

قولا لهذا السيدِ الماجدِ قولَ حزينٍ مثلهُ واجدِ :
هيهاتِ ، ما في الناسِ من خالدٍ ، لا بدَّ من فقدٍ ومِنْ فاقدِ .
كُن المُعزّى لا المُعزّى بهِ ، إنْ كان لا بُدَّ مِن الواحِدِ !

٦ ـ التشيع

التشيع عنصر بارز في شعر ابي فراس ، سبقت الاشارة اليـه في باب « عناصر شخصيته » وفي باب « خصائصه الفنية » . ولكن بروز هذا العنصر في ديوان الشاعر وكثرة المقطعات المخصوصة به تبرر جعله فنا مستقلا من فنون هذا الباب .

كان موقف ابي فراس في التشيع يخالف موقف الحمدانيين . ان الحمدانيين كانوا على المذهب الشيعي ولكنهم كانوا على ولاء للعباسيين تضامناً معهم في موقفهم السياسي تجاه الروم . ثم ان الحمدانيين ، كما رأينا في « صورة العصر » ، كانوا أميل الى تحقيق اغراضهم السياسية منهم الى الاستماتة في سبيل مذهبهم . اما ابو فراس فلم يقم وزنا للاعتبارات السياسية ، بل اطلق العنان لعاطفته فلم يكتف بان يمدح آل البيت ويفتخر بالانتماء اليهم ، بل راح يعرّض ببني العباس ويجعل جرمهم في مناوئة بني علي فوق جرم بني أمية .

وابو فراس في «شيعياته» القليلة يأسى لما أصاب آل البيت ويصف حالهم وما لاقوه من الظلم ، ثم يتوعد بني العباس وينعى عليهم فسقهم ويعدد غدراتهم بالطالبين.

ومن المقطعات المشهورة لأبي فراس في هذا الباب مقطعته التي يتوسل فيها بالائمة (٣٥٥:١-٧) :

لَسْتُ أَرْجو ٱلنَّجاةَ مِنْ كُلِّ ما أَخْشَاهُ إِلا بأَحْمَدٍ وَعَليٍّ (١)؛

وَبِبِنْتِ ٱلرَّسولِ فَاطِمَةَ ٱلطُّهْـ ـرِ وسِبْطَيهِ وَالإِمام عليٍّ (٢)،

والتَّقِيِّ النقِيِّ باقِرِ عِلْمِ ٱللهِ فِينا مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ !

وَٱبْنِهِ جعْفَرٍ وموسى ومَوْلا ناعَليٍّ، أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عليٍّ (٣).

وأَبي جعْفَر سَمِيِّ رَسُولِ ٱللهِ ثُمَّ ٱبنِهِ الزَّكِيِّ عَلِيٍّ ،

وَٱبْنِهِ ٱلعَسْكَرِيِّ وَالقَائِمِ ٱلمُظْـ ـهِرِ حَقِّي محمدِ بنِ عليٍّ (٦) .

فيهِمْ أَرْتَجِي بُلوغَ ٱلأَماني يَوْمَ عَرْضِي عَلَى مَلِيكٍ عَلِيٍّ .

اما حملته على بني العباس فمبسوطة في القصيدة التي نأخذ منها الابيات التالية (٢٨٣: ١، ٥، ٧—٩، ١١ — ١٢، ١٤—١٧، ١٩ — ٢٣، ٢٨، ٣٠، ٣٤—٣٥، ٤٧—٤٨، ٥٠ — ٥٤، ٥٦—٥٩) . كان ابو الحسن محمد بن عبدالله بن سكرة المتوفى سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥م) قد عمل قصيدة يفاخر فيها ولد ابي طالب وينتقص ولد علي . فلم يرد عليه ابو فراس ، ولكن عمل القصيدة التالية في مدح آل البيت :

الدِّينُ مُخْتَرَمٌ والحَقُّ مُهْتَضَمُ ، وفيءُ آلِ رَسُولِ اللهِ مُقْتَسَمُ (٧)

يُصَانُ مُهرِي لأَمرٍ لا أَبُوحُ بهِ وَالدِّرْعُ وَالرُّمحُ والصَّمْصَامَةُ الخَذِمُ،

وَفِتيَةٌ قَلْبُهُم قَلْبٌ إِذا رَكِبوا يوماً، ورأْيُهُمُ رَأْيٌ إِذا عَزَموا (٨)

---

١) احمد : محمد رسول الله . علي : علي بن ابي طالب .

٢) السبطان : الحسن والحسين ابنا علي بن ابي طالب . الامام علي : علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بزين العابدين .

٣—٦) محمد الباقر ، ثم جعفر الصادق ، ثم موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثم علي الرضا ، ثم ابوجعفر محمد الجواد ، ثم علي الهادي ، ثم الحسن العسكري ، ثم محمد المنتظر .

٧) الدين متروك والحق مغتصب ، والارث الذي تركه محمد رسول الله لذريته اقتسمه العباسيون فيما بينهم

٨) قلبهم قلب واحد ورأيهم رأي واحد ، كناية عن اجتماعهم في امورهم .

يا لَلرِّجالِ ! أَمَا لله مُنْتَصِفٌ ... من الطُّغاةِ ؟ أَمَا لِلدِّينِ مُنْتَقِمُ ؟

بَنُو عَلِيٍّ رَعَايَا في دِيارِهِمُ ، ... والأَمرُ تَمْلِكُهُ النِّسْوانُ والخَدَمُ !

فالأَرْضُ إلّا على مُلَّاكِها ، سَعَةٌ ، ... والمالُ إلّا على أَرْبابِهِ دِيَمُ .

وما السَّعيدُ بها إلا الذي ظَلَمُوا ، ... وما الغَنِيُّ بها إلا الذي حَرَمُوا .

لا يُطْغِيَنَّ بني العباسِ مُلْكُهُمُ ، ... بنو عَلِيٍّ مَوالِيهِمْ وإِنْ زَعَمُوا .

أَتَفْخَرُونَ عليهِمْ ؟ - لا أَبَا لَكُمُ - ... حَتَّى كَأَنَّ رسولَ الله جَدُّكُمُ .

وما تَوَازَنَ يَوْماً بينَكُمْ شَرَفٌ ، ... ولا تَسَاوَتْ بِكُمْ في مَوْطِنٍ قَدَمُ .

ولا لَكُمْ مِثْلُهُمْ في المَجْدِ مُتَّصَلٌ ، ... ولا لِجَدِّكُمُ مِعْشارُ جَدِّهِمُ .

قَامَ النَّبِيُّ بها يَوْمَ الغَدِيرِ لهُمْ ، ... واللهُ يَشْهَدُ والأَمْلاكُ والأُمَمُ (١)

حَتَّى إذا أَصْبَحَتْ في غيرِ صاحِبِها ... باتَتْ تُنَازِعُها الذُّؤْبانُ والرَّخَمُ (٢)

وصُيِّرَتْ بينَهم شُورَى كأَنَّهُمُ ... لا يَعْرِفُونَ وُلاةَ الحَقِّ أَيُّهُمُ (٣)

تَاللهِ ، ما جَهِلَ الأَقْوامُ مَوْضِعَها ، ... لكِنَّهُم سَتَرُوا وَجْهَ الذي عَلِمُوا

ثُمَّ ادَّعاها بنو العَبَّاسِ إِرْثَهُمُ ، ... وما لَهُمْ قَدَمٌ فيها ولا قِدَمُ (٤)

---

١) يرى الشيعة إن الرسول اوصى لعلي بن ابي طالب بالخلافة يوم غديز خم .

٢) « غير صاحبها » إشارة الى ابي بكر وعمر وعثمان الذين تولوا الخلافة قبل علي . تنازعها الذؤبان والرخم : تنازع الخلافة الاقوياء [الذؤبان] والضعاف [الرخم] . الرخم من ضعاف الطير .

٣) « وصيرت بينهم شوري » ، اي الخلافة ، إشارة الى ان عمر بن الخطاب لما طعنه ابو لؤلؤة عين ستة نفر من الصحابة بينهم علي بن ابي طالب ثم جعل الخلافة شورى بينهم على ان يتفقوا على واحد منهم يولونه اياها . ثم يقول ابو فراس :كأن عمر لا يعرف أن علياً هو صاحب الحق فيها .

٤) ادعى الخلافة فيما بعد بنو العباس ، مع انه ليس لهم عمل مجيد يخولهم الخلافة ، ولا كانت لاسلافهم من قبل .

هَلْ جَاحِدٌ، يا بني العبّاس، نِعمتَهُ : أبوكُمُ أَمْ عُبيدُ اللهِ أَمْ قُثَمُ (١)

لا بَيْعَةٌ رَدَعَتْكُم عَنْ دمائِهِمُ ، وَلا يَمِينٌ ولا قُرْبى ولا ذِمَمُ .

مَا نَالَ مِنْهُمْ بَنو حَرْبٍ، وإن عَظُمَتْ تِلْكَ الجَرائِرُ إلّا دونَ نَيلِكُمُ .

كَمْ غَدْرَةٍ لكُمُ في الدِينِ وَاضِحَةٍ وكَمْ دَمٍ لِرَسُولِ اللهِ عِنْدَكُمُ ؟

أَبلِغْ لَدَيْكَ بني العَبّاسِ مألُكةً : لا تَدَّعوا مُلْكَهَا، مُلّاكُها العَجَمُ (٢)

أيُّ المَفاخِرِ أمسَتْ في منابِرِكُمْ ، وَغيرُكُم آمِرٌ فيهِنَّ مُحْتَكِمُ ؟

يا باعَةَ الخَمْرِ كُفّوا عَنْ مَفَاخِرِكُمْ عَنْ فِتْيَةٍ بَيْعُهُمْ يَومَ الهِياجِ دَمُ .

خلُّوا الفَخَارَ لِعَلّامينَ إنْ سُئِلوا يَومَ السُّؤالِ، وَعَمّالينَ إنْ عَلِموا !

لا يَغْضَبُونَ لغَيرِ اللهِ إنْ غَضِبُوا ، ولا يُضِيعُونَ حُكْمَ اللهِ إنْ حَكَمُوا !

تَبْدو التلاوةُ مِنْ أَبياتِهِمْ أبداً ، وفي بُيوتِكُمُ الأوْتارُ والنَّغَمُ .

مِنكُمْ عُلَيَّةُ أَمْ مِنْهُمْ ؟ وكانَ لكُمْ شَيْخُ المُغَنّينَ إبْرَاهِيمُ أَمْ لَهُمُ ؟ (٣)

إذا تَلَوْا سُورَةً غَنّى إمَامُكُمُ : «قِفْ بالدِّيارِ الّتي لَمْ يَعْفُها القِدَمُ» (٤)

ما في دِيارِهِمُ للخَمْرِ مُعْتَصَرٌ ، ولا بُيوتُهُمُ للسوءِ مُعْتَصَمُ .

---

١) اشارة الى ان علي بن ابي طالب، لما تولى الخلافة، ولى عبد الله بن العباس على البصرة وعبيد الله بن العباس على اليمن ، وقثم بن العباس على الحرمين . فلا يجوز لبني العباس ان يجحدوا فضل علي فيظلموا ابناءه .

٢) مألكة : رسالة . الملك ليس لكم الآن ،يا بني العباس ، بل للعجم (راجع صورة العصر:امير الامراء) .

٣) علية بنت المهدي كانت عوادة ماهرة (تعزف على العود) واخوها ابراهيم كان مغنياً . — يقول ابو فراس : ان المغنين والمغنيات كانوا من بني العباس لا من بني علي .

٤) بينما يكون بنو علي قائمين في صلواتهم وترتيلهم للقرآن يشتغل خلفاء بني العباس عن العبادة بالغناء . الشطر الثاني مقتبس من مطلع قصيدة لزهير بن ابي سلمى .

وَلا تَبِيتُ لهُمْ خُنثَى تُنادِمُهمْ ولا يُرى لهُمْ قِرْدٌ لهُ حَشَمُ (١)
الرُّكْنُ وَالبيْتُ وَالأَسْتارُ مَنْزِلُهمْ وَزمْزَمٌ وَالصَّفا وَالحِجْرُ وَالحُرَمُ (٢)

ولابي فراس في مدح آل علي والتعريض ببني امية وبني العباس قصيدة اخرى (رقم ٣٤٥) يصف فيها مقتل الحسين في كربلاء .

٧ ــ العتاب

العتاب قسمان : عتاب للمحبوب وعتاب للرؤساء الذين يحرص الشاعر على استدامة برهم اليه اما من عطف او من عطاء . والشعراء فيما يتعلق بالعتاب ايضا فرقان : منهم الذين يحسنون العتاب ويسلكون فيه سبيلا دمثا ويتحكمون في عواطفهم فيستميلون اليهم الذين يعاتبونهم . من امثال هؤلاء الشعراء البحتري ، وعتاب هؤلاء على الحقيقة قسم من المديح . ومن الشعراء من لا يحسن العتاب فاذا عاتب نفر الذين يخاطبهم منه وزادهم نأيا بجانبهم عنه . وهؤلاء كثار منهم بشار وابن الرومي وابو فراس ، وعتاب هؤلاء اقرب الى ان يكون تقريعا أو هجاء .

ومع ان عتاب ابي فراس يجب ان يأتي مع « رومياته » ، فاننا نفسح هنا له مجالا محدوداً .

أ) ليس لأبي فراس عتاب بادع الى المحبوبين : إنه يشكو فقط ثم يقارن وفاءه هو وصبابته بغدر المحبوب او قلة مبالاته . وربما عطف الى إستعارة او موازنة موفقة ولكنها بعيدة عن العاطفة . قال ابو فراس (رقم ٢٧٠) :

لَيْتَ حَظِّي من الحبيب جَزِيلٌ مِثْلَمَا حَظُّه لَدَيَّ جَزِيلُ .
إنْ يَكُنْ خَصْرُه يَزِيدُ نُحولاً فَبِجِسْمي علَيْهِ ايضاً نُحولُ .
وإذا ما مَدَدتُ طَرْفي إليْه عادَ طَرْفي إليَّ وهو كليلُ .

---

١) (ظاهر البيت تعريض واضح ببني العباس ، اما الاشارات المعينة فلم اتوصل اليها) .
٢) الركن : جانب الكعبة حيث الحجر الاسود . البيت : الكعبة . الاستار : استار الكعبة ، فان الكعبة تكسى في كل عام نسيجاً . زمزم : البئر التي عند الكعبة . الصفا : ميقات (مشهد ، صخرة) يسعى الحجاج بينها وبين المروة . الحجر : مكان قرب الكعبة اختلف الرواة في تحديده .. الحرم : المكان الذي يضم الكعبة ومسجد مكة . يقول ابو فراس : كل هذه لآل علي وليس لكم منها شيء .

قالَ لي ، إذْ شكَوْتُ يوْماً إليْهِ : «كُلُّ ما تشتكيهِ عِندي قليلُ» .

وقال ايضاً وهو اقرب الى العتاب وفيه شيء من العاطفة (رقم ٣٠٩) :

هَبْهُ أساءَ كما زعمتَ ، فهَبْ له وارْحمْ تضرُّعهُ وذُلَّ مقامِهِ .
باللهِ ربّكَ ، لِمْ فتكتَ بصبْرِهِ ونصرْتَ بالهجْرانِ جيشَ سقامِهِ !
فرّقتَ بينَ جفُونِهِ ومنامِهِ وجمعْتَ بينَ نحولِهِ وعِظامِهِ .

ولأبي فراس بيتان لا تستشعر فيهما عاطفة وعتابا بقدر ما ترى فيهما تكلفاً في طلب المقارنة بين ذنب المحبوب وهو يغزو جسم الشاعر بجيش حبه وبين اجره وهو يغزو الروم (رقم ٣١٢) :

أيها الغازي الذي يغْـ ـزو بجيْشِ الحبِّ جسْمي ،
ما يقومُ الأجرُ في غزْ وِكَ الرُّومَ بإثْمي .

يقول له : ان جميع حسناتك من جهادك في بلاد الروم لا توازي الذنب الذي تكسبه من تعذيبي بحبك .

ب) اما عتاب ابي فراس لقومه : لسيف الدولة ولسائر بني حمدان فهو أبرز ما في ديوان الشاعر . وقد رأينا شيئاً من هذا العتاب في غزله وسنرى شيئاً كثيراً منه في باب الاخوانيات وفي المختار من شعره في آخر هذه الدراسة . ان اكثر عتاب أبي فراس لقومه كان لأنهم تقاعسوا عن افتدائه حينما كان اسيراً ببلاد الروم . ويدور عتابه حينئذ حول تذكيرهم بمقامه في حروبهم والدفاع عنهم وبوفائه لهم وبما تقتضيه القرابة والمروءة ومصلحة الاسرة والعرب ومصلحة المسلمين. وهو في ذلك كله يحاذر ان يغضبهم ، بل يتلطف في استرضائهم والتنبيه على الخطأ الفادح الذي ربما تنج من سوء معاملتهم له . قال وقد بلغه عن قوم من اهله كراهية خلاصه من الاسر (رقم٨٩):

تمنّيتمُ ان تفقدوني ، وإنّما تمنّيتمُ ان تفقدوا العِزَّ أصْيَدا

أما أنا أعلى من تعدّون همّةً وإن كنت أدنى من تعدّون مولدا؟

إلى الله أشكو عصبةً من عشيرتي يسيئون لي في القول غيباً ومشهدا!

وإن حاربوا كنتُ المجنّ أمامهم وإن ضاربوا كنتُ المهنّدَ واليدا

وإن نابَ خطبٌ أو ألمّتْ مصيبةٌ جعلتُ لهم نفسي وما ملكتْ فدا

يودّونَ ألا يُبصروني ، سفاهةً ولو غبتُ عن أمرٍ تركتُهمُ سدى

فمالي لهم – لو أنصفوني – جمالُها وحظّي لنفسي اليومَ وهوَ لهم غدا

فلا تعدوني نعمةً ، فمتى غدتْ فأهلي بها أولى وإن أصبحوا عِدا .

وإني بخيرٍ إنْ لقيتُ بهم فتىً كريماً مُطاعاً ، في العشيرةِ سيّدا .

وهنالك عتاب لسائر بني حمدان ولغير بني حمدان ايضاً لا يخرج عن نطاق هذه الآراء ولا عن هذا الاتجاه في دفاع ابي فراس عن نفسه واظهار مناقبه .

٨ – الهجاء

يذكر ابو فراس أنه لا يقول في الهجاء (٨ : ٤). وكذلك ذكر النقاد والدارسون ان أبا فراس كان ، لمقامه من اهل الملك ولمكانته في بلاط سيف الدولة ، يترفع عن التعرض للناس بمديح او هجاء لأن ذلك لا يليق بأمير . ونحن اذا تصفحنا ديوان ابي فراس لم نجد فيه هجاء من هجاء المتكسبين أمثال النابغة والاخطل والفرزدق وبشار وابن الرومي ، ولكننا نجد فيه هجاء واضحاً في خصومه من الروم ومن القبائل العربية التي كانت ضاربة في الجزيرة ، وفي بني امية وبني العباس ، وفي خصومه من الشعراء وغيرهم تلويحاً او تصريحاً .

أما شعره في الشيطمي الشاعر فهو هجاء عادي لا مفر من عده فيه في صف بشار وابن الرومي مثلا (رقم ٤٢) :

فِي الشَّيْظَمِيِّ غَثاثَةٌ وَخساسَةٌ ، فإذا أدرتَ الكَفَّ فيه تَهذّبا (١)
كَالطَّبْلِ لَيسَ بمُطرِبٍ ، حَتّى إذا كَثُرَ اللِّطامُ بجانبَيْهِ أطرَبا (٢)

ومثل هذا هجاؤه لمحمد بن رائق احد رجال الدولة العباسية ومن خصوم الحمدانيين (١١٨* : ١٢٣) :

ولمّا طَغى عِجْلُ العِراقِ ابْنُ رائقٍ شَفى مِنْه لا طاغٍ ولا مُتكاثِرُ .

وكان ابن رائق يعد مكيدة للفتك بناصر الدولة (ابن عم ابي فراس) ولكن ناصر الدولة عرف بالمكيدة وفتك هو بابن رائق .

وكذلك له هجاء شخصي وقبلي معاً صبه على الروم . اتفق مرة ان جرت مناظرة بين ابي فراس وبين الدمستق (امير الجيش البيزنطي) ، يوم كان ابو فراس في الاسر على ما يظهر ، فقال له الدمستق : « انما انتم (العرب) كتاب اصحاب أقلام ، ولستم باصحاب سيوف ، ومن أين تعرفون الحرب ؟ » فقال له ابو فراس : « أترانا نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالاقلام ؟ » . وفي هذا يقول ابو فراس (٢٤ : ١ــ٧ ، ١٤ــ١٨) :

أتزعمُ ، يا ضَخْمَ اللغاديدِ ، أنّنا ــ
وَنحنُ أسودُ الحربِ ــ لا نَعرِفُ الحَربا (٣) ؟
فَوَيْلَكَ ، مَنْ لِلْحَربِ إنْ لَمْ نَكُنْ لها ،
وَمَن ذا الّذي يُمْسي وَيُضحي لَها تِرْبا (٤) ؟

---

١) الغث : الفاسد ، قليل العقل ، ناقص القدر . ادرت الكف فيه : ضربته مراراً (عاقبته) .
٢) اللطام : الضرب .
٣) اللغاديد : اقسام اللحم المترهلة بين الذقن والحنجرة .
٤) الترب : الذي له مثل عمرك . يقول : نحن اتراب للحرب ، تربينا معها وعمرنا كعمرها .

وَمَنْ ذا يَلفُّ الجَيْشَ مِنْ جَنَباتِهِ
وَمَنْ ذَا يقودُ الشُّمَّ أَوْ يَصْدِمُ القَلْبا (١) ؟

وَوَيْلَكَ، مَنْ أَرْدى أَخاكَ بِمَرْعَشٍ، وَجَلَّلَ ضَرْباً وَجهَ وَالِدِكَ العَضْبا (٢) ؟

وَوَيْلَكَ مَنْ خَلّى ٱبْنَ أُخْتِكَ مُوثَقاً وَخَلّاكَ بِاللُّقّانِ تَبْتَدِرُ الشِّعْبا (٣) ؟

أَتُوعِدُنا بِالحَرْبِ حَتّى كَأَنَّنا وَإِيّاكَ لَمْ يُعْصَبْ بِها قَلْبُنا عَصْبا (٤) ؟

لَقَدْ جَمَعَتْنا الحَرْبُ مِنْ قَبْلِ هٰذِهِ، فَكُنّا بِها أُسْداً وَكُنْتَ بِها كَلْبا (٥) !

بِأَقْلامِنا أُجْحِرتَ أَمْ بِسُيُوفِنا،
وَأُسْدَ الشَّرى قُدْنا إِلَيْكَ أَمِ الكُتْبا (٦) ؟

تَرَكْناكَ في بَطْنِ الفَلاةِ تَجُوبُها كَما ٱنْتَفَقَ اليَرْبُوعُ يَلْتَثِمُ التُّرْبا (٧)

تُفاخِرُنا بِالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ في الوَغى
لَقَدْ أَوْسَعَتْكَ النَّفْسُ، يا ٱبْنَ ٱسْتِها، كِذْبا (٨)

---

١) يقود الشم : يأتي بجيش من الابطال . القلب : قلب الجيش ، الجزء الاساسي منه . « يصدم القلب » اشارة الى كثرة العدد والشجاعة .

٢) العضب هنا لا تتفق مع معانيها الواردة في القاموس . ولعله يقصد : الجاف ، القبيح .

٣) ابتدر الشعب : سبق الآخرين الى الطريق [الهرب] .

٤) ربطت فيها قلوبنا الى قلوبكم « اختبرناها معاً » .

٥) « من قبل هذه » تدل على انه كان في الاسر . قبل « هذه » الحرب كنا نتصر عليكم ، في «هذه» انهزمنا فاسرت أنا .

٦) الجحر : الشق الذي يسكنه الضب واليربوع والحية .. أُجحر (فعل ماضي مبني للمجهول) : دخل جحره واستتر فيه من خوف . الشرى : الجبل . والشرى ايضاً طريق في جبل سلمى بنجد كثير السباع (يقصد : المقاتلين الشجعان) .

٧) اليربوع : الفأر البري . النفق) بفتح ففتح) : ثقب في الارض لليربوع . انتفق : دخل النفق . « يلتثم التربا » : يصطدم وجهه بالتراب على غير وعي منه لشدة خوفه .

٨) « ابن استها » : كناية الدنس في الولادة . كذبتك نفسك : داخلها الغرور .

وَعى اللهُ أوفانا ، إذا قال ، ذمةً ، وَأنفذنا طَعْناً ، وأثبتَنا قَلْبا .
وَجدتَ أباكَ العِلجَ لمَّا خبرتَه أقلَّكُم خُبراً ، وأكثرَكُم عُجْبا (١)

ومن قوله ايضاً في الروم ، وهو يدل على خوض ابي فراس في فن الهجاء كسائر الشعراء ابياته التالية (٣٠١ : ١٦—٢١) :

أما مِنْ أعجَبِ الأشياء عِلجٌ ، يُعرِّفُني الحَلالَ مِنَ الحَرَامِ .
وَتَكْنُفُهُ بطَارِقَةٌ تُيوسٌ تُباري بالعَثانينِ الضِخَامِ (٢) .
لَهُمْ خِلَقُ الحَميرِ فَلَسْتَ تَلْقى فتىً مِنهُمْ يَسيرُ بِلا حِزَامِ (٣) .
يُرِيغُونَ العُيوبَ وَأعجَزَتهُمْ ، وأيُّ العَيبِ يُوجَدُ في الحُسَامِ (٤) .
وَأصعَبُ خُطّةٍ وَأجلُّ أمرٍ مُجالسةُ اللِئامِ مَعَ الكِرَامِ .
أناجى كُلَّ طَبْلٍ هِرْثَمِيٍّ ، عَريضِ الذَّقْنِ بَرّاقِ الكَلامِ (٥) .

اما حملته على كعب ونمير وكلاب ، من قبائل العرب الضاربة في الشام والجزيرة فألصق بباب العتاب الجافي احيانا منه بباب الهجاء . ولكن موقفه من العباسيين كان مختلفا . أنه هجاهم . ولكنني سأترك الكلام على التعريض بالعباسيين الى الفصل الخاص بشعره الشيعي .

ومما يحتاج الى شيء من البسطة في القول تعريض ابي فراس بسيف الدولة وبالمتنبي . لما اتصل المتنبي بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) كان عمر أبي فراس سبعة عشر

---

١) العلج : الكبير الجثة الافدم من غير العرب . الخبر : الاختبار والتجربة . العجب : الغرور .
٢) يكنفه : يحيط به . بطارقة جمع بطريق : قائد . العثنون : الشعر عند اسفل الشفة السفلى .
٣) خلق جمع خلقة (بكسر الخاء) : صورة
٤) راغ : طلب .
٥) « طبل » كناية عن الضخامة وقلة الفهم . الهرثمي (؟) — في القاموس : الهذرمة : سرعة الكلام والصخب والجلبة (ارتفاع الاصوات واختلاطها) . الذقن : اسفل الوجه . براق الكلام : كلامه كثير نفاقه .

عاما . ومال سيف الدولة الى المتنبي ميلا شديداً حتى رأينا منزلة ابي فراس تسقط عند سيف الدولة ، مما نراه من شعر ابي فراس نفسه . فليس غريبا إذن ان ينفر ابو فراس من المتنبي ومن سيف الدولة معاً وان يهجوهما . غير اننا لا نجد في ديوان ابي فراس هجاء صريحاً لهما ، وان كنا نجد فيهما هجاء ملموحاً كثيراً .

اما التعريض بسيف الدوله فكثير جداً في ديوان ابي فراس ، ذلك لأن اكثر عتاب ابي فراس لسيف الدولة تعريض ، أو هجاء صريح . من ذلك مثلا قوله (١٦ : ٣١–٣٦) :

وَما أَدعي ما يَعلَمُ اللَهُ غَيرَهُ : رِحابُ عَلِيٍّ لِلعُفاةِ رِحابُ (١).
وَأَفعالُهُ لِلراغِبينَ كَريمَةٌ ، وَأَموالُهُ لِلطالِبينَ نِهابُ .
وَلَكِن نَبا مِنهُ بِكَفِّيَ صارِمٌ وَأَظلَمَ في عَينَيَّ مِنهُ شِهابُ (٢).
وَأَبطَأَ عَنّي وَالمَنايا سَريعَةٌ وَلِلمَوتِ ظُفرٌ قَد أَطَلَّ وَنابُ .
فَإِلّا يَكُن وُدٌّ قَديمٌ عَهِدتُهُ ، وَلا نَسَبٌ بَينَ الرِجالِ قِرابُ (٣)
فَأَحوَطُ لِلإِسلامِ أَلّا يُضيعَني وَلي عَنهُ فيهِ حَوطَةٌ وَمَنابُ .

واما التعريض بالمتنبي فيجب ان يكون داخلا في باب التعريض في قوله . « واموالُه للطالبين نهاب » (١٦ : ٣٢) ، يعني بذلك أن سيف الدولة يغدق العطايا على الشعراء، والمتنبي فيهم، ثم هو يضن على الاسرى بقليل من المال يفتديهم به . غير ان تتبع التعريض بالمتنبي في ديوان ابي فراس يخرج عن نطاق هذه الدراسة .

---

١) رحاب «الاولى» : باحات ، ديار ، « الثانية » : واسعة . علي : سيف الدولة . العفاة : الطالبون للمعروف وللاموال .

٢) ولكن مساعدته لي وحدي قليلة . سيفه قاطع في كف كل انسان إلا ي . ونوره يضيء الناس كلهم إلا لي .

٣) قراب (بكسر القاف وضمها) التقارب في المقام والمكانة .

٩ ـ الوصف

الوصف قليل في ديوان ابي فراس . وهو يأتي في المقطعات القصيرة في الاكثر ، أو في أبيات يسيرة مفردة منثورة في القصائد الطوال في الاقل . واكثر اوصاف ابي فراس انما هي في الرياض وما فيها من ازهار وانهار ، وفي الليل والصبح ، وفي السحاب والثلج . ولابي فراس وصف قليل في الخمر وطردية مطولة في (الصيد) . على ان الوصف الحسي عند ابي فراس نادر جداً ، فان اكثر اوصافه صناعة من تشابيه واستعارات . والغريب اننا لا نجد في ديوان ابي فراس وصفاً للحرب يستحق الدرس: ان له أبياتا منثورة في قصائده تصف الحرب وصفاً عاديا ، وان كان فخره بخوض المعارك وبالانتصار في الحروب المختلفة يملأ اكثر ديوانه .

أما وصف الطبيعة عند ابي فراس فيحسن ان نقتصر منه على الابيات التالية (١٣٦ : ١ـ٢ ، ٢٦٤ : ١١ـ١٢ ، ٣٤٥ : ٦ـ٨) :

وَيَوْمٍ جَلَا فِيهِ ٱلرَّبِيعُ بَيَاضَهُ ... بِأَنْوَاعِ حَلْيٍ فَوْقَ أَثْوَابِهِ ٱلْخُضْرِ
كَأَنَّ ذُيُولَ ٱلْجُلَّنَارِ مُطِلَّةً ... فُضُولُ ذُيُولِ ٱلْغَانِيَاتِ مِنَ ٱلْأُزْرِ (١)

ــ وَٱلْمَاءُ يَفْصِلُ بَيْنَ زَهْـ ... ـرِ ٱلرَّوْضِ فِي ٱلشَّطَّيْنِ فَصْلَا
كَبِسَاطِ وَشْيٍ جَرَّدَتْ ... أَيْدِي ٱلْقُيُونِ عَلَيْهِ نَصْلَا (٢).

ــ فِي لَيْلَةٍ حَسُنَتْ لَنَا بِوِصَالِهِ ... فَكَأَنَّ غُدْتْ مِنْ حُسْنِهَا إِيَّاهُ .

١ـ الجلنار : زهر الرمان . ـــ تخرج الرمانة صغيرة خضراء ثم تتفتح عن اوراق حمر يتوسطها خيوط صفر ـــ وهو يشبه زهر الرمان بغانيات تلبس ازرا « الازار : ثوب يلف على الجسم » يبدو في ادناها ذيول ثوب آخر « بلون مختلف » .

٢ـ الوشي : النقش والزخرف في الثوب . القيون جمع قين : الحداد ، صانع السيوف . النصل : السيف ـــ كأن النهر الجاري في سهل مملوء بالازهار المختلفة الالوان بساط « سجادة » كثيرة الالوان والنقوش وقد القي عليها سيف « ابيض » .

وكأنما فيها الثريا إذ بدت كفٌّ تشيرُ إلى الذي تهواهُ .
والبدرُ منتصفُ الضياء كأنهُ متبسمٌ بالكفِّ يسترُ فاهُ .

ولابي فراس في الخمر ابيات قليلة لا تحمل على عده في شعراء الخمر . من هـــذه مقطوعته التي يذكر فيها انه يشرب الخمر حتى لا يصحو كي ينسي ما هو فيـــه من المصائب (رقم ٧٧) :

أقبلتْ كالبدرِ تسعى غلساً نحوي براحِ (١).
قلتُ : أهلاً بفتاةٍ حملتْ نورَ الصباحِ .
عَلِّني بالكأسَ منْ أصـ ـبحَ منها غيرَ صاحِ (٢).

ما اشهر مقطوعاته في الخمر وأحسنها فهي التي تلي(رقم ١٧٨):

تواعـدنا بآذارِ لمسعى غيرِ مختارِ ؛
وقمنا نسحبُ الريـ ـطَ إلى حانةِ خمارِ (٣).
فلم ندرِ وقدْ فاحتْ لنا منْ جانبِ الدار
بخمارٍ منَ القومِ نزلنا أمْ بعطارِ (٤) .
فلما ألبسَ الليلُ لنا ثوباً من القارِ (٥) ،
وقلنا : أوقدِ النـارَ لِطُرّاقٍ وزوّارِ (٦) ؛

١) الغلس : ظلمة آخر الليل (اشد اقسام الليل سواداً) . الراح : الخمر .
٢) علله : سقاه مرة بعد مرة .
٣) الريط : ثياب من حرير (كناية عن الغنى والترف) . الحانة : مكان بيع الخمر . الخمار : بائع الخمر
٤) العطار : بائع العطر .
٥) القار : مادة شديدة السواد (زفت) ، كناية عن اشتداد ظلام الليل .
٦) الطراق جمع طارق : الذي يأتي ليلا . الزوار : القادم ليمكث مدة يسيرة .

وَجَا خَاصِرَةَ الدَّنِّ ... فأَغْنانا عَنِ ٱلنَّارِ (١) .

ومَا في طَلَبِ اللَّهْوِ ... عَلَى ٱلشُّبَّانِ مِنْ عَارِ (*)

وأما في الطرد (الصيد) فلأبي فراس ارجوزة تبلغ مائة وسبعة وثلاثين بيتاً تتناول أدوات الصيد وآلاته وأساليبه، منها (٣٦٤:٨٣—٩٠) :

ثُمَّ عَدَلْنا نَحْوَ نَهْرِ الوادي ، ... وَالطَّيْرُ فِيهِ عَدَدُ الجَرادِ (٢) .

أَدْرَتْ شاهِينَيْنِ في مَكانِ ... لِكَثْرَةِ الصَّيْدِ مَعَ الإِمْكانِ (٣)

دَارا عَلَيْنا دَوْرَةً وَحَلَّقا ... كِلاهُما ، حَتَّى إِذا تَعَلَّقا (٤)

تَوازَيا ، وَٱطَّرَدا ٱطِّرادا ... كالفارِسَيْنِ ٱلْتَقَيا أَوْ كادا (٥) .

ثُمَّتَ شَدَّا فَأَصابا أَرْبَعا : ... ثَلاثَةً خُضْراً وَطَيْراً أَبْقَعا (٦) .

ثُمَّ ذَبَحْنَاهَا ، وَخَلَّصْناهُما ... وَأَمْكَنَ الصَّيْدُ فَأَرْسَلْناهُما (٧) .

فَجَدَّلا خَمْساً مِنَ الطُّيورِ ، ... فَزادَني ٱلرَّحْمَنُ في سُرورِي (٨) :

أَرْبَعَةً مِنْها إِنِيسيَّان ... وَطائِراً يُعْرَفُ بِالبَيْضَاني .

---

١) وجا : شق . الدن وعاء الخمر . الخاصرة : جانب . اغنانا عن النار : شرب الخمر جعل الدفء يسري الى اجسامنا « فاستغنينا عن النار . »

٢) عدل : مال . ٣) شاهين : طائر يصطاد به .

٤) حلقا : ارتفعا . تعلقا : ابصرا طيوراً صالحة للصيد .

٥) توازيا : سارا جنباً الى جنب . اطردا : جعل احدهما يطرد الاخر « يتبعه ذاهباً آيباً » .

٦) شد : اسرع في خط مستقيم . خضراً : سوداً . الخضار والخضاري بتشديد الضادين والخضيراء من اسماء الطيور . الابقع : الطير فيه سواد وبياض .

*) راجع ايضاً في الخمر المقطوعات التالية : ١١٤ ، ١٥٠ ، ١٧١ .

٧) « خلصنا » الطيور الاربعة من مخالب الشاهينين وذبحناها ثم ارسلنا الشاهينين مرة ثانية وراء طيور جديدة .

٨) جدلا : صرعا (اصطادا) .

١٠ ـ الاخوانيات (والامريات او الروميات خاصة)

الاخوانيات ، فيما يتعلق ببحثنا هذا ، رسائل كان الشعراء يبعثون بها منظومة شعراً . و « الاخوانيات » غرض من الأغراض القديمة في الشعر العربي ، فلقد توجه زهير بن أبي سُلمى بنصيحة الى بني ذبيان وأحلافهم بني أسد وغطفان وطيء بان يجتنبوا الحرب ، وجعل تلك النصيحة « رسالة » فقال (١) :

فَمَنْ مُبلِغُ الأَحلافِ عنّي رِسالَةً ، وَذُبيانَ: هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ؟
فَلا تَكْتُمُنَّ اللهَ ما في صُدُورِكُم لِيَخفى، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعلَمِ :
يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كِتابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ الخ.

ولعمر بن ابي ربيعة شيء من هذا الباب ، كتب يوماً الى الثريا وقد غلبه الشوق(٢):

كَتَبْتُ إليكِ ، من بلدي ، كِتَابَ مُوَلَّهٍ كَمِدِ(٣)
كَئِيبٍ وَاكِفِ العَيْنَيْـ ـنِ بالحَسَرَاتِ مُنفَرِدِ(٤)
يُؤَرِّقُهُ لَهِيبُ الشَّوْ قِ بَيْنَ السَّحْرِ والكَبِدِ(٥)
فَيُمْسِكُ قَلْبَهُ بِيَدٍ وَيَمْسَحُ عَيْنَهُ بِيَدِ .

وهنالك نماذج كثيرة من الاخوانيات في الشعر العباسي . ولكن هذا الغرض اتسع في ديوان ابي فراس حتى أصبح فناً قائماً بذاته تقصر عليه القصائد الطوال احيانا.

١) شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٣ هـ ــ ١٩٤٤ م ص ١٨ ــ ٢١ .
٢) ديوان عمر بن ابي ربيعة ، المكتبة الاهلية ، بيروت ١٣٥٣ هـ ــ ١٩٣٤ م ، ص ٨٦ ــ ٨٧ .
٣) المولَه : الذي بلغ به الحب درجة ذهاب العقل « المجنون في الحب » . كمد : حزين .
٤) واكف العينين : كثير البكاء .
٥) السحر: « الرئة .

ان قسما كبيراً من ديوان ابي فراس اخوانيات كتب بها الشاعر الى اهله واصدقائه وغلمانه قبل اسره وفي اثناء أسره . وعدد الاخوانيات في ديوان ابي فراس تبلغ نحو سبع وستين قصيدة ، نحو ست واربعين منها نظمها الشاعر قبل اسره . هذه الرسائل الاخوانية كتب بها الشاعر الى اخويه ابي الهيجاء وابي الفضل والى سيف الدولة وابي زهير مهلهل بن نصر بن حمدان وابي العشائر الحسين بن علي بن الحسين ابن حمدان والى صديقه الشاعر ابي محمد بن افلح والى القاضي ابي الحصين الرقي والى ابي احمد عبد الله بن ورقاء الشيباني الشاعر والى ابن اخيه محمد جعفر بن محمد بن ورقاء والى غلامه منصور وسواهم .

واغراض ابي فراس في اخوانياته كثيرة مختلفة منها الغزل والفخر والمديح والعتاب والشكوى والنصيحة ، ومنها التعزية بميت او المؤاساة عند مرض او أسر ، ومنها المطارحة في شعر أو ادب . ومما يؤسف له ان الوحشة كانت واقعة بين بني حمدان ، وكان ابو فراس حريصاً على لم الشعث وصفاء القلوب فكتب ذات يوم الى أخيه أبي الفضل في هذا الشأن(١٩٨ : ٧١) :

الْمَجْدُ بِالرَّقَّـةِ مَجْمُوعٌ ، وَٱلْفَضْلُ مَرْئِيٌّ وَمَسْمُوعٌ (١).
إِنَّ بِهَا كُلَّ عَمِيمِ ٱلنَّدى يَدَاهُ لِلجُودِ يَنَابِيعُ (٢) ،
وَكُلَّ مَبْذُولِ القِرى بَيْتُهُ عَلى عُلا ٱلْعَلْيَاءِ مَرْفُوعُ (٣) .
لَكِنْ أَتَانِي خَبَرٌ رَائِعٌ يَضِيقُ عَنْهُ ٱلسَّمْعُ وَٱلرُّوعُ (٤) ،
أَنَّ بَنِي عَمِّي ــ وَحَاشَاهُمُ ــ شَعْبُهُمُ بِٱلْخُلْفِ مَصْدُوعُ (٥).

«١» الرقة بلدة على نهر الفرات ، كان فيها اخوه ابو الفضل .

«٢» عميم الندى : الذي يعم كرمه الناس كلهم .

«٣» مبذول القرى : ضيافته معروضة على كل قادم .

«٤» رائع : مخيف . الروع : القلب ، العقل . يضيق عنه العقل والروع : لا يمكن تصديقه واحتماله ، لو كان صادقاً .

«٥» الشعب : القبيلة العظيمة . الخلف : اختلاف الرأي ، النزاع . مصدوع : مقسوم ، منقسم على نفسه حاشاهم : لا ينتظر منهم (ان يجهلوا فيختلفوا) .

ما لعصا قومي قد شقّها تفارُطٌ منهم وتضييعُ (١) ؟
بَني أبي ، فرّق ما بينكم واشٍ على الشحناء مطبوع (٢)
عودوا إلى أحسنِ ما كنتم ، فأنتمُ الغرُّ المرابيع (٣)

ومن امثلة ذلك ايضاً ما كتبه ابو فراس الى القاضي ابي الحصين الرقي يعاتبه على تأخره في الرد على رسائله اليه (رقم ١٧٧) :

وَيدٍ يَراها الدهرُ غيرَ ذميمةٍ ، تمحو إساءَتَهُ إليّ وتَغفِرُ ،
أهدتْ إليّ مودّةً من صاحبٍ تزكو المودّةُ في ثراهُ وتُثمِرُ (٤) :
علِقتْ يدي منهُ بعلقِ مضنّةٍ مما يُصانُ على الزمانِ ويُذخَرُ (٥)
إني عليكَ ، أبا حُصينٍ ، عاتبٌ والحرُّ يحتملُ الصديقَ ويَصبِرُ .
وإذا وجدتُ على الصديق شكوتُهُ
سرّاً إليهِ ، وفي المحافلِ أشكُرُ (٦).
ما بالُ شعري لا تردُّ جوابَهُ ؟ سحبانُ عندكَ باقلٌ ؟ لا أعذرُ (٧)

١- عصا القوم : كناية عن الاتحاد واجتماع الكلمة . شقت عصا القوم : اختلفوا ، افترقت آراؤهم . تفارط : تسرع ، الى العداوة من غير تفكير ، . تضييع : غفلة عن حسن الرأي .
٢- على الشحناء مطبوع : صار البغض في نفسه طبعاً وخلقاً .
٣- المرابيع جمع مربوع ومرباع : المعتدل بين الطول والقصر ، العادل ، المتبصر في اموره . المرباع : النبت في اول الربيع (كناية عن الكرم) ، الربع الذي كان يأخذ الملوك في الجاهلية (كناية عن السيادة والقوة) .
٤- زكا : نما ، زاد ، كثر .
٥- علقت يدي منه : ظفرت به . علق مضنة : الشيء النفيس الثمين الذي يبخل به الانسان على غيره .
٦- وجد يجد موجدة : غضب . — اذا ساءني من صديق لي امر عاتبته فيه سراً بيني وبينه . اما امام الناس فانا أمدحه ، واكتم ما ساءني منه .
٧- سحبان وائل : خطيب جاهلي مشهور بالفصاحة ، باقل : رجل جاهلي كان عيياً لا يبين كلاماً . — انت معروف بالفصيح (مثل سحبان وائل) ، فكيف سكت عن رسائلي حتى كأنك باقل؟ لا أعذرك على هذا .

وكتب يوماً الى صديق له جفاه ، يعاتبه على جفائه ويعلنه انه واثق من ان هذا الهجران ليس لبغض . وان هذا الجفاء لو كان قبيحاً لما رآه هو من الاصدقاء الا جميلا (رقم ٧٠) :

لَمْ أُؤاخِذْكَ بالجَفَاءِ ، لِأَنِّي ... واثِقٌ مِنكَ بالوَفاءِ الصحيحِ .
فَجَمِيلُ ٱلعَدُوِّ غَيرُ جَمِيلٍ ، ... وقَبيحُ الصَّديقِ غَيرُ قَبيحِ .

الاسريات أو الروميات خاصة

تعرف القصائد التي قالها ابو فراس في بلاد الروم باسم الاسريات لأنه قالها وهو اسير ، وتعرف باسم الروميات لأنه قالها في بلاد الروم . هذه القصائد احسن شعر ابي فراس ، قال ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠هـ ـ ١٠٦٨ م) : «واما ابو فراس بن حمدان ففارس هذا الميدان ، ان شئت ضربا وطعناً ، او شئت لفظاً ومعنى .. وكان اشعر الناس في المملكة واشعرهم في ذل المملكة (؟) . وله الفخريات التي لا تعارض والاسريات التي لا تناهض » (١) . وكان الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ ـ ١٠٣٧ م) معجبـاً اشد الاعجاب بابي فراس فقال عن رومياته خاصة (٢) : « وكانت تصدر أشعاره ، في الاسر والمرض واستزارة سيف الدولة وفرط الحنين الى اهله وإخوانه وأحبابه والتبرم بحاله ومكانه ، عن صدر حرج وقلب شج فتزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها وتعلق بالحفظ لسلاستها ... وذلك لتناسبها وعذوبة الفاظها ، ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الاحسان واصاب شاكلة الصواب » .

وتبلغ روميات ابي فراس خمساً وأربعين رومية ما بين قصيدة طويلة او مقطعة . فالمقطعة تتألف احيانا من بيتين اثنين او من ثلاثة ابيات او اربعة او ستة . واما القصائد في هذا الباب فتطول حتى لقد بلغت واحدة منها اثنين وخمسين بيتاً . وهنالك بضع روميات تزيد ابيات كل واحدة منها على اربعين بيتاً .

---

١) اعلام الكلام ، ص ٢٥ مستشهد به في ديوانه ص ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .
٢) يتيمة الدهر ، مستشهد به في ديوانه ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

وروميات ابي فراس قسمان : « اخوانيات » ، وهي القصائد التي كتب بها ابو فراس من اسره الى سيف الدولة وسائر اهله والى اصحابه في الشكوى من حاله وطلب الفداء ، ثم « الوجدانيات » وهي التي قالها في ذلك الاسر يتشوق فيها الى اهله وأصدقائه ويشكو حاله ويعاتب سيف الدولة خاصة على اهماله فداءه والتخلي عنه في يد الروم ، او يأسى لما يصيب امه من حزن عليه او من مرض او من خيبة امل كلما خاطبت سيف الدولة في امر افتداء ابنها . ثم ماتت امه وهو لا يزال في الاسر فزاد ذلك في حزنه وفي نبضة الالم في نفسه وفي شعره معاً .

واذا نحن استثنينا الكلام عـــلى عاطفة ابي فراس التي رقت في الاسر فجعلت « رومياته » أعذب لفظاً وأرق معنى وأسهل تركيباً فكانت ، من اجل ذلك ، أبعد تأثيراً في النفس ، لم نجد خصائص شعره قد تأثرت بمقامه بضع سنوات أسيراً في بـــلد غريب . ومرد ذلك كله ، بلا ريب ، الى أن ابا فراس لم يكن يعرف اللغة الرومية فيتأثر بأدبها او بأحاديث اهلها على الاقل . ويبدو أن ابـــا فراس كان يختلط احيانا بالحراس او بالقواد فيحادثهم او يناظرهم (ديوان ص ٣٦ ، ٣٧١) ، ولكن ذلك كان يجري في الاغلب من طريق التراجمة لا من طريق الحوار المباشر . ولعل ثمت ما هو أغرب من هذا ايضاً : إن أبا فراس لم يتأثر بطبيعة الارض الرومية مع انه قضي زمناً في القسطنطينية . فليس في شعره أثر للبيئة الجديدة ، لا من حيث الاوصاف أو التحليل ولا من حيث الحوادث الجارية ، فكأن أسر أبي فراس في بلاد الروم ، وفي عاصمتهم القسطنطينية ، كان عزلة عن كل ما هو رومي . ويجب الا ننسى ان كره ابي فراس لآسريه الروم ، بعامل العداوة الشخصية ، وان العداء الديني ، الذي كان في العصور الوسطى يشطر العالم شطرين ، كانا من الاسباب التي منعت ابا فراس التفكير في تقليد الأدب الرومي لو كان ثمت مناسبات تدعوه الى هذا التقليد او الى الاقتباس . فيحسن بنا ان نعلم أن الشعر البيزنطي ، يوم كان أبو فراس اسيراً في بلاد الروم ، لم يكن في عصره الذهبي ولا الفضي . لقد شهد القرن العاشر الميلادي في بيزنطية بدء نهضة تمثيلية دينية (٤) ، ولكن لم يكـــن من المعقول ان يتأثر ابو فراس بها . اما شعر

4). Le Monde Byzantin 3 (La civilization Byzantine) 416–419.

الفروسية البيزنطي ، الذي كان قد بدأ يزدهر في تلك الحقبة ، فكان يتأثر بالادب المماثل له عند العرب (١) . واذا كان شعراء بيزنطية يقلدون المتنبي وابا فراس وانداده‌ما في ذلك ، فلم يكن من المنتظر اذن ان يقلد ابو فراس خصائص شعر اقل قيمة من الشعر العربي . هذا مع العلم بأن العرب كانوا يذهبون بأنفسهم عن محاكاة الادب اليوناني يوم كان في ذروته وفي أبهى لمعانه .

*

ومن أروع « اسريات » ابي فراس مقطوعة تبلغ سبعة ابيات (١:٢٦٢—٧) قالها ابو فراس وقد سمع هديل حمامة على شجرة عالية قرب سجنه . ولقد خُيّل الى ابي فراس ان هديل هذه الحمامة كان نواحاً ، فذكر حاله في الاسر وكيف انه هو لا يبكي ، بينما تلك الحمامة طليقة ولكنها تهدل وكأنها تنوح ، فقال :

أقولُ ، وقد ناحتْ بقُرْبِي حَمامةٌ: أيا جارتا ، لوْ تَشْعُرينَ بحالي !
مَعاذَ الهوى ! ما ذُقْتِ طارقةَ النّوى ، ولا خطَرَتْ منكِ الهمُومُ ببالِ .
أتَحملُ محزُونَ الفُؤادِ قَوادمٌ على غُصُنٍ نائي المسافةِ عالِ ؟
أيا جارتا ، ما أنصفَ الدّهرُ بيننا ! تعالَيْ أقاسِمْكِ الهمُومَ ، تعالي .
أيضحَكُ مأسورٌ وتبْكي طليقَةٌ ، ويسكُتُ محزُونٌ ويندُبُ سالِ ؟
لقد كُنْتُ أوْلى منكِ بالدّمعِ مُقلَةً ولكنّ دَمعي في الحوادثِ غالِ !

وبما ان الروميات في ديوان ابي فراس احسن شعره فقد اخترت ان اثبت عدد منها في المختارات التي اختم بها هذه الدراسة .

---

1) Ibid., 397, 398

مختارات من شعر ابي فراس

*

١ ـ القصيدة التاسعة في الديوان

اجتمعت القبائل النازلة في بادية الشام بقيادة الندي بن جعفر ومحمد بن قريع وهما من آل المهنا من بني عقيل وثارت على سيف الدولة وقتلت عامله على قنسرين الصبّاح مولى عُمارة الخارقي ، وذلك سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) . وكانت بعض هذه القبائل قد تقبلت الدعوة القرمطية ، فسار اليهم سيف الدولة ومعه ابو فراس وهزمهم وأسر الندي بن جعفر ومحمد بن قريع وقتل عدداً كبيراً منهم . عند ذلك خضعت له تلك القبائل فعفا عنها . فقال ابو فراس قصيدة منها :

أبتْ عَبرَاتُهُ إلاّ انسِكابا ... ونارُ ضُلوعِهِ إلاّ التِهابا
وَمِنْ حَقِّ الطُّلولِ عَلَيَّ ألاّ ... أُغِبَّ مِنَ الدُّمُوعِ لها سَحَابا (١)
وَما قَصَّرْتُ في تَسْآلِ رَبْعٍ ... ولٰكِنّي سَأَلْتُ فَمَا أَجَابا
رَأَيتُ الشَّيْبَ لاحَ فَقُلْتُ: أَهْلاً ... وَوَدَّعتُ الغَوَايَةَ والشَّبابا
وَمَا إنْ شِبْتُ مِن كِبَرٍ، وَلٰكِنْ ... رَأَيتُ مِنَ الأَحِبَّةِ ما أَشَابا
بَعَثْنَ مِنَ الهُمُومِ إلَيَّ رَكْباً ... وَصَيَّرْنَ الصُّدُودَ لها رِكابا
أَلَمْ تَرَنا أَعزَّ النَّاسِ جَاراً ... وَأَمْنَعَهُمْ وَأَمْرَعَهُمْ جَنَابا (٢)

١ ـ غب : كان مرة بعد مرة ـ يقول : سيكون بكائي على تلك الطلول كثيراً ، كالسحاب ، دائماً لا ينقطع .
٢ ـ الجناب : الناحية ، البلاد . منيع : حصين ، محمي . مريع : خصيب .

لَنا ٱلجَبَلُ ٱلمُطِلُّ عَلَى نِزارٍ ... حَلَلْنا النَّجْدَ مِنْهُ وَٱلهِضَابا .
تُفَضِّلُنا ٱلأَنامُ ولا نُحاشي ... وَنُوصَفُ بِٱلجَميلِ وَلا نُحابي .
وَقَدْ عَلِمَتْ رَبيعَةُ بَل نِزارٌ ... بِأَنّا الرَّأْسُ وَالنَّاسَ ٱلذُّنابى .
وَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفَهاءُ كَعْبٍ ... فَتَحْنا بَيْنَنا لِلحَرْبِ بابا ،
مَنَحْناها ٱلحَرائِبَ ، غَيْرَ أَنّا ... إِذَا جارَتْ مَنَحْناها ٱلحِرابا (١) .
وَلَمَّا ثارَ سَيْفُ ٱلدّينِ ثُرْنا ... كَما هَيَّجْتَ آساداً غِضابا .
أَسِنَّتُهُ إِذا لاقى طِعاناً ، ... صَوارِمُهُ إِذا لاقى ضِرابا .
دَعانا ـ وَٱلأَسِنَّةُ مُشْرَعاتٌ ـ ... فَكُنّا عِنْدَ دَعْوَتِهِ ٱلجَوابا .
صَنائِعُ فاقَ صانِعُها فَفاقَتْ ، ... وَغَرْسٌ طابَ غارِسُهُ فَطابا .
وَكُنّا كَالسِّهامِ ، إِذا أَصابَتْ ... مَراميها فَراميها أَصابا .
عَبَرْنَ بِماسِحٍ وَٱللَّيْلُ طِفْلٌ ... وَجِئْنَ إِلى سَلَمْيَةَ حِينَ شابا (٢) .
فَما شَعَروا بِها إِلا ثَباتاً ... دُوَيْنَ ٱلشَّدِّ تَصْطَخِبُ ٱصْطِخابا (٣) .
تَنادَوْا فَٱنْبَرَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ... سَوابِقُ يَنْتَجِبْنَ لَنا ٱنْتِجابا (٤) .
وَقادَ نَدِي بنُ جَعْفَرَ مِن عُقَيْلٍ ... شُعوباً قَدْ أَسَلْنَ بِهِ الشِّعابا (٥) .

---

١ ـ الحريبة : المال ، الغنائم ، كناية من اكرامهم بالمنح والهدايا . الحراب : السلاح ـ كناية عن العداوة والقتال .

٢ ـ الضمير في عبرن وجئن يرجع الى الخيل . تل ماسح قرية قرب حلب . سلمية : مدينة شرق حمص ، وكانت مركزاً للقرامطة .

٣ ـ اصطخب : احدث اصواتاً شديدة مختلطة . تصطخب اصطخابا : تتوالى كالموج . الشد : العدو، الركض.

٤ ـ المنتخب : المختار ، هذه السوابق (الخيل) نختارها اختيارا .

٥ ـ شعوبا قد أسلن بها الشعابا : اقواماً ملأوا الطرق ، كثيرون جداً. الشعب (بكسر الشين) : الطريق في الجبل.

فما كانوا لنا إلّا أسارى ، وما كانَتْ لنا إلّا نِهابا (١) .
كأنّ نَدِي بنَ جعفَرَ قادَ مِنهُمْ هَدايا لَمْ يُرِغْ عَنْها ثَوابا (٢) .
وَشدُّوا رَأيهُمْ ببني قُرَيْـعٍ فخابوا ـ لا أبا لَهُمُ ـ وخابا (٣) .
وَلمّا اشتَدَّتِ الهَيجاءُ كُنّا أشَدَّ مَخالِباً وأحَدَّ نابا ،
وَأمنَعَ جانباً وأعزَّ جاراً وأوْفى ذِمّةً وأقلَّ عابا (٤) .
سَقَيْنا بالرِّماحِ بني قُشَيْرٍ ببطنِ الغُنْثَرِ السُّمَّ المُذابا (٥) .
وبالصَّبّاحِ ، وَالصَّبّاحُ عَبْدٌ ، قتَلنا مِنْ لُبابِهِمُ اللُّبابا (٦) .
تَرَكْنا في بُيوتِ بني المُهَنّا نَوادِبَ يَنتَحِبْنَ بها انتِحابا .
وَأبعَدْنا لِسُوءِ الفِعلِ كَعْباً وأدْنَيْنا لِطاعَتِها كِلابا .
ومِلْنا بالخُيولِ إلى نُمَيْرٍ تُجاذِبُنا أعِنَّتَها جِذابا ،
أمامَ مُشَيِّعٍ سَمْحٍ بنَفْسٍ يَعِزُّ على العَشيرَةِ أنْ يُصابا (٧)
وَمَا ضاقَتْ مَذاهِبُهُ وَلكِنْ يَهابُ مِنَ الحَمِيّةِ أنْ يُهابا (٨) .
ويأمُرُنا ، فَنَكْفيهِ الأعادي ، هُمامٌ لَوْ يَشاءُ كَفى وَنابا .

---

١ - أسرنا الرجال وسبينا الخيل .

٢ - راغ : طلب .

٣ - شد رأيه بفلان : استظهر به ، استعان به .

٤ - العاب : العيب ، الوصمة ، المذمة .

٥ - الغنثر : واد . سقيناهم السم المذاب : الذائب ـ قتلناهم قتلا شديداً .

٦ - اللباب : الاشراف ، الاعيان ، خيار الناس ـ انتقمنا لقتل الصباح « وهو عبد من عبيدنا » بقتل خيار قومهم .

٧ - مشيع : شجاع ـ يقصد سيف الدولة .

٨ - لا يريد ان يروع احداً ، انه يخاف ان يخافه الناس .

فَلَمَّا أَيْقَنوا أَنْ لا غِياثٌ   دَعَوْهُ لِلمغُوثَةِ فَاسْتَجابَا ،
وَعادَ إِلى ٱلجَمِيلِ لَهُم فَعادُوا   وَقَدْ مَدُّوا لِصَارِمِهِ الرِّقابا (١) .
أَمَرَّ عَلَيْهِمُ خَوفاً وَأَمْناً   أَذاقَهُمُ بِهِ أَرْياً وَصَابا (٢) .
أَحَلَّهُمُ ٱلجَزِيرَةَ ، بَعْدَ يَأْسٍ   أَخُو حِلْمٍ إِذا مَلَكَ العِقَابا (٣) .
دِيارُهُمُ ٱنْتَزَعْنَاهَا ٱقْتِساراً ،   وَأَرْضُهُمُ ٱغْتَصَبْنَاهَا ٱغْتِصَابا .
وَلَوْ شِئْنَا حَمَيْنَاهَا ٱلبَوَادِي   كَما تَحْمِي أُسُودُ ٱلغَابِ غابا (٤) .
إِذا مَا أَنْفَذَ الأُمَراءُ جَيْشاً   إِلى ٱلأَعْداءِ أَنْفَذْنا كِتابا !
أَنا ٱبْنُ ٱلضَّارِبِينَ ٱلهَامَ قِدْماً   إِذا كَرِهَ ٱلمُحامُونَ ٱلضِّرابا .
أَلَمْ تَعْلَمْ ، وَمِثْلُكَ قالَ حَقّاً ،   بِأَنِّي كُنْتُ أَثْقَبَها شِهابا (٥) !

٢ ـ القصيدة السابعة والثانون في الديوان (رومية)

هذه أول قصيدة قالها أبو فراس بعد اسره ، سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) ، كتب بها الى سيف الدولة يخبره فيها برغبة ملك الروم في اطلاق سراحه اذا اطلق سيف الدولة سراح ابن أخت ملك الروم :

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ ٱلمُسَهَّدِ   لَدَيَّ ، وَلِلنَّوْمِ ٱلقَلِيلِ ٱلمُشَرَّدِ .
وَمَا ذاكَ بُخْلاً بِالحَياةِ ، وَإِنَّها   لَأَوَّلُ مَبْذُولٍ لِأَوَّلِ مُجْتَدِ (٦) .

١ ـ رجع الى الجميل من عاداته [العفو عنهم] . مدوا لسيفه أعناقهم : خضعوا له ، قبلوا بحكمه .
٢ ـ الاري : العسل . الصاب جمع صابة : شجرة مرة .
٣ ـ اذا تمكن من عدوه حلم « عفا عنه » .
٤ ـ لو أردنا لمنعنا جميع تلك القبائل ان تنزل في جميع البوادي .
٥ ـ الشهاب الثاقب : النجم المنير اللامع !
٦ ـ مجتد : طالب ـــ اذا كنت انا مستعداً لابذل حياتي في سبيل كل انسان ،فكيف لا أبذلها في سبيلك .

وَمَا الأَسْرُ مِمَّا ضِقْتُ ذَرْعاً بِحَمْلِهِ ، وَمَا الخَطْبُ مِمَّا أَنْ أَقولَ لَهُ: قَدِ (١)
وَلكِنَّنِي أَخْتَارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي عَلَى صَهَوَاتِ الخَيْلِ غَيْرَ مُوَسَّدِ (٢)
وَتَأْبَى وَآبَى أَنْ أَمُوتَ مُوَسَّدا بِأَيْدِي النَّصَارَى مَوْتَ أَكْمَدَ أَكْبَدِ (٣)
نَضَوْتُ عَلَى الأَيَّامِ ثَوْبَ جَلادَتِي ، وَلكِنَّنِي لَمْ أَنْضُ ثَوْبَ التَّجَلُّدِ .
وَمَا أَنَا إِلَّا بَيْنَ أَمْرٍ وَضِدِّهِ يُجَدَّدُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مُجَدَّدِ .
فَمِنْ حُسْنِ صَبْرٍ بِالسَّلامَةِ وَاعِدِي ،
وَمِنْ رَيْبِ دَهْرٍ بِالرَّدَى مُتَوَعِّدِي .
أُقَلِّبُ طَرْفِي بَيْنَ خِلٍّ مُكَبَّلٍ وَبَيْنَ صَفِيٍّ بِالحَدِيدِ مُصَفَّدِ .
دَعَوْتُكَ ، وَالأَبْوَابُ تُرْتَجُ دُونَنَا ، فَكُنْ خَيْرَ مَدْعُوٍّ وَأَكْرَمَ مُنْجِدِ .
فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ، وَمِثْلِي مَنْ يُفْدَى بِكُلِّ مُسَوَّدِ .
أُنَادِيكَ ، لَا أَنِّي أَخَافُ مِنَ الرَّدَى وَلَا أَرْتَجِي تَأْخِيرَ يَوْمٍ إِلَى غَدِ .
وَلكِنْ أَنِفْتُ المَوْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ
بِأَيْدِي النَّصَارَى الغُلْفِ مِيتَةَ أَكْمَدِ (٤) .
فَلَا تَتْرُكِ الأَعْدَاءَ حَوْلِي لِيَفْرَحُوا ، وَلَا تَقْطَعِ التَّسْآلَ عَنِّي وَتَقْعُدِ .
وَلَا تَقْعُدَنْ عَنِّي وَقَدْ سِيمَ فِدْيَتِي فَلَسْتَ عَنِ الفِعْلِ الكَرِيمِ بِمُقْعَدِ (٥)

١ ـ الخطب : المصيبة . ضقت ذرعاً بحمله : عجزت عن حمله . قد : يكفي ، لا تزد .
٢ ـ اريد ان اموت في الحرب لا على فراش ولا مأسوراً .
٣ ـ أكمد : شديد الحزن . أكبد ، شديد التألم .
٤ ـ الاغلف ، الذي لم يختتن .
٥ ـ المقعد ، المتقاعس ، الذي لا يذهب للحرب ، الذي لا ينجد اخاه.

فَكَمْ لكَ عِنْدِي مَن أَيادٍ وأَنْعُمٍ ... رَفَعْتَ بِها قَدْري وأَكْثَرْتَ حُسَّدي ؟
تَشَبَّثْ بِها أُكْرُومَةً قَبْلَ فَوْتِها ، ... وقُمْ في خَلاصي صادِقَ العَزْمِ وَاقْعُدِ
فَإِنْ مِتُّ ــ بَعْدَ اليَوْمِ ــ عابَكَ مَهْلَكي
مَعابَ الزُّرارِيِّينَ مَهْلِكَ مَعْبَدِ (١) .
هُمُ عَضَلوا عَنْهُ الفِداءَ فَأَصْبَحوا ... يُهَدُّونَ أَطْرافَ القَريضِ المُقَصَّدِ (٢) .
وَلَمْ يَكُ بِدْعاً هُلْكُهُ ، غَيْرَ أَنَّهم ... يُعابونَ إِذْ سِيمَ الفِداءَ وما فُدِيْ .
فَلا كانَ كَلْبُ الرُّومِ أَرْأَفَ مِنْكُمُ ... وَأَرْغَبَ في كَسْبِ الثَّناءِ المُخَلَّدِ .
أَأَضْحَوْا على أَسْراهُمُ بِيَ عُوَّداً ... وَأَنْتُم على أَسْراكُمُ غَيْرُ عُوَّدِ (٣) ؟
مَتَى تُخْلِفُ الأَيّامُ مِثْلِي لَكُمْ فَتًى ... طَويلَ نِجادِ السَّيْفِ رَحْبَ المُقَلَّدِ (٤) ؟
مَتَى تَلِدُ الأَيّامُ مِثْلي لَكُمْ فَتًى ... شَديداً على البَأْساءِ غَيْرَ مُلَهَّدِ (٥) ؟
فَإِنْ تَفْتَدوني تَفْتَدوا شَرَفَ العُلا ... وَأَسْرَعَ عَوّادٍ إِلَيْها مُعَوَّدِ (٦) .
وَإِنْ تَفْتَدوني تَفْتَدوا لِعُلاكُم ... فَتًى غَيْرَ مَرْدودِ اللِّسانِ أَوِ اليَدِ (٧)

١) اذا هلكت في الاسر لامك الناس ، يا سيف الدولة ، كما يلومون بني زرارة لانهم تركوا معبد بن زرارة يهلك في الاسر اذ اصروا على افتدائه بمائتي بعير فقط ، وكان عامر والطفيل ابنا مالك بن جعفر بن كلاب اللذان أسراه قد طلبا دية اكبر من ذلك فلم يقبل اخوه لقيطاً فمات معبد في الاسر

٢) عضلوا : منعوا . يهدون : يرسلون، ينظمون . اطراف : الاشياء الطريفة الجميلة، المستجادة . المقصد: القصيد من الشعر ، الذي ليس رجزاً . ضنوا عليه بمالهم حتى هلك في الاسر، ثم جعلوا يرثونه بشعرهم.

٣) هم يعاملوني معاملة حسنة اكراماً لاسيرهم عندكم ، وانتم لا تهتمون بي .

٤) طويل نجاد (حمالة) السيف : شجاع . رحب المقلد : واسع مكان القلاد، رحب الصدر ،حليم [؟]

٥) البأساء : المصيبة ، الضيق (لعله يقصد الحرب) . ملهد : مهان ، محتقر ، لا يراه الناس اهـــلا للامور العظيمة .

٦) يعود (بعد خروجه من الاسر) سريعاً الي الحرب .

٧) غير مردود اللسان ولا اليد : يسمع قوله ويقدر على الامور .

يُطاعِنُ عَنْ أعراضِكُم بِلِسَانِهِ ، وَيَضْرِبُ عَنكم بالحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ .
وَمَا كلُّ وقّافٍ لَهُ مِثْلُ مَوْقِفي ، وَلا كل وَرّادٍ له مِثْل مَوْرِدي (١)
فَمَا كل من شاء ٱلْمَعالي يَنالُها ، ولا كلُّ سَيّارٍ إلى ٱلْمَجْدِ يَهْتدِي .
أَقِلْنِي ، أَقِلْني عَثْرَةَ الدَّهْرِ ، إنَّـهُ
رَمانِي بِسَهْمٍ صَائبِ النَّصْلِ مُقْصِدِ (٢) .
ولولم تَنَلْ نفسي وِلاءَكَ لم أكن لِأُوردَها في نَصْرِهِ كلَّ مَوْرِدِ (٣)
ولا كُنْتُ أَلْقَى الألفَ زُرْقاً عيونُها بسبعينَ فِيهِم كُلُّ أَشْأَمَ أَنْكَدِ (٤)
فَلا ، وَأَبِي ، ما سَاعِدانِ كَساعِدٍ ، ولا ، وابِي ، ما سَيِّدانِ كَسَيِّدِ .
ولا ، وأَبِي ، ما يَفْتُقُ الدَّهْرُ جانباً فَيَرْتُقُه إلا بأَمْرٍ مُسَدَّدِ (٦) .
وإنَّكَ لَلْمَوْلَى الَّذي بكَ اقْتَدى ، وَإنك لَلنَّجْمُ الذي بك أهتدي .
وَأَنتَ الذي عَرَّفْتَني طُرُقَ الْعُلا ، وَأَنتَ الذي أهدَيْتَني كُلَّ مَقْصِدِ .
وأَنْتَ الذي بَلَّغْتَني كُلَّ رُتْبَةٍ مَشَيْتُ إلَيْها فوقَ أعناقِ حُسَّدي .
فَيَا مُلْبِسي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتي جلَّ قَدْرُها ، لقد أَخْلَقَتْ تِلْكَ الثيابُ فَجَدِّدِ (٧)

---

١) وقاف : مدافع . وراد : هاجم .

٢) مقصد : مميت .

٣) في نصره : في نصر ولائك .

٤) زرقا عيونها : كناية عن الروم . « بسبعين » اشارة الي خروجه الى الصيد في سبعين من اتباعه حينما اسره الروم . اشأم : ذو شؤم . أنكد : أشأم — لولا ولائي لك لما لقيت ألفاً من الروم في سبعين رجل لا يصلحون للحرب (لانه كان في الصيد) .

ساعدي وساعدك افضل من ساعدك وحده . وانا وانت في الحرب خير منك وحدك فيها .

٦) فتق الدهر جانباً : شقه ، أفسده ، انزل مصيبة ببلادنا . رتق : خاط ، اصلح ، جمع .

٧) أخلقت : تهرأت بطول اللبس .

أَلم تَرَ أنّي فيكَ صافحتُ حدَّها ، وفيكَ شربتُ الموتَ غيرَ مُصرَّدِ ؟ (١)

يقولون : «جَنِّبْ» عادةٌ ما عرفتُها ، شديدٌ على الإنسانِ ما لم يُعوَّدِ (٢)

فقلتُ : أما وَاللهِ لا قال قائلٌ : شهدتُ له في الحربِ ألأمَ مشهدِ !

ولكنْ سألقاها ، فإمّا منيّةٌ هي الظّنُّ ، أو بنيانُ عِزٍ موطَّدِ .

ولم أدرِ أن الدّهرَ في عدد العدى ، وَان المنايا السودَ يَرْمينَ عَن يَدِ .

بقيتَ ، ابنَ عبدِ اللهِ ، تُحمَى من الرّدى

ويَفْديكَ مِنّا سيّدٌ بعدَ سيّدِ (٣) .

فلا يَحرمَنّي اللهُ رؤياكَ ! ـ إنّها نهايةُ آمالي ، وَغايةُ مقْصِدي .

ـ ولا يَحرمَنّي اللهُ قربَكَ ! ـ إنّهُ مُرادي من الدُّنيا وحظّي وَسُؤْدُدي .

٣ ـ القصيدة السادسة عشرة في الديوان (رومية)

رفض سيف الدولة ان يطلق سراح ابن اخت ملك الروم كي يخرج ابو فراس وحده من الاسر ، بل فضل ان يبقى ابو فراس في الاسر الى ان يستطيع سيف الدولة ان يفتدي جميع الاسرى المسلمين الذين هم في ايدي الروم . عندئذ نقل الروم ابا فراس من خرشنة الى القسطنطينية (٣٥٣ هـ ـ ٩٦٤ م) ، فقال ابو فراس :

أَمَا لِجَميلٍ عِندَكُنَّ ثَوابُ ولا لِمُسيءٍ عِندَكُنَّ مَتابُ ؟ (٤)

لقدْ ضَلَّ مَن تَحْوي هَواهُ خَريدةٌ وقدْ ذَلَّ مَن تَقْضي عَلَيْهِ كَعَابُ (٥) .

---

١) الضمير في « حدها » يعود الى السيوف تقديراً . مصرد : متقطع .

٢) جنب : مال الى جانب الطريق ، هرب .

٣) ابن عبد الله : سيف الدولة بن عبد الله بن حمدان .

٤) . الا تثبن امرأ على جميل فعله ولا تقبلن توبة من رجل مذنب ؟

٥) الخريدة : المرأة الجميلة . تقضي عليه كعاب : تهلك امره فتاة عذراء [حديثة السن] .

وَلكِنَّني ــ والْحَمْدُ للهِ ــ حَازِمٌ أَعِزُّ إذا ذَلَّتْ لَهُنَّ رِقَابُ (١).
ولا تَمْلِكُ الْحَسْناءُ قَلْبيَ كُلَّهُ وإن شَمِلَتْها رِقَّـةٌ وَشَبابُ .
وَأَجْرِي ولا أُعطِي الْهوى فَضْلَ مِقْوَدي ،
وأهفو ولا يَخْفى عليَّ صَوَابُ (٢).
إذَا الخِلُّ لم يَهْجُرْكَ إلاّ مَلالَةً فَلَيْسَ له إلا الفِرَاقَ عِتَابُ (٣).
إذا لم أجِدْ من بَلْدَةٍ ما أُريدُهُ فَعِنْدي لأُخرى عَزْمَةٌ ورِكَابُ .
وَلَيْسَ فِرَاقٌ ما اسْتَطَعْتُ، فإنْ يَكُنْ فِرَاقٌ على حَالٍ فَلَيْسَ إيابُ (٤).
صَبُورٌ ولو لم تَبْقَ مني بَقِيَّةٌ قَؤُولٌ ولو أنَّ السُّيوفَ جَوابُ .
وَقُورٌ وَأَحْدَاثُ الزَّمانِ تَنوشُني وللمَوْتِ حَوْلي جيئَةٌ وذَهابُ (٥).
وأَلْحَظُ أَحوالَ الزَّمانِ بِمُقْلَةٍ بها الصِدْقُ صِدْقٌ وَالكِذابُ كِذابُ .
بِمَن يَثِقُ الإنْسانُ في ما يَنوبُهُ ومِنْ أَيْنَ للحُرِّ الكَرِيمِ صِحَابُ ؟
وَقَدْ صارَ هذا الناسُ إلا أقَلَّهُمْ ذئاباً عَلى أَجْسادِهِنَّ ثِيَابُ !
تَغَابَيْتُ عنْ قَوْمي فظَنّوا غَباوَةً بِمَفْرِقِ أَغْبانا حَصىً وَتُرَابُ (٦).
ولَوْ عَرَفُوني ، حَقَّ مَعْرِفَتي بهم ، إذاً عَلِمُوا أني شَهِدْتُ وغَابوا (٧).

١) اذا ذلت لهن رقاب : اذا خضع لهن رجال آخرون .
٢) اجري في الحب جرياً معتدلا من غير ان تستولي المرأة علي استيلاء تاماً. واذا اخطأت اعلم اني اخطأت.
٣) اذا تركك صديقك لانه مل صحبتك فلا تعاتبه بل أهجره انت ايضاً .
٤) . احافظ على وداد صديقي ما قدرت ، فاذا اضطررت الى فراقه لا اعود اليه أبداً .
٥) واحداث الزمان تنوشني : المصائب تهاجمني من كل جانب .
٦) بمفرق اغبانا حصى وتراب : امات الله اكثرنا غباوة [دفن واهيل عليه الحصى والتراب] .
٧) شهد الحرب : حضرها .وأبلى فيها .لو كانوا يعرفون قدري لعلموا انني افيدهم في الحوادث بينماهم لا تفع منهم

وَمَا كُلُّ فَعَّالٍ يُجَازَى بِفِعْلِهِ ، وَلا كُلُّ قَوَّالٍ لَدَيَّ يُجَابُ .
وَرُبَّ كَلامٍ مَرَّ فَوْقَ مَسَامِعِي كَمَا طَنَّ فِي لَوْحِ ٱلْهَجِيرِ ذُبَابُ (١).
إلى ٱللهِ أَشْكُو أَنَّنِي بِمَنَازِلٍ تَحَكَّمُ فِي آسَادِهِنَّ كِلابُ (٢).
تَمُرُّ ٱللَيَالِي لَيْسَ لِلنَّفْعِ مَوْضِعٌ لَدَيَّ ، وَلا لِلْمُعْتَفِينَ جَنَابُ (٣).
وَلا شُدَّ لِي سَرْجٌ عَلَى ظَهْرِ سَابِحٍ ، وَلا ضُرِبَتْ لِي بِالْعَرَاءِ قِبَابُ (٤)
وَلا بَرَقَتْ لِي فِي اللِّقَاءِ قَوَاطِعٌ وَلا لَمَعَتْ لِي فِي الحُرُوبِ حِرَابُ (٥)
سَتَذْكُرُ أَيَّامِي نُمَيْرٌ وَعَامِرٌ وَكَعْبٌ عَلَى عِلاَّتِهَا وَكِلابُ (٦)
أَنَا الجَارُ لا زَادِي بَطِيءٌ عَلَيْهِمُ وَلا دُونَ مَالِي فِي الحَوَادِثِ بَابُ (٧)
وَلا أَطْلُبُ ٱلعَوْرَاءَ مِنْهُمْ أُصِيبُهَا ، وَلا عَوْرَتِي لِلطَّالِبِينَ تُصَابُ (٨)
وَأَسْطُو وَحُبِّي ثَابِتٌ فِي صُدُورِهِمْ وَأَحْلُمُ عَنْ جُهَّالِهِمْ وَأُهَابُ (٩)
بَنِي عَمِّنَا مَا يَصْنَعُ ٱلسَّيْفُ فِي الوَغَى إِذَا فُلَّ مِنْهُ مَضْرِبٌ وَذُبَابُ (١٠)؟

١ـ اللوح : الهواء . الهجير : وقت الظهيرة . ـــ « ذمهم اياي» لا آبه له .
٢ـ بمنازل : « في بلاد الروم ، في الاسر » .
٣ـ المعتفي : طالب الرفد « العطاء » . الجناب : ساحة الدار . ـــ انا اسير لا استطيع ان انفع احداً ولا أن أضيفه عندي واحسن اليه .
٤ـ السابح : الحصان السريع . القبة : الخيمة الكبيرة ـــ لا اركب للحرب ولا اجمع الناس للحرب .
٥ـ القواطع : السيوف . الحراب : الرماح .
٦ـ نمير وعامر وكعب وكلاب قبائل حاربها ابو فراس ، يقول : ستظل هذه القبائل تذكر شدتي عليها واحساني اليها معاً .
٧ـ لا امنع مساعدتي عنهم .
٨ـ انا لا اتطلب عيوبهم ، وليس لي عيوب يمكن ان يطلبها احد .
٩ـ احاربهم فيظلون يحبونني . واعفو عن المذنبين منهم ويظلون يخافونني .
١٠ـ كيف يستطيع بنو حمدان ان يحاربوا اذا ظللت انا اسيراً او اذا قتلت . مضرب السيف : حده . ذباب السيف : طرفه ، رأسه ـ يشبه بني حمدان بالسيف ، ويشبه نفسه بحد السيف القاطع » .

بَني عَمِّنا ، لا تُنكِروا الوُدَّ ، إنَّنا شِدادٌ على مَرِّ الهوانِ صِلابُ .
بَني عَمِّنا ، نحنُ السَّواعِدُ والظُّبا ويُوشِكُ يوماً أنْ يكُونَ ضِرابُ (١)
وإنْ رِجالاً ما ابنُهم كابنِ أُختِهِمْ حَرِيُّونَ إنْ يُقْضى لهم ويُهابوا (٢)
فَمَنْ أيِّ عُذْرٍ إن دُعُوا وَدُعِيتُمُ أبيتُمْ ، بني أعمامِنا، وأجابوا (٣)؟
وما أدَّعي ما يعلَمُ اللهُ غيرَهُ : رِحابُ عليٍّ للعُفاةِ رِحابُ (٤).
وأفعالُهُ للرَّاغِبينَ كَرِيمةٌ ، وأموالُهُ للطالبينَ نِهابُ .
ولكنْ نَبا منه بِكفَّيَّ صارِمٌ وأظلَمَ في عَيْنَيَّ منهُ شِهابُ ،
وَأبطأَ عَنِّي والمَنايا سريعَةٌ وللمَوْتِ ظُفرٌ قدْ أطلَّ وَنابُ .
فإلَّا يكُنْ وُدٌّ قَديمٌ عَهِدتُهُ ولا نَسَبٌ بينَ الرِّجالِ قِرابُ (٥)
فَأحوطُ للإسلامِ ألَّا يُضيعَني ولي فيهِ عنه حَوْطَةٌ وَمَنابُ (٦)
وَلكنَّني راضٍ على كُلِّ حالةٍ لِيَعلَمَ أيُّ الحالتَينِ سَرابُ (٧)
وما زِلتُ أرْضى بالقليلِ مَحبَّةً لَديهِ، وَمادونَ الكثيرِ حِجابُ (٨)

١- يوشك يوماً ان يكون ضراب : الحرب منتظرة عما قريب .

٢- ليس ابنهم (ابو فراس) كابن اختهم (ابن اخت ملك الروم الموجود في اسر سيف الدولة) . اذا طلب منكم الروم اطلاق سراح ابن اخت ملكهم (وهو رجل عادي) مقابل اطلاق سراحي (وانا الامير الشجاع الفارس الشاعر) فيجب ان تقبلوا حالا .

٣- فلماذا ، اذن ، اذا عرض عليهم الفداء قبلوا هم ورفضتم انتم « مع ان هذا العرض في مصلحتكم »؟

٤- لا اقول الا ما يعلمه الله . علي « سيف الدولة » كريم على كل الناس.

٥ و٦- سبق تفسيرهما .

٧- انا راض الآن بأن ابقى أسيراً لابرهن له ان أسري مضر به هو .

٨- وقد كنت دائماً ارضى بالثواب القليل بينما كنت استطيع الحصول على ثواب كثير. ولكني احب سيف الدولة فلا تحدثني نفسي بان اطلب على ذلك ثواباً .

وأطلبُ إبقاءً على الوُدِّ أرضَهُ   وذكرى مُنى في غيرِها وطِلابُ (؟)
كذاك الودادُ المحضُ لا يُرتجى لهُ   ثوابٌ ولا يُخشى عليهِ عقابُ (١).
[وما أنا بالباغي على الحبِ رشوةً،   ضعيفٌ هوىً يُبغى عليهِ ثوابُ (٢)]
وقد كنتُ أخشى الهجرَ والشملُ جامعٌ   وفي كلِ يومٍ لُقيةٌ وخِطابُ،
فكيفَ وفي ما بيننا مُلكُ قيصرٍ   وللبحرِ حولي زخرةٌ وعُبابُ ؟
أمِن بعدِ بذلِ النفسِ في ما تُريدُهُ   أُثابُ بمُرِّ العَتْبِ حينَ أُثابُ ؟
فليتَكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ   وليتَكَ ترضى والأنامُ غِضابُ،
وليتَ الذي بيني وبينَكَ عامرٌ   وبيني وبينَ العالمينَ خرابُ !
إذا نلتُ منكَ الوُدَّ فالكُلُّ هيِّنٌ   وكلُّ الذي فوقَ الترابِ ترابُ .
فيا ليتَ شُربي من ودادِكَ صافياً   وشُربي من ماءِ الفراتِ سَرابُ (٣)

٤ ـ القصيدة الستون بعد المائة في الديوان (رومية)

هذه اشهر قصائد ابي فراس، قالها لما بلغه ان الروم قالوا : ما اسرنا احداً الا نزعنا عنه سلاحه ما عدا ابا فراس (راجع البيت ٤٦) . وقد قال هذه القصيدة قبل ان يقيده الروم، نحو سنة ٣٥٣ هـ . وفي هذه القصيدة فخر بارع ونسيب رقيق، وهي تمثل نفس ابي فراس تمثيلا صحيحاً :

١ـ المحض : الصافي ، الخالص .

٢ـ انا لا اطلب اجراً على محبتي لسيف الدولة « لان محبتي له صادقة ، انما يطلب الأجر على الحب اذا كان ضعيفاً او كان حباً في الظاهر فقط» .

٣ـ ليت الماء الذي اشربه من نهر الفرات « وهو سبب حياتي » يكون عكراً اذا كان ماء ودادك صافياً « حبك لي صحيحاً » .

أَرَاكَ عَصِيَّ ٱلدَّمْعِ شِيمَتُكَ ٱلصَّبْرُ — أَما للهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلا أَمْرُ؟
بلى، أنا مُشْتاقٌ وعندي لوعَةٌ، — وَلَكِنَّ مِثْلي لا يُذاعُ لَه سِرُّ!
إذا ٱللَّيلُ أَضْواني (١) بَسَطْتُ يَدَ ٱلْهوى
وأَذْلَلْتُ دَمعاً من خَلائِقِهِ الـكِبْرُ.
تَكادُ تضِيءُ ٱلنَّارُ بَيْنَ جوانحي — إذا هِيَ أَذْكَتْها ٱلصَّبابَةُ وَالفِكْرُ.
مُعَلِّلَتي بالوصلِ، وَٱلْمَوتُ دُونَه، — إذا مِتُّ ظَمْآناً فلا نَزَلَ ٱلقَطْرُ!
حفِظْتُ وَضَيَّعْتِ ٱلْمَوَدَّةَ بَيْنَنا، — وَأَحسَنُ مِنْ بَعضِ ٱلوَفاءِ لكِ ٱلغَدْرُ
وما هذه الأيامُ إلا صحائفٌ — لأحْرُفِها، مِنْ كَفِّ كاتِبِها بَشْرُ (٢).
بنفسي، من الغَادِينَ في الحيِّ، غادَةٌ — هَوايَ لها ذَنْبٌ وبَهْجَتُها عُذْرُ.
تَرُوغُ إلى ٱلواشِينَ فِيَّ، وإنَّ لي — لأُذْناً بِها، عَنْ كُلِّ واشِيَةٍ، وَقْرُ (٣).
بَدَوْتُ، وأَهلي حاضِرونَ، لأَنَّني
أرى أَنَّ داراً، لَسْتِ مِنْ أَهْلِها، قَفْرُ (٤)!
وحارَبْتُ قَوْمي في هواكِ، وإنَّهُمْ — وإيَّايَ، لولا حُبُّكِ، ٱلْماءُ وَٱلْخَمْرُ (٥).
فإنْ كانَ ما قالَ ٱلْوُشاةُ، ولَمْ يَكُنْ، — فَقَدْ يَهْدِمُ الإيمانُ ما شَيَّدَ ٱلْكُفْرُ.

١ـ اذا أتى علي الليل .
٢ـ البشر « كذا في الاصل » : الجمال . ولعلها : نشر .
٣ـ تروغ : « تميل » تصدق قول الواشين في ، مع انني اصم اذني عن قول الوشاة فيها » .
٤ـ بدوت : سكنت في البادية (لانك انت تسكنين في البادية) . حاضرون : يسكنون في الحضر (المدن) وان المكان الذي لا تسكنين فيه يكون قفراً (ولو كان مأهولا) .
٥ـ كالماء والخمر : كناية عن الاتفاق ، متفقون .

وَفَيْتُ، وفي بَعْضِ الوَفاءِ مَذَلَّةٌ، لآنسةٍ في الحَيِّ شِيمَتُها الغَدْرُ
وَقُورٌ ورَيعانُ الصِبا يَسْتَفِزُّها، فتأرَنُ أحياناً كما يأرَنُ المُهرُ (١)
تُسائِلُني «من أنتَ؟» وَهيَ عليمَةٌ وَهَلْ بِفَتىً مِثْلي عَلى حالِهِ نُكْرُ؟
فَقُلْتُ، كَما شاءَتْ وشاءَ لها الهوى:
« قَتيلُكِ ! » قالتْ : « أيُّهُمْ؟ فَهُمُ كُثْرُ ! »
فَقُلْتُ لها: «لَوْ شِئْتِ لَم تَتَعَنَّتي (٢) ولم تَسْأَلي عَنّي، وعِنْدَكِ بي خُبْرُ ! »
فَقالت: لَقَدْ أزْرَى بِكَ الدَّهرُ بَعْدَنا (٣) فقُلْتُ: «معاذَ اللهِ بَلْ أنتِ لا الدَّهرُ»
وما كانَ للأحْزانِ، لَوْلاكِ، مَسْلَكٌ إلى القَلْبِ، لكِنَّ الهوى للبِلى جِسْرُ»
وَتَهْلِكُ بينَ الهَزْلِ والجِدِّ مُهجَةٌ إذا ما عداها البَيْنُ عَذَّبَها الهجرُ (٤)
فأيقَنْتُ أنْ لا عِزَّ بعْدي لعاشِقٍ، وأنَّ يَدي مِمّا عَلِقْتُ بهِ صِفْرُ (٥)
وَقَلَّبْتُ أمري لا أرَى لِيَ راحَةً، إذا الهَمُّ أسلاني ألَحَّ بِيَ الهَجْرُ (؟)
فَعُدْتُ إلى حُكْمِ الزَّمانِ وَحُكْمِها، لها الذَّنْبُ لا تُجْزى بِهِ ولِيَ العُذْرُ (٦)
كأنّي أُنادِي، دونَ مَيْثاءَ، ظَبْيَةً على شَرَفٍ ظَمْياءَ جَلَّلَها الذُّعرُ (٧)

١ـ ريعان الصبا : اوله وأشده . يستفزها : يثيرها . أرن المهر : نشط ، قفز ، نفر .
٢ـ تعنت : تشدد ، اشتط . ٣ـ غير حالك .
٤ـ البين : البعد الاضطراري . الهجر : النفرة والترك . ـــ اذا لم يكن هنالك بعد فانها تهجرني فنقضي حياتنا كلها مفترقين .
٥ـ اذا ذللت انا (مع مقامي وفروسيتي الخ) فلا يمكن ان يعز عاشق آخر . ثم انني انا ايضاً لم استطع ان انال وصال محبوبي .
٦ـ العذر : الاعتذار ، هي تذنب الي فلا تعاقب ثم علي ان اعتذر اليها واسترضيها .
٧ـ ميثاء : ارض لينة ، سهل . شرف : مكان مرتفع . ظمياء : سوداء ـــ كأني واقف في سهل أنادي اتى الوعل الجبلية (لا ترد علي ، لانها تسكن المرتفعات ولا تألف السهول) . جللها الذعر : كثيرة الخوف .

تَجَفَّلُ حيناً ، ثُمَّ تَدْنو كأنَّما تُنادي طَلاً بالوادِ ، أعْجَزَهُ الحُضْرُ (١)

فَلا تُنكريني ، يا ابْنَةَ العَمِّ ، إنَّه لَيَعرِفُ مَن أنْكَرْتِهِ البَدْوُ وَالحَضْرُ.

ولا تُنكريني ، إنَّني غَيرُ مُنْكَرٍ

إذا زَلَّتِ الأَقْدامُ وَاسْتُنْزِلَ النَّصْرُ .(٢)

وَإني لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتِيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ ألَّا يُخِلَّ بِها النَّصْرُ (٣)

وإنِّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخُوفَةٍ كَثيرٍ إلى نُزّالِها النَّظَرُ الشَّزْرُ (٤)

فَأَظْمَأُ حَتّى تَرْتَوي البِيضُ والقَنا

وَأَسْغَبُ حتى يَشْبَعَ الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ (٥)

وَلا أُصبِحُ الحَيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ وَلا الجَيْشَ ما لَمْ تأتِهِ قَبْلِيَ النُّذْرُ (٦)

ويا رُبَّ دارٍ ، لَمْ تَخَفْني ، مَنيعَةٍ طَلَعْتُ عَلَيْها بالرَّدى أنا وَالفَجْرُ (٧)

وَحَيٍّ رَدَدْتُ الخَيْلَ حَتّى مَلَكْتُهُ هَزيماً وَرَدَّتْني البَراقِعُ وَالخُمْرُ (٨)

١ـ الطلا : ولد الظبية . اعجزه الحضر : اتعبه الركض .

٢ـ اذا استنزل النصر : اذا تضايق المحاربون واخذوا يستنجدون (يطلبون من الله ان ينزل عليهم نصره).

٣ـ جرار : قائد . معودة الا يخل بها النصر : كل كتيبة (قطعة من جيش) قدتها لم تهزم .

٤ـ النزال (وجمعها بضم النون) : النازل الى المعركة للمقارعة بالسلاح الابيض . المخوفة : « المعركة» التي يخاف الابطال من خوضها . النظر الشزر : نظرة الغضبان ، او المعرض « استهزاء واحتقاراً » — اخوض كل معركة لا يجرؤ على خوضها احد .

٥ـ في الحرب اصبر على عطشي حتى ترتوي السيوف والرماح من دم القتلى واصبر على جوعي حتى ترتوي الذئاب والنسور من لحومهم .

٦ـ راجع فوق ، ص ٨٦

٧ـ منيعة : محصنة .

٨ـ اهزم خيل الحي (القبيلة) ثم احتل المكان ، فاذا برزت النساء (ذوات البرقع والخمار) استحيت (او عاد الي حلمي) فرجعت عنه .

وساحبةِ الأذيالِ نحوي، لقيتُها   فلم يلقَها جهمُ اللقاء، ولا وعرُ.
وهبتُ لها ما حازه الجيشُ كلَّه،   ورحتُ ولم يُكشفْ لأبياتها سترُ.
ولا راحَ يطغيني بأثوابهِ الغنى،   ولا باتَ يثنيني عن الكرمِ الفقرُ.
وما حاجتي بالمالِ أبغي وفورَه؟   إذا لم أفِرْ عرضي فلا وفرَ الوفرُ (١)
أُسِرتُ وما صحبي بعزلٍ، لدى الوغى،
ولا فرسي مهرٌ ولا ربُّه غمرُ ! (٢)
ولكن إذا حمَّ القضاءُ على امرئٍ   فليسَ له برٌّ يقيه ولا بحرُ ! (٣)
وقال أُصيحابي: «الفرارُ أو الردى»   فقلتُ: «هما أمرانِ أحلاهما مرُّ» (٤)
ولكنني أمضي لما لا يعيبني   وحسبُكَ من أمرين خيرُهما الأسرُ.
يقولون لي: «بعتَ السلامةَ بالردى»
فقلتُ: «أما واللهِ، ما نالني خسرُ» (٥)
وهل يتجافى عنّي الموتُ ساعةً   إذا ما تجافى عنّي الأسرُ والضرُّ؟ (٦)
هو الموتُ فاخترْ ما علا لكَ ذكرُه   فلم يمتِ الإنسانُ ما حييَ الذكرُ.

١- أبغي: اريد. وفوره: كثرته. وفر يفر: حافظ، دافع، حمى. وفر يفر (ايضاً): كثر، يكثر. الوفر: الغنى.

٢- العزل جمع أعزل: بلا سلاح. مهر: صغير (بلا تجربة). غمر: جاهل، غير مجرب.

٣- حم القضاء: نزل القضاء. اذا اراد الله امراً.

٤- الفرار (بالضم) او الردى ؟: أتريد منا ان نفر فنسلم او نثبت فنموت؟ ويمكن ان تقرأ: الفرار (بالفتح) او الردى: اما ان نفر فننجو او ان نثبت فنموت.

٥- باع: اشترى، تبدل. ــ بعت سلامتك واشتريت بها الهلاك (الاسر).

٦- الضر: الأذى ــ اذا تخلصت من الاسر والاذى فهل اخلد في الحياة.

وَلا خَيْرَ في دَفْعِ الرَّدى بِمَذَلَّةٍ كَمَا رَدَّهَا يَوْماً بِسَوْءَتِهِ عَمْرُو (١)
يَمُنُّونَ أَنْ خَلَّوْا ثِيابي ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ ثِيَابٌ مِنْ دِمَائِهِمُ حُمْرُ (٢)
وَقَائِمُ سَيْفٍ فِيهِمُ انْدَقَّ نَصْلُهُ
وَأَعْقَابُ رُمْحٍ فِيهِمُ حُطِّمَ الصَّدْرُ (٣)
سَيَذْكُرُني قَوْمِي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ [وفي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ] (٤)
فَإِنْ عِشْتُ فَالطَّعْنُ الَّذي يَعْرِفُونَهُ
وَتِلْكَ القَنا والبِيضُ والضُّمَّرُ الشُّقْرُ (٥)
وإِنْ مِتُّ فالإِنْسانُ لا بُدَّ مَيِّتٌ وَإِنْ طَالَتِ الأَيَّامُ وَانْفَسَحَ العُمْرُ (٦)
ولو سَدَّ غَيْرِي ما سَدَدْتُ اكْتَفَوْا بِهِ ،
وما كَانَ يَغْلُو التِّبْرُ لو نَفَقَ الصُّفْرُ (٧)

١ـ مذلة : ذلة ، جبن . السوءة : موضع العفة . عمرو : عمرو بن العاص . ــ لما بارز عمرو ابن العاص الامام علياً في صفين ظفر به الامام علي . فلما ايقن عمرو بالهلاك رمى نفسه عن فرسه فوقع على ظهره وكشف عن سوأته فاستحيا الامام علي ورجع عنه .

٢و٣ـ لما اسر الروم ابو فراس تركوا له ثيابه وسلاحه لانه امير ثم جعلوا يرونه فضلهم عليه في ذلك. فقال : اذا تركوا لي الآن ثيابي فان علي ثياباً غيرها منسوجة من دمائهم (لكثرة ما قتلت منهم) ــ وكذلك احمل سيفاً كسر نصله في قتالهم ورمحاً انكسر اعلاه فيهم ايضاً .

٤ـ جد جدهم : اشتد الامر عليهم . افتقد الشيء : طلبه فلم يجده ، سأل عنه . ــ الناس يتذكرون فضل القمر اذا احتاجوا الى البحث عن شيء في الليل .

٥ـ فان عشت وخرجت من الاسر فسأرجع الى قتالهم بكل شيء : بالرماح والسيوف و « الخيول » الضامرة ذوات اللون الاحمر .

٦ـ وان مت « في الاسر ، فيجب الا يشمتوا بي » فان الانسان سيموت يوما ما مهما طال عمره .

٧ـ سد : استطاع ، قام بالعبء . التبر : الذهب : الصفر : النحاس الاصفر . لو ان النحاس الاصفر يقوم مقام الذهب لما كان الذهب غالياً .

وَنَحْنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِنْدَنا ، لنا الصَّدْرُ دونَ العالَمِينَ أَوِ القَبْرُ .
تَهونُ علَيْنا في المَعالي نُفُوسُنا ، وَمَنْ خَطَبَ الحَسْناءَ لم يُغْلِها المَهْرُ (١)
أَعَزُّ بَنِي الدُّنيا وأَعْلى ذَوي العُلا وَأَكْرَمُ مَنْ فَوقَ التُّرابِ ولا فَخْرُ .

٥ – القصيدة الثامنة عشرة في الديوان (رومية)

بلغ سيف الدولة ان بعض الاسرى في يد الروم قالوا ــ وقد تأخر سيف الدولة عن افتدائهم ــ ان كان سيف الدولة لا يجد مالاً لافتدائنا فاننا نكتب الى صاحب خراسان (*) وغيره من الملوك فربما خففوا عنا هذا الاسر الذي نحن فيه . واتهم سيف الدولة ابا فراس بهذا القول فقال : « ومن اين يعرفه اهل خراسان ! » ثم قطع مراسلته . فقال ابو فراس في ذلك :

أَسَيْفَ الهُدى وَقَرِيعَ العَرَبْ عَلامَ الجَفاءُ وَفِيمَ الغَضَبْ (٢) ؟
وَمَا بالُ كُتْبِكَ قَدْ أَصْبَحَتْ تُنَكِّبُنِي مَعَ هذا النَّكَبْ (٣) ،
وَأَنْتَ الكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الحَلِيمُ ، وأَنْتَ العَطُوفُ وأَنْتَ الحَدِبْ (٤)
وما زِلْتَ تَسْبِقُني بالجَمِيل وَتُنْزِلُني بالجَنابِ الخَصِبْ ،
وَتَدْفَعُ عَنْ حَوزَتَيَّ الخُطُوبَ وَتَكْشِفُ عَنْ نَاظِرَيَّ الكُرَبْ .
وَإِنَّكَ لَلْجَبَلُ المُشْمَخِرُّ لِي ، بَلْ لِقَوْمِكَ ، بَلْ للعَرَبْ (٥)

١ـ انا نضحي بكل شيء حتى بأرواحنا اذا كنا نطلب المعالي « الامور النبيلة العظيمة » . اذا كان مهر الحسناء كبيراً ، فان ذلك لا يكون سبباً للتخلي عن خطبتها .

٥) راجع ص ٢٤ ــ ٢٥ .

٢ـ القريع : فحل الابل المختار ، الشديد . ــ الذي يقارع « يدافع » عن قومه .

٣ـ نكب : مال ، اصابه بنكبة « مصيبة » . النكب : نزول المصيبة .

٤ـ الحدب : العطوف المحب .

٥ـ المشمخر : العالي الذي يهتدي به الناس او يلجأون اليه فيحتمون به .

عُلَيَّ تُسْتَفَادُ ، وعافٍ يُفَادُ ، وَعِزٌّ يُشَادُ ، وَنُعمى تُرَبُّ (١).
وَما غضَّ مِنّي هـذا الإسارُ ولـكِنْ خَلَصْتُ خُلوصَ ٱلذَّهَبْ (٢)؛
فَفِيمَ يُعَرِّضني بالخـمُو لِ مَولىً بِهِ نِلْتُ أَعلى ٱلرُّتَبْ (٣)؛
وكانَ عَتِيداً لَدَيَّ الجَوابُ وَلـكِنْ لهَيْبَتِهِ لم أُجِبْ (٤).
أَتُنْـكِرُ أَنّي شَكَوْتُ ٱلزّمانُ وأَنّي عَتَبْتُكَ فِيمَنْ عَتَبْ (٥).
فَهَلّا رَجَعْتَ فأَعْتَبْتَني وَصَيَّرْتَ لي وَلِقَومي الغَلَبْ (٦)؛
فَـلا تَنْسِبَنَّ إليَّ الخُمُولَ أَقَمْتُ عَلَيْكَ فَلَمْ أَغْتَرِبْ (٧) ،
وَأَصْبَحْتُ مِنكَ فَفَضْلٌ يَكُونُ وإن كانَ نَقْصٌ فأَنتَ السَّبَبْ (٨).
وما شَكَّكَتني فِيكَ ٱلخُطوبُ ولا غَيَّرَتْني فِيكَ ٱلنُّوَبْ .
وَأَسكُنُ ما كُنْتَ في ضَجْرَتي وَأَحلَمُ ما كُنْتَ عِندَ الغَضَبْ (٩).
وَإنَّ خُراسانَ إنْ أَنكَرَتْ عُلايَ فَقَـدْ عَرَفَتْها حَلَبْ .
وَمِنْ أَيْنَ يُنكِرُني الأبعَدُونَ : أَمِنْ نَقْصِ جَدٍّ ، أَمِنْ نَقْصِ أَبْ ؟!

---

١) ترب : تزيد ، تنمو .
٢) غض مني : نقص من قدري . خلصت خلوص الذهب : لم يؤثر « الاسر » في عزيمتي بل زدت عزماً لان الذهب اذا صهر « بالنار » ذهب غشه ووسخه واصبح اكثر صفاء .
٣) يعرضني بالخمول : يعرض بخمولي. يذكر اني خامل مع انه يعرف ان شهرتي ومقامي عظيمان بفضله هو.
٤) عتيد : حاضر .
٥) عتب : عاتب . — عاتبتك في تأخير افتدائي من الاسر كما فعل غيري ايضاً ..
٦) فهلا ارضيتني ونصرتني (جعلتني اتغلب) على اعدائي (الروم) .
٧) كأني لا أزال الى جانبك « فمن أين يأتيني الخمول » ؟
٨) وانا قريبك وانت وليي ، فضلك يكون منك ونقصي يكون منك .
٩) كنت تغضب فأبقى انا هادئاً ، اي لا اجاريك في غضبك على حبا بك ..

أَلَسْتُ وَإِيَّاكَ مِنْ أُسْرَةٍ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ قُرْبُ ٱلنَّسَبْ ،
وَدَارٍ تَنَاسَبُ فِيهَا الكِرَامُ وَتَرْبِيَةٍ وَمَحَلٍّ أَشِبْ (١)،
وَنَفْسٍ تَكَبَّرُ إِلَّا عَلَيْكَ وَتَرْغَبُ إِلَّاكَ عَمَّنْ رَغِبْ (٢)!
فَلَا تَعْدِلَنَّ — فِدَاكَ ٱبْنُ عَمِّكَ لَا بَلْ غُلَامُكَ — عَمَّا يَجِبْ (٣).
وَأَنْصِفْ فَتَاكَ فَإِنْصَافُهُ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلشَّرَفِ ٱلْمُكْتَسَبْ.
وَكُنْتُ ٱلْحَبِيبَ وَكُنْتُ القَرِيبَ لَيَالِيَ أَدْعُوكَ مِنْ عَنْ كَثَبْ (٤).
فَلَمَّا بَعُدْتُ بَدَتْ جَفْوَةٌ وَلَاحَ مِنَ الأَمْرِ مَا لَا أُحِبْ .
فَلَوْ لَمْ أَكُنْ بِكَ ذَا خِبْرَةٍ لَقُلْتُ: صَدِيقُكَ مَنْ لَمْ يَغِبْ (٥)

٦ — القصيدة الثالثة والستون بعد الثلاثمائة في الديوان (رومية) .

لما فقد ابو فراس كل امل بان يفتديه سيف الدولة — مع كثرة ما استشفعت به امه الى سيف الدولة — كتب الى امه يصبرها ويقول لها انه ما كان يذل نفسه لسيف الدولة بطلب الفداء (راجع البيت الثالث) لولا انه يريد ان ينفذ رغبتها في خروجه من الاسر ولولا انه يريد ان يرجع الى جانبها ليعتني بها :

لَوْلَا العَجُوزُ (٦) بِمَنْبِجٍ مَا خِفْتُ أَسْبَابَ ٱلْمَنِيَّهْ ،
وَلَكَانَ لِي عَمَّا سَأَلْتُ مِنَ الفِدَا ، نَفْسٌ أَبِيَّهْ .

١) اشب : قريب ، ملتصق « انا قريبك ونسبنا واحد » .
٢) اميل عن كل من مال عني سواك « لا اهجرك اذا هجرتني » .
٣) فلا تمل انت اذن عما يجب ان تفعله « مداومة بري والعطف علي » .
٤) حينما كنت انا قريباً منك كنت ارى انك تحبني وتكرمني .
٥) لولا معرفتي بك لاتهمتك بأنك تذكر صديقك ما دام امام عينيك ، فاذا غاب عنك نسيته .
٦) كناية عن امه .

لكن أردتُ مُرادَها ، ولو انجذبتُ إلى الدَّنيَّهْ .
وأرى مُحاماتي عليـ ـها أنْ تُضامَ مِنَ الحميَّهْ .
أمستْ بمَنْبِج حُرَّةٌ بالحُزنِ ، من بَعدي ، حَرِيَّهْ (١)
لو كانَ يُدفَعُ حادِثٌ أوْ طارِقٌ بجميلِ نِيَّـهْ .
لم تطَّرِقْ نُوَبُ الحوا دِثِ أرضَ هاتيكَ التقيَّهْ .
لكِنْ قضاءُ اللهِ وَالـ أحكامُ تَنفُذُ في البريَّهْ .
وَالصَّبْرُ يأتي كُلَّ ذي رُزْءٍ على قَدَرِ الرَّزِيَّهْ .
لا زالَ يَطرقُ مَنْبِجاً ، في كُلِّ غادِيَةٍ ، تحيَّهْ (٢) .
فيها التُّقى وَالدِّينُ مجـ موعانِ في نفسٍ زَكِيَّهْ (٣).
يا أُمَّتا ، لا تحزَني وَثِقي بفَضْلِ اللهِ فِيَّهْ . (٤)
يا أُمَّتا ، لا تَيأسي للهِ ألطَافٌ خَفِيَّهْ (٥) !
كَمْ حادِثٍ عَنّا جلاهُ ، وكَمْ كَفانا مِنْ بَلِيَّهْ !
أُوصيكِ بالصَّبْرِ الجميلِ ، فإنّهُ خَيرُ الوَصيَّهْ !

---

١) حرية بالحزن : يحق لها ان تحزن .

٢) لا زال يصل الى منبج تحية مع كل غيمة .

٣) زكية : طاهرة .

٤) ثقي بفضل الله علي وبأنه لن يتخلى عني .

٥) اللطف الخفي : النعمة الالهيه التي تخفى عن اعين الناس .

٧ – القصيدة الخامسة والستون بعد المائتين في الديوان «رومية»

لما اغفل سيف الدولة افتداء ابي فراس زمناً طويلا ولم يلق بالاً الى رجاء ام ابي فراس في ذلك ، مرة بعد مرة ، خرجت ام ابي فراس من منبج الى حلب وراسلت سيف الدولة من جديد في ابنها . فلم يسمع سيف الدولة لها ايضاً . وكان قد اتفق ان الروم قنطوا من اطلاق ابن اخت ملكهم الذي كان عند سيف الدولة اسيراً ، فقيدوا هم من كان بايديهم في خرشنة من قواد المسلمين ، وفيهم ابو فراس . فغلبت الحسرة على ام ابي فراس واعتلت. فلما علم بذلك ابو فراس كتب الى سيف الدولة يستعطفه ويعاتبه : .

يا حَسْرَةً ما أكادُ أحملُها . آخرُها مُزعِجٌ وأوّلُها .
عَليلةٌ بالشّآم مفرَدَةٌ ، باتَ بايدِي العِدا معلِّلُها (١) .
تُمسِكُ أحشاءها على حُرَقٍ ، تُطفئُها وَالهمومُ تُشعِلها .
إذا اطمأنّت – وأينَ – أوْ هدأتْ عَنّتْ لها ذكرى تُقلقلُها .
تَسألُ عنّا الرُّكبانَ جاهِدَةً بأدمُعٍ ما تكادُ تُمهِلُها :
«يا مَنْ رأى لي بحصْنِ خَرْشَنَةٍ أُسْدَ شرى ، في القُيودِ أرْجُلُها .
«يا مَنْ رأى لي الدُّروبَ شامخَةً دونَ لِقاءِ الحَبيبِ أطولُها (٢)»
يا مَنْ رَأى لي القُيودَ ، مُوثَقةً على حبيبِ الفؤادِ أثقَلُها » .
يا أيُّها الراكِبانِ ، هَلْ لكُما في حَمْلِ نجوى يَخِفُّ مَحمَلُها .
قُولا لها ، إنْ وَعتْ مقالكُما ؟ وإنّ ذِكْري لَها ليُذهِلُها : ،

١) معللها : طبيبها « الحقيقي » .
٢) الدرب : الممر في الجبل .

يا أُمَّنا ، هـذه منازلُنا ... نتركُها تارةً ونَنزِلُها .
يَا أُمَّنا ، هذه مواردنا ... نُعلُّها تارةً وَنَنهلُها » .
أَسلَمنا قومُنا إلى نُوَبٍ ... أَيسَرُها في القلوبِ أَقتَلُها ،
وَاستَبدلوا ، بعدَنا ، رجالَ وغى ... يَوَدُّ أَدنى علايَ أَمثَلُها (١) .

.....

ياسيِّداً ، ما تُعَدُّ مَكرُمَةٌ ، ... إلا وفي راحَتَيهِ أَكمَلُها .
ليسَت تنالُ القيودُ مِن قَدَمي ... وفي اتِّباعي رِضاكَ أَحمِلُها .
لا تَتَيَمَّمْ وَالماءُ تُدرِكُهُ ؛ ... غيرُكَ يَرضى الصُّغرى ويَقبلُها (٢) .
إنَّ بني العَمِّ لَستَ تَخلُفُهُم ، ... إن عادَتِ الأُسدُ عادَ أَشبُلُها
أَنتَ سَماءٌ وَنحنُ أَنجُمُها ، ... أَنتَ بلادٌ وَنحنُ أَجبُلُها .
أَنتَ سحابٌ نحنُ وَابِلُهُ ، ... أَنتَ يمينٌ ونحنُ أَنمُلُها .
بأَيِّ عُذرٍ ، رَدَدتَ والِهَةً ، ... عَلَيكَ، دونَ الوَرى، مُعوَّلُها (٣) ؟
جاءَتكَ، تَمتاحُ رَدَّ واحِدِها ، ... يَنتَظِرُ النّاسُ كَيفَ تُقفِلُها .
سَمَحتُ مِنّي بِمُهجَةٍ كَرُمَت ... أَنتَ ، على يأسِها ، مُؤمَّلُها .
إن كُنتَ لَم تَبذُلِ الفِداءَ لَها ... فَلَم أَزَل ، في رِضاكَ، أَبذُلُها .
تِلكَ المَوَدّاتُ كَيفَ تُهمِلُها ؟ ... تِلكَ المَواعيدُ كَيفَ تُغفِلُها ؟

١ـ ان اعظم شخص تقربه اليك يتمنى ان يكون له اصغر فضائلي .

٢ـ لا تستعض عني بجماعة هم اقل قيمة مني . ــ ان المؤمن اذا اراد الصلاة ولم يجد ماء يتوضأ به تيمم « قام باشكال الوضوء بعد ضرب يديه على الصعيد ــ التراب ــ الطاهر » .

٣ـ والهة : حزينة ــ اشارة الى ام ابي فراس . المعول: الاعتماد .

تِلْكَ العُقودُ، التي عقَدتْ لنا،   كَيْفَ ـ وقدْ أُحكِمتْ ـ تُحَلِّلُها؟

أَرْحامُنا مِنْكَ لَمْ تُقَطِّعْها   ولَمْ تَزَلْ، دائِباً، تُوَصِّلُها!

أَيْنَ ٱلمَعالي ٱلَّتي عُرِفْتَ بِها   تَقولُها، دائِماً، وتَفْعَلُها؟

يا واسِعَ ٱلدّارِ، كَيْفَ تُوسِعُها   ونَحْنُ في صَخْرَةٍ نُزَلْزِلُها؟

يا ناعِمَ ٱلثَّوْبِ، كَيْفَ تُبْدِلُهُ؟   ثِيابُنا ٱلصُّوفُ، ما نُبَدِّلُها!

يا راكِبَ ٱلخَيْلِ، لو بَصُرْتَ بِنا   نَحْمِلُ أَقْيادَنا ونَنْقُلُها.

رَأَيْتَ، في الضُّرِّ، أَوْجُهاً كَرُمَتْ   فارَقَ فِيكَ ٱلجَمالَ أَجْمَلُها!

قَدْ أَثَّرَ ٱلدَّهْرُ في مَحاسِنِها،   تَعْرِفُها، تارةً، وتَجْهَلُها.

فلا تَكِلْنا، فِيها، إلى أَحَدٍ   لَيْسَ لَها مُحْسِنٌ يُعَلِّلُها.

لا يَفْتَحُ النّاسُ بابَ مَكْرُمَةٍ   صاحِبُها المُسْتَغاثُ يُقْفِلُها.

أَيَنْبَرِي دُونَكَ الكِرامُ لها   وأَنْتَ قَمْقامُها وَأَحْمَلُها (١).

وأَنْتَ، إنْ عَنَّ حادِثٌ جَلَلٌ   قُلَّبُها ٱلمُرْتَجَى وحُوَّلُها (٢).

مِنْكَ تَرَدَّى بِالفَضْلِ أَفْضَلُها،   مِنْكَ أَفادَ النَّوالَ أَنْوَلُها (٣)؛

فإنْ سَأَلْنا سِواكَ عارِفَةً   فَبَعْدَ قَطْعِ ٱلرَّجاءِ نَسْأَلُها (٤)؛

١ـ القمقام : السيد الذي يطيق حمل الاعباء والتبعات . أحملها : اقدرها على القيام بالامور .

٢ـ القلب والحول : الخبير القدير في تصريف الامور .

٣ـ أنولها : اكرمها ـــ الذين يسمون اليوم كراماً (لانهم ينيلون الناس العطاء) قد حصلوا على غناهم من عطائك انت .

٤ـ العارفة : المعروف ، الجميل .

إذا رأينا أولى الكرام بها ... يضيعها ، جاهداً ، ويهملها (١).
لم يبق في الناس ، أمة عرفت ... إلا وفضل الأمير يشملها .
نحن أحق الورى برأفته ، ... فأين عنا ، وأين معدلها ؟
يا منفق المال لا يريد به ... إلا المعالي التي يؤثلها ،
أصبحت تشري مكارماً فضلا ... فداؤنا ، قد علمت ، أفضلها .
لا يقبل الله ، قبل فرضك ذا ، ... نافلة عنده تنفلها (٢).

— تمت —

١- ونحن نسأل حينئذ غيرك اذا رأينا انك « تقصد » ان تتركنا في الاسر .

٢- الصلاة في الاسلام مؤلفة من فرض (مفروض) ومن نافلة (سنة يقوم المؤمن بها تطوعا) . ولاشك في ان القيام بالنافلة مستحب ، ولكن النوافل لا تقبل اذا اهمل المؤمن الفرض . — انك تتبرع للشعراء ولغيرهم بالاموال [وهو نافلة انت غير مجبر عليها] ولكنك تضن علينا بالمال لافتداء انفسنا من الاسر (وهو فرض عليك) .

فهرست ابجدي لاعلام الاشخاص والجماعات

م – مكرور ، ح – في الحاشية



فهرست الكتاب



نخبة من دراسات وكتب

للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي
استاذ الفلسفة الاسلامية والادب العربي
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

دراسات قصيرة		الثمن بالقرش اللبناني
١ـ الحجاج بن يوسف	(الطبعة الثانية)	٤٠
٢ـ عمر ابن ابي ربيعة	(الطبعة الثانية)	٧٥
٣ـ عبدالله بن المقفع	(الطبعة الثانية)	٤٠
٤ـ الرسائل والمقامات	(الطبعة الثانية)	١٠٠
٥ـ ابن الرومي	(الطبعة الثانية)	٥٠
٦ـ احمد شوقي	(الطبعة الثانية)	٦٠
٧ـ ابن خلدون	(الطبعة الثانية)	٥٠
٨ـ اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية	(الطبعة الثانية)	٧٥
٩ـ شعراء البلاط الأموي	(الطبعة الثانية)	١٢٥
١٠ـ الفارابيان : الفارابي وابن سينا	(الطبعة الثانية)	١٠٠
١١ـ اربعة ادباء معاصرين	(الطبعة الثانية)	١٠٠
١٢ـ خمسة شعراء جاهليين	(الطبعة الثانية)	١٥٠
١٣ـ بشار بن برد	(الطبعة الثانية)	١٢٥
١٤ـ نهج البلاغة	(الطبعة الثانية)	٥٠
١٥ـ اخوان الصفا	(الطبعة الثانية)	١٥٠
١٦ـ ابن باجه	(الطبعة الثانية)	١٠٠

١٧ ــ ابن طفيل	١٢٥
١٨ ــ التصوف في الاسلام	٢٠٠
١٩ ــ الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب	١٥٠
٢٠ ــ موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية	١٠٠
٢١ ــ ابو فراس	١٥٠

دراسات أخر

ابو نواس : دراسة ونقد	(الطبعة الثالثة)	١٥٠
ابو نواس : مختارات		٥٠
ابو تمام		١٠٠
حكيم المعرة	(الطبعة الثانية)	٢٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	(الطبعة الثانية)	٣٠٠
الاسلام على مفترق الطرق	(الطبعة الثالثة)	١٥٠
نحو التعاون العربي		١٠٠
دفاعاً عن العلم		(نفد)
دفاعاً عن الوطن		٥٠

600 — Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, I — 23 d. H. (622 - 644 n. Ch. , Leipzig 1937,)

الاسرة في الشرع الاسلامي	٤٠٠
الثقافة العربية في الشرق الاوسط	١٠٠
الاسئلة الثلاثة (مشهد شعري تمثيلي للمدارس)	٢٥
باكستان دولة ستعيش	١٥٠
سفينة الحيوانات (مغناة تمثيلية للاطفال)	(نفد)
التبشير والاستعمار في البلاد العربية	٢٥٠